روايات

أريج الماضي

رواية

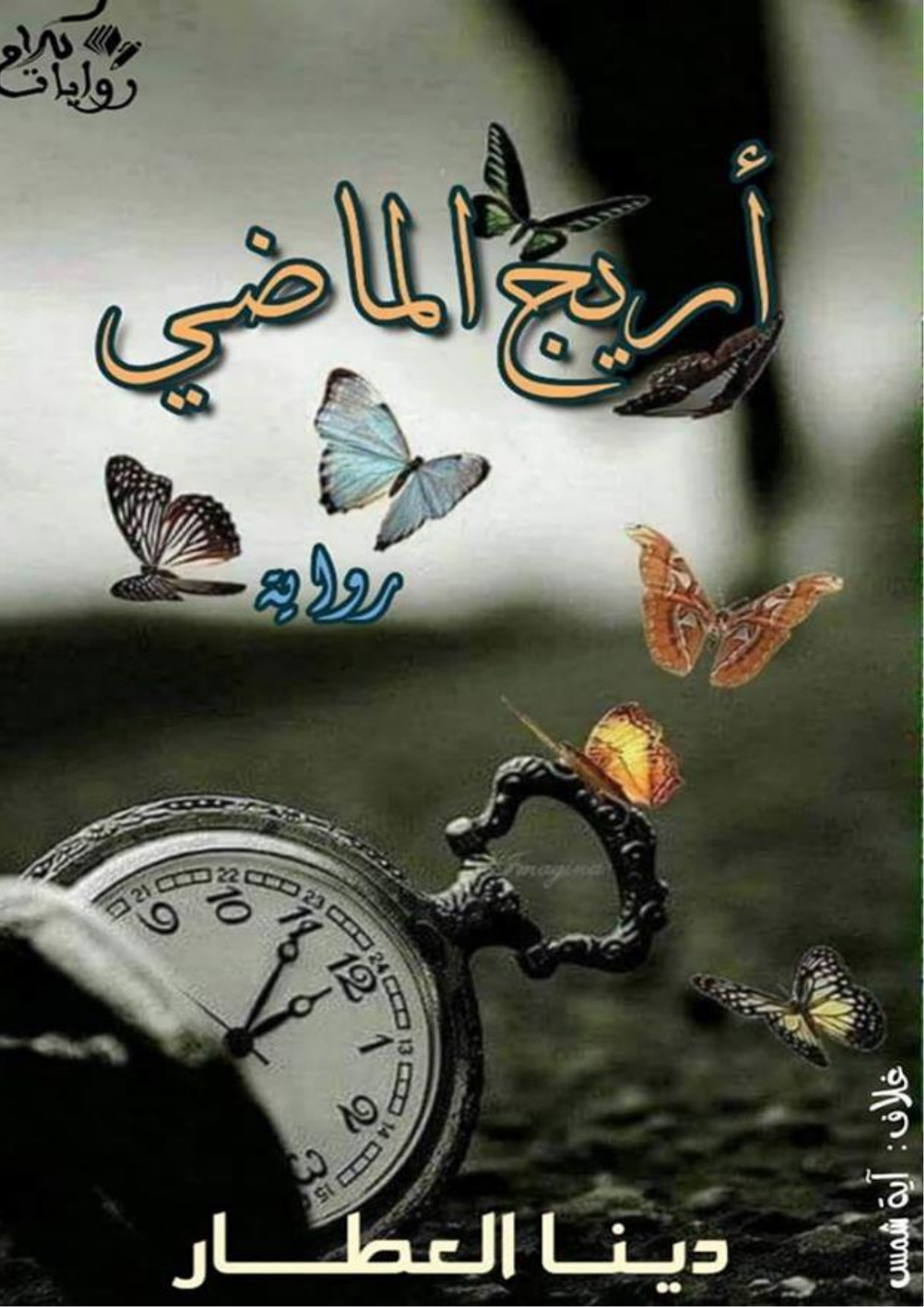

دينا العطار

غلاف: آية شمس

أريج الماضي

رواية

دينا العطار

تصميم غلاف / آية شمس

تصميم داخلي / فاطمة الشمنهوري

عندما تكون الغاية أن نُبدع برُقيّ

أريج الماضي

دينا العطار

مقدمة

أحيانا تقسو علينا الحياة، لا لشئ إلا لتشعرنا بنشوة النصر بعد الهزيمة، حلاوة الفرحة بعد الحزن، لذة الإمتلاك بعد الفقد، سكينة الأمن بعد الخوف، طعم الراحة بعد الألم. فلولا الأضداد لما أدركنا وعرفنا معنى وحقيقة الأشياء.

قالت بحقد دفين:

- أجل وافقتك.. فقط لأنك لم تكن لترضى بغير ذلك.. ليكن معروف تسعى دائما لرده.. فتسبق إرادتي إرادتك دائما.. وليكون طوقا برقبتك أطوقك به ما حييت.. لكن أن تسعى لتوريثها.. فلا.. وألف لا.. بل مستحيل.. لا انكر حبي لها.. لقد أحببتها كإبنتي.. لا هي بالفعل إبنتي.. أرضعتها مع إمام قبل أن يتم العامين.. فصارت إبنة لي وأخت لجميع أبنائي.. والشرع لم يورث الأخت بالرضاع..

صمتت قليلا تلتقط أنفاسها، وقد تمكن منها
أريج الماضي
الغضب، وفقدت قدرتها على انتقاء كلماتها:

- لكن أتعلم لماذا قمت بذلك؟..

كي لا تزوجها لأي من أبنائي.. لقد قطعت عليك الطريق لذلك.. فلست أنا من تزوج أحد أبنائها من فتاة جاءت خارج إطار الزواج.. كما ان أبناء الحرام لا يرثون.

كان لوقع أخر كلماتها على نفسه عظيم الأثر، لم يطق سماعها، فصرخ بها يسكتها، وفي طرفة عين، رفع يمناه ليهوى بها على وجهها، لطم صدغها بكف يده، وإرتد بظهر
دينا العطار
كفه ليلطم صدغها الآخر، صارخا:

- اخرسي

جاهد ليتنفس، حاول تنظيم أنفاسه الهادرة، فلم يستطع، لم يتمكن من السيطرة على إنفعاله، فقال:

- أنتِ...

بشق الأنفس، أطبق على أسنانه حتى كاد أن يهشمها، يحبس لسانه خلف قضبانها، أحكم غلق شفتيه، ثم همّ بفتحهما ثم أغلقهما ثم فتحهما مرة أخرى قائلا:

- فقط.. لأجل أبنائي.. لن أفعلها

خرج من الغرفة كالإعصار، تاركا
أريج الماضي
خلفه قلبا مهشما، روحا تذوي بل تموت، لو حاد ببصره ولو قليلا لرآها، كانت خلفه، بعدما سقطت أرضا في حالة صدمة وإنهيار تام، كانت منكمشة، متقوقعة تحيط نفسها بذراعيها، تضمهما، تعقدهما بشدة.

أما من كانت داخل الغرفة، فألقت بنفسها على الفراش لتدخل في حالة من التفكير العميق فيما ستؤل إليه الأمور فيما بعد.

حاولت جاهدة القيام من جلستها فلم تستطع، إستمرت محاولاتها حتى تمكنت أخيرا
دينا العطار
من النهوض، هبطت الدرجات وهي في حالة

من الشرود التام، خرجت من المنزل لا ترى
أريج الماضي
أمامها، ولا تشعر بشئ حولها ولا حتى بنفسها، وصلت لتقاطع الطرق المؤدي اغلى محطة القطار، لم تفكر أو بالأحرى لم تستطع، تفكيرها في حالة من السكون والشلل التام، وهكذا ظنت حالة المرور أيضا، هي بالأساس لم تتوقف لترى إذا ما كان عليها التوقف أم تواصل السير، لذا واصلت المسير ولم تتوقف مع عبور السيارات، لم تحاول تفادي أي سيارة، كانت السيارات هي من تتفاداها، وتتطلق الأبواق لتنبهها، في أي ورطة وضعت هي نفسها، وكأنها تسعى لحتفها، استطاعت

سيارتان أن تتفادى الإرتطام بها والثالثة أيضا، على عكس الرابعة التي لم تستطع أن تخفف حتى من سرعتها فصدمتها، قبل حتى أن تتمكن من الضغط على المكابح، أخيرا توقفت السيارة ثم هرولت السيدة التي كانت تحتل مقعد القيادة، لترى مدى إصابتها، أم فقدت حياتها في الحال، كانت تشعر أنها في ورطة حقيقية فإصابة الفتاة بالغة، تتمنى فقط أن تنجو وألا تفقد حياتها. أما هي فتشعر أنها أصبحت في خفة الريشة بل أخف، وصلت لنقطة تلاشى فيها شعورها بالزمن.

أريج الماضي
دينا العطار

على عكس المألوف، وصلت

أريج الماضي

الإسعاف سريعا، تم نقلها للمشفى التي أخبرتهم بعنوانها السيدة التي صدمتها، استقلت عربة الإسعاف معها، جلست جوارها تدعو لها بالنجاة وهي تراقب حركة أنفاسها البطيئة، صدرها يصعد ويهبط ببطئ شديد، تشعر بأنفاسها تتلاشى، حاول المسعف طمأنتها قائلا:

- ستكون بخير بإذن الله.. إنها حالة إشتباه في كسر بالساق.. ندعو الله ألا يكون هناك نزيف داخلي

دينا العطار

ردت وهي ترتجف خوفا:

- أتمنى ذلك.. يا رب سلّم

أريج الماضي

هاتفت "مؤمن" ليلحق بها بالمشفى، بكلمات بسيطة مقتضبة أخبرته أنها صدمت فتاه وهي معها في طريقها لمشفى "_____".

أغلق مع عمته الإتصال، وخرج من غرفته بمنزل أسيوط، هبط الدرج قفزا، وفي الحال كان بالمشفى، استطاع الوصول للمشفى بالتزامن مع وصول سيارة الاسعاف، ساعد عمته في الهبوط من السيارة وأخبرها أن تترك له الامر كله وأن تذهب لمنزلها، أعطاها

دينا العطار

مفاتيح سيارته، وأخذ منها مفاتيح سيارتها،

وافقته في ذلك وأنصرفت على مضض. دخل

أريج الماضي

الإستقبال، طلب منه موظف الإستقبال بياناته، فأخبره إياها، ثم طلب منه إيداع مبلغ مالى في الخزينة تحت الحساب، وضع المبلغ المطلوب، وذهب ينتظر خروج الأطباء من الغرفة التي أدخلوها إليها، خرجت إحدى الممرضات من الغرفة، تقدمت نحوه ومعها حقيبة، كانت بحوزة المريضة معلقة برقبتها، سلمته إياها، فحاول سؤالها عنها، أخبرته أنه جارى فحصها وأنه من المبكر جدا إعطاء أي تشخيص للحالة، ثم إنصرفت.

دينا العطار

فتح الحقيبة وأخذ يبحث فيها عن

أريج الماضي

بطاقة هويتها، أو هاتفها، بالفعل وجد بطاقتها الشخصية، كارنيه الجامعة، وبطاقة إئتمانية داخل حافظة نقودها، أيضا وجد هاتفها ودفتر تدوين محاضرات، نظارة طبية وأخرى شمسية، ميدالية مفاتيح وأشياء أخرى. إحتفظ بحافظة النقود وما تحويه، والهاتف، وترك الأشياء الأخرى بالحقيبة، ذهب لموظف الإستقبال لخبره إسم المريضة "أريج زهران". ثم عاد مرة أخرى ينتظر خروج الأطباء من غرفة الطوارئ.

دينا العطار

بعد قليل، خرج طبيب ثم أعقبة إثنان آخران، وما أن رأى الطبيب حتى إتجه إليه كي يطمئن على وضعها وتفاصيل حالتها، قال بقلق:

أريج الماضي

- كيف حالها؟

رد كبير الأطباء:

- لا زال الوقت باكرا على التشخيص النهائي.. لكن بشكل مبدئي.. هناك إشتباه في نزيف داخلي.. وهناك كسر بالساق اليسرى.. سيتم نقلها الآن لوحدة الآشعة.

دينا العطار

رآها نائمة أو فاقدة لوعيها، ممددة على

أريج الماضي

السرير المتحرك، رأى وجه مدمى، وقد إختفت معالمه نتيجة التورم الشديد، بالإضافة لمجموعة من اللاصقات الطبية التي تم لصقها فوق الجروح، أما يدها فقد غرس فيها إبرة طبية تم توصيلها بكيس من الدماء، قامت ثلاث من الممرضات بتحريك السرير ببطئ وحذر شديد، تحرك معها تجاه غرفة الآشعة.

مر بعض الوقت قبل أن تخرج الممرضات بها من غرفة الآشعة لتتوجهن بها لقسم العظام. بعد ذلك تم إدخالها لغرفة

دينا العطار

العمليات حيث قام الطبيب المختص بالتعامل

مع الكسور والرضوض المنتشرة بجميع أنحاء جسدها، تم عمل اللازم لحالتها وإدخالها غرفة العناية الفائقة. دخل كبير الأطباء إلى الغرفة ليتابع حالتها مع طبيب العناية المركزة فقال:

أريج الماضي

- كيف هي الآن؟

قال بروتينية:

- تم عمل العمليات اللازمة للكسور.. وتعاني من إرتجاج في المخ، هي الآن في غيبوبة.. كل مؤشراتها الحيوية سليمة ضغط.. نبض.. ونسبة سكر

دينا العطار

سأل كبير الأطباء:

أريج الماضي

- هل نتيجة إصابة بالمخ أم ماذا؟

أجاب طبيب العناية بعملية قائلا:

- رد فعل نتيجة الصدمة التي تعرضت لها قبيل أو لحظة الإصطدام

قال كبير الأطباء:

- إعتني بها جيدا.. إنها بنت "حامد زهران" كما علمت للتو.. ومرافقها من عائلة "الهلالي".. هذا يعني أنها تنتمي إلى عائلتين هما من أكبر عائلات المحافظة.

دينا العطار

رد طبيب العناية بإستياء وسخط:

- أنا فقط أقوم بعملي

أريج الماضي

خرج الطبيب من الغرفة، وجد "مؤمن" ينتظر خارجها، تعتريه حالة من التوتر والقلق، وما أن رأى الطبيب حتى تقدم نحوه قائلا:

- كيف حالها الآن؟

أجاب الطبيب يطمئنه:

- إطمئن.. تعاني من إرتجاج بسيط في المخ.. وكسر مضاعف بالساق اليسرى.. مع بعض الرضوض والكدمات المتفرقة.. بشكل عام الوضع ليس خطير جدا

دينا العطار

- والنزف.. هل يوجد أي نزيف؟

أريج الماضي

- لا.. كانت حالة إشتباه تمزق الطحال.. نتيجة شدة الإصطدام وما تلاه من سقوط عنيف على الأرضية الاسفلتية.. نحمد الله .. لم تتعدى الحالة عن كونها ورم دموي.. لذا ستعاني من بعض الآلام في الكتف الأيسر لفترة.

ثم أكمل قائلا:

- سوف تظل تحت الإشراف الطبي الفترة القادمة.. ستحتاج لتوفير المزيد من فئة دمها.. تحسبا لأي أمر طارئ.. لقد

دينا العطار

أمرت بإحضارها وهي في الطريق الآن.

- وما هي فئة الدم المطلوبة؟

أريج الماضي

- A+

أجاب مؤمن بثقة:

- لا تقلق.. هذه الفئة متوفرة لدينا في العائلة بشكل كبير.. حتى أنا أمتلكها

قال الطبيب مستحسنا الوضع:

- حسنا.. ألم يصل أحد من أهلها بعد

سأل مؤمن:

- أتعرفهم؟

دينا العطار

- العائلة فقط.. لقد قرأت الإسم

أريج الماضي

ضمن بياناتها

قال مؤمن:

- في الطريق.. ها أنا ذا أنتظرهم..

أيمكنني رؤيتها؟

- لا بأس.. ثلاث دقائق فقط..

لراحتها

- تمام

كان طبيب العناية قد خرج لتوه ومعه ممرضة، أمرها بمرافقته لرؤيتها قليلا، وأنصرف.

دينا العطار

دخل عليها ليجدها ترقد وحولها أسلاك

أريج الماضي

كثيرة موصولة بجسدها، يبدو ان قفصها الصدري وكتفها متضرران بشكل كبير، رأى الكثير من التجمعات الدموية في الجزء الظاهر من جسدها، غض بصره، محدثا نفسه: "لطفك يا الله.. إذا كان هذا ما ظهر.. فما بال ما خفي". نبهته الممرضة لإنتهاء وقته، فخرج بصمت وحذر شديد وألم أشد.

جلس على أحد المقاعد الموضوعة بالردهة، ثم أخرج هاتفها يتفحصه، ولحسن حظه وجده يعمل، فتح سجل المكالمات

دينا العطار

الصادرة، فوقع نظره على رقم مسجل بإسم "بابا

حبيبي"، ضغط زر الإتصال، وإنتظر حتى
أريج الماضي
إنتهى الرنين، وما من مجيب، عاود الإتصال مرة أخرى، أيضا لا يوجد رد، ومرة ثالثة الأمر نفسه، ينتهي الرنين دون رد، أخرج هاتفه ونسخ رقم أبيها وضغط زر الإتصال عله يجيب، كانت النتيجة واحدة، حاول مرة أخيرة، أيضا كسابقتها. فكر ماذا يفعل؟! وكيف يتصرف؟!، لم يكد ينهي كتابة رسالة كان قد قرر إرسالها من هاتفها، بضرورة الرد لأمر بالغ الأهمية، حتى إرتفع رنين هاتف الفتاة، وظهر على شاشته "بابا حبيبي" إستقبل المكالمة بأكبر قدر
دينا العطار
من الهدوء أمكنه. رد بنبرة متسائلة:

- السلام عليكم.. والد الآنسة أريج؟

أريج الماضي

أجاب والدها بقلق:

- أجل.. من أنت؟ وأين أريج؟ ولماذا تمسك بهاتفها؟

ثم أردف بصوت نافذ الصبر:

- ماذا هناك بالضبط؟

- اهدئ يافندم أرجوك.. الحمد لله الآنسة أريج بخير.. وهذا هو المهم.. أما ما حدث فيبدو أنها لم تنتبه لإشارة المرور.. فاصطدمت بسيارتي.. وكما قلت لك هي بخير.. هي الآن بمشفى"

ينا العطار

الدولي.. أخبرني أين أنت وسآتي لاصطحابك فورا.

أريج الماضي

قال السيد حامد في جزع:

- لا.. انتظرني حيث أنت.. وكن معي عبر الهاتف لتوافيني بما يحدث أولا بأول.. سأكون عندك خلال دقائق.

إستقل السيد حامد سيارته نحو المشفى حيث ترقد شذى أيامه.. ترى ماذا حدث لها.. ولماذا لم تنتبه للإشارة.. لماذا أتت وليس غد.. طائرتها غدا.. هو من حجز لها.. كاد يجن حتى وصل المشفى، إتصل بمؤمن فأخبره أنه

دينا العطار

يجلس عند غرفة العناية.. شعر بالفزع يملأ
أريج الماضي
كيانه.. هل حالتها تحتاج لعناية مشددة.. لطفك يا الله.. هل سيفقدها.. لا بإذن الله.. دعا لها بالنجاة.. هل أضاع الأمانه.. عند هذه الخاطرة كان قد وصل للممر المؤدي إلى غرفة العناية المركزة.

رأى مؤمن رجل يقبل عليه وعلى وجهه كل إمارات الفزع والخوف، علم على الفور أنه والدها، استقام من جلسته ليستقبله، وصل السيد حامد إليه وهو يقول بقلق شديد:

- أين إبنتي.. أنا والد أريج.. هل
دينا العطار
أنت من حدثتني عبر الهاتف؟

- أجل.. "مؤمن الهلالي"

أريج الماضي

- أها.. أين الطبيب.. أريد أن أراها أولا

- يمكنك رؤيتها عبر الزجاج عبر الزجاج من داخل الغرفة.. ادخل من هذا الباب

وأشار بيده نحو باب غرفة العناية، ثم استرسل:

- سترى زجاج وبجانبه الباب الداخلي.. يمكنك رؤيتها عبر الزجاج فقط.. لأن زيارتها ممنوعة.. لراحتها كما

دينا العطار

أخبرني الطبيب

تركه ودخل، ليصدم مما رأى، إبنته،

أريج الماضي

إبنة عمره، زهرة حياته، ترقد وقد إنطفئ ضوء الشمس من عيناها، فأظلمت دنياه، كان مؤمن قد لحق به، خشي عليه ألا يستطع تحمل رؤيتها بهذا الوضع، فلحق به، وكم كان محق، بالكاد استطاع لمس كتفه قبل أن يهوى على الأرض، ظن في بادئ الأمر أنه فقد وعيه، وعندما إقترب أكثر وانحنى قليلا، وتمكن من الإمساك بساعديه ليرفعه، سمع صوت بكائه وهو يتمتم: أريج.. يا زهرتي العاطرة.. يا زهرة عمري.. يا أريج حياتي وروحي.. ماذا حدث يا حبيبة أبيك؟!.

دينا العطار

ساعده مؤمن على النهوض، وأخرجه من العناية ثم أجليه على أحد المقاعد المتواجده بالردهة، ثم قال له:

أريج الماضي

- سوف تكون على ما يرام بإذن الله.. ادع لها

- يا رب.. لا تحرمني منها.. ونجها مما هي فيه.. أعلم أنك بي رحيم.. فلا تحرمني رؤية الشمس في عيناها.. ولا القمر في وجهها.. يا رب لا تحرمني شمس عيناها

دينا العطار

لم يدهش مؤمن من تعلق الرجل بإبنته، لكنه دُهش من طريقة دعائه وكلماته، ما هذا الرجل!.

أريج الماضي

***

بعد عام ونصف العام تقريبا:

داخل فيلا "شوكت ماضي"، أحد أشهر شخصيات محافظة أسيوط، في بداية عقده السادس، متزوج من السيدة "زهرة

الهلالي"، لديه من الأبناء أربعة، إثنين من زوجته المتوفاه "نوارة"، وهما على الترتيب، "دياب" متزوج ولديه ثلاثة من الأبناء، و"رياض" متزوج ولديه إبن واحد، أما "هلال" الذي لا يزال يطارد عطر محبوبته، فهو إبنه من زوجته الحالية السيدة "زهرة الهلالي"، ووحيدته "فريدة" عروس" يحيى يوسف الهلالي" إبن أخيها المتوفي "يوسف الهلالي".

تجرى تجهيزات الحفل على قدم وساق، الجميع يعمل بتناغم، يقوم بدوره المنوط به، ويؤدي مهمته بإتقان، العروس بغرفتها ومعها طاقم التزيين، أم العروس السيدة زهرة

أريج الماضي
دينا العطار

تشرف على جميع التجهيزات، بداية من
أريج الماضي
متعهدي الطعام التابعين لأشهر الفنادق، مرورا بزينة حديقة الفيلا وتجهيزاتها، برنامج السهرة والفرق الموسيقية، تشرف على كل شئ رغم أن والد العروس السيد "شوكت" قد أوكل كل هذا لشركة متخصصة، إلا أنها لا تشعر بالطمأنينة، إلا إذا رأت كل التجهيزات بنفسها رؤي العين، أخيرا سرت الراحة في أوردتها، صعدت لجناحها الخاص لتبدأ في الاستعداد للحفل.

في الخارج، أخذت شمس الأصيل
دينا العطار
بالرحيل، لتعلن عن قرب ميلاد بدر ليلة الرابع

عشر من يوليو، ليتواكب مع عرس قمر عائلة
أريج الماضي
ماضي. فى ذلك الوقت كان عريس الليلة "يحيى الهلالي" طبيب العلاج الطبيعي المختص بحالة "أريج" منذ أكثر من عام، كان قد رشحه أحد أشهر أطباء العظام الذين تابعوا حالة "أريج" بعد الحادثة، التي تعرضت لها منذ أكثر من عام، يصطحب "إمام زهران" شقيق أريج إلى خارج الفندق الذي يقيم فيه ووالدته حتى يجئ موعد الزفاف بمنزل والد العروس بأسيوط بناء على رغبة العروس نفسها، لذا إستغل إمام معرفته بتواجد يحيى هنا بأسيوط، ليطلعه على التقارير وصور الآشعة التي
وينا العطار

قامت أريج بإجرائها مؤخرا، وإلا لن يراها قبل
أريج الماضي
شهر، بعد عودته من اجازته، كان يجمع "يحيى" و"إمام" ليس فقط بداية رابطة صداقة متينة، إنما جمعتهما أيضا نفس الأصول، وصلا معا لخارج الفندق فودع "يحيى" "إمام" وهو يقول له:

- سأنتظر قدومك الليلة.. فكما ترى ليس لى أصدقاء هنا سواك.. لذا لن أقبل بأي أعذار

- لا أخفي عليك سرا.. فأنا وهلال لسنا على وئام فيما بيننا

دينا العطار

- لم؟!.. أعذرني على تدخلي

- إنه ليس سر.. وفيما يبدو أنك لا

أريج الماضي

تعلم!.. فقد تقدم هلال لخطبة أريج أكثر من مرة.. ولم يوافق أبي.. وهو ليس ممن يتقبل فكرة أن يتم رفضه بسهولة.. كما أن السيدة زهرة زوجة السيد شوكت حاليا كانت زوجة أبي وانفصلا .. لكن يبقى الوضع كله محرج.

- لم أكن أعلم بالأمر.. لم تخبرني فريدة ولا حتى أمي.. لكنك ستكون ضيفي أنا.. لا هو.. ولا إحراج في ذلك.. أم أنك لا تشرفني إلا بزيارات طبية فقط

دينا العطار

- سأحاول

كانا يتحدثان وهما يسيران بمحاذاة
أريج الماضي
الفندق، عندما تناهى إلى مسامعهما صوت مألوف لكليهما، وصوت أخر غاضب مألوف أيضا لهما:

- كف عن ملاحقتي وإعتراض طريقي، وإلا سأخبر ليس فقط إمام بل سأخبر عائلتي كلها.. وأعتقد أن لديك فكرة عما سيحدث بعدها.

- اعطني سبب واحد يقنعني لرفضك إياي.. وأعدك أن أزيله من طريقنا.. ثم إنني لا أفهم سر عدائك هذا تجاهي.. وأنا
دينا العطار
الذي....

تفاجأت أريج بإمام وهو يدفعه من أمامها ويمسكه من تلابيبه، قال إمام في إنفعال وغضب:

أريج الماضي

- كيف تجرؤ أيها الحقير..

ثم وجه حديثه لأريج آمرًا:

- عودي للمنزل حالًا

حاول هلال تخليص نفسه وهو يصرخ في هياج:

- اتركني وإلا ستندم

بدءا يتعاركان ويتبادلان السباب، إشتبكا معًا في شجار عنيف، حاول فيه يحيى

رينا العطار

تخليصهما من بعضهما البعض، فدفع بنفسه بينهما إلا أنهما دفعاه معا بعيدا، فاستغل هلال تشتت إمام عنه وبقوة الغضب وكزه في صدره، إرتد هلال على إثرها للخلف بشدة، إستعاد إمام توازنه بسرعة، وبرشاقة الغزلان إنقض على هلال يكيل له الضربات واللكمات في كل إنش من جسده، تمكن هلال من تخليص نفسه بإعجوبة من بين يدي إمام، ثم لكمه في عينه، لم يستطع إمام فتح عينه، كان قد تجمع الكثير من المارة على إثر هذه المشاجرة العنيفة بين شابين من أكثر شباب المحافظة شهرة بين الناس، أحدهما يسارع في الخيرات ويشتهر

أريج الماضي
دينا العطار

بفعل الخير، يشترك في الأنشطة الخيرية
أريج الماضي
والإجتماعية بالمحافظة، ويساهم في كل ما ينفع الناس، والأخر هو النقيض بعينه.

كان يحيى يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يفض الشجار القائم بينهما، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، فشل وبجدارة نظرا لضعف بنيته الجسدية مقارنة بهما والعدائية المفرطة التي يتقاتلان بها وعدم إستجابتهما لأي مساعي لوقف هذا الإقتتال العنيف القائم بينهما.

أمسك أحدهم بهلال وقد تجمع حوله الكثير، بينما ظل إمام في الجانب الذي سحبه
دينا العطار
إليه أخر، في النهاية تمكن بعض الشباب من

الحول بينهما، إلا أن إشتباك هلال وسبه
أريج الماضي
للشاب الممسك به، وبعض الشباب وهم يحاولون تهدئته قد وسع دائرة القتال، لكمه الشاب في ذقنه واشتبك معه هو الأخر، إتسع الشجار وشمل أصدقاء هذا الأخير الذين كانو يسيرون معه.

عمت الفوضى المكان، وإقتتل الجميع فيما بينهم، وفي حركة عبثية غير مأمونة العواقب قام هلال بإخراج مسدسه المخفي بعناية بين حنايا ثيابه، والذي عادة ما يحمله معه أينما ذهب، وفي أقل من الثانية كان يوجه فوهته
دينا العطار
ناحية إمام الذي لا يفصل بينهما سوى يحيى،

فجأة إصطدم أحدهم به من الخلف، فأخطأت
أريج الماضي
الرصاصة هدفها لتستقر في خافقه الذي لا يحوي سوى أمه، وحبيبته الذي حارب أمه لأجلها.

إستقرت رصاصته بقلب عريس أخته وإبن خالهما، وقع العريس مدرجا بدمائه بين ساعدي إمام الذي أخذ يبدل نظره بذهول بين موضع الرصاصة ووجه يحيى الشاحب.

وكأن على رؤوسهم الطير، عم الصمت المكان بينما يحدق الجميع نحو المسجي على الارض بين ساعدي وفخذ رفيقه، ينظرون إليه
دينا العطار
وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، كان الجميع

مشدوهين بما حدث، فقال قائل منهم لم يرى الجاني:

أريج الماضي

- من أطلق الرصاص؟!

قال أخر:

- هيا.. نحمله لأقرب مشفى سريعا

رد عليه قائل:

- لا يجب تحريكه.. من الأفضل إنتظار الإسعاف

وقال أخر:

- إذا إنتظرنا الإسعاف.. سيأتي لحمل جثته.. لا لإنقاذه

دينا العطار

إنحنى بعضهم وهمّوا بحمله، عندما تناهى لمسامعهم صوت ضعيف، يجاهد صاحبه لينطق:

أريج الماضي

- لا.. إنتظروا قليلا

ثم وجه حديثه لإمام:

- أوصيك بعروسي خيرا.. وبلغها أني أوصيها بك خيرا

تحامل على نفسه ليكمل بصوت متألم ضعيف:

- هذا خيرا للجميع.. حتى لا يستحكم العداء بينكم

دينا العطار

إزداد تألمه فصمت لحظات يبتلع موجة ألم جديدة ثم أكمل بأنفاس متقطعة:

أريج الماضي

- لا تجعله يستفزك فيحملك على فعل ما لا تطيق.. ولا تزوجه أختك أبدا.. شئ أخير.. عمي إسمه شهاب.. أبلغه أني لا أريد ثأر ولا قضايا ولينهي الأمر بمعرفته حتى لا يتطور الأمر لما هو أسوأ.. وأنتما الإثنان...

وأشار إلى الشابان المنحنيان تجاهه كي يحملاه ثم أكمل:

دينا العطار

– اشهدا على ما أقول.. والله على ما أقول شهيد.. والآن هيا إذهب بي لمنزل عروسي

أريج الماضي

فاضت روحه الطاهرة لبارئها، كان الكثير ممن حوله قد سمع ما أوصى به وليس الشابان فقط اللذان أشهدهما على وصيته لإمام. وكما قال، حُمل إلى منزل عروسه في مشهد مهيب، محزن ومؤثر للغاية.

أخبرت إحدى العاملات العروس أن العريس قد حضر بالأسفل، مصاب يحمله بعض الشباب، هرولت فريدة في قلق وإضطراب، حتى إنها تعثرت مرات عديدة في

دينا العطار

ثوبها بذيله الطويل جدا، ما كان يمنعها من
أريج الماضي
السقوط هو إسناد الفتيات العاملات لها، حملن عنها الثوب من الخلف، ومع سرعة ركضها وإندفاعها عجزن عن اللحاق بها فتركن الثوب يهرول معها، أخذت تهبط السلم قفزا وذيل ثوب زفافها من خلفها كالموج حين يهيج.

وصلت إليه في لحظات، فرأته نائما في سكينة وطمأنينة تجري في أوردته مجرى الدم، أمعنت النظر إليه، لتراه مبتسما، كيف له أن ينام ويتركها هكذا! بل ويبتسم أيضا! ثم ما كل هذا الهدوء الذي يغلف روحه، كيف له أن
هنا العطار
يشعر بالراحة هكذا دونها، كيف له أن يتركها

بثوب الزفاف الذي أصر هو عليه، ألم يختاره
أريج الماضي
هو لها، إذا لماذا لا يفتح عيناه ليراها به وهي ترتديه لأجله. رفعت رأسه قليلا تحتضنه بين ذراعيها، ثم هبطت على جبينه تقبله وهي تتمتم:

- هيا انهض.. لا تتركني هكذا.. لا ترضى بهن بديلا عني.. لا ترتضي بديلا عني.. افتح عينيك يا يحيى وأنظر إلي أنا.. إبتعدن عنه

ثم صرخت بأعلى ما أمكنها من صوت:

دينا العطار

– قلت ابتعدن عنه.. أنا هي

أريج الماضي

عروسه.. أنا فقط.. هو لي أنا.. لي وحدي.. هو من إختارني أنا وأختار لي فستاني.. انظر لي ولفستاني يا يحيى.. أنا هي عروسك يا يحيى.. هيا افتح عيناك لتراني

إنهمرت دموعها حتى أغرقت وجهها حتى تساقطت بضع قطرات على وجهه، أخذت تهزه وتقربه إليها وهي تقول:

– قلت لى ذات مرة أني أجمل من الحور.. هيا.. إثبت لي ذلك وعد إلي..

دينا العطار

يحيى..

صرخة أخري منها بإسمه منها كانت بمثابة

أريج الماضي

الحد الفاصل بين الوعي والإغماء. فقدت وعيها، في ذات الوقت الذي وصل فيه أخويها دياب ورياض، حملها دياب لغرفتها وأمر إحدى العاملات بمهاتفة الطبيب، بينما ظل رياض يحدق في جسمان يحيى أمامه، لا يصدق ما تراه عيناه.

كانت السيدة "زهرة" تغتسل، عندما تناهى لمسامعها الكثير من الصخب والأصوات العالية التي تأتي من الطابق السفلي للفيلا، لذا شرعت في إنهاء ما بدأته سريعا. عند خروجها

دينا العطار

من غرفتها، رأت دياب يحمل فريدا ويذهب بها
أريج الماضي
نحو غرفتها، ركضت نحوه فزعة وهي تسأله:

- ماذا حدث؟ وأين كانت؟

- تقدمي أولا وافتحي باب غرفتها وسأخبرك

وضعها دياب على فراشها ودثرتها أمها، ثم جلست جوارها وهي تقول بصوت يرتجف خوفا وقلقا:

- أين كانت.. وماذا يحدث بالأسفل

- يحيى بالأسفل

قاطعته بدهشة:
دينا العطار

- ماذا يفعل هنا الآن.. ولماذا هي هكذا.. وأين الطبيب

أريج الماضي

- لا تقاطعيني

قالها بحدة وهو يزفر محاولا تنظيم أنفاسه، زفر مرة أخرى ثم قال:

- قُتل يحيى.. وجسمانه هنا بالأسفل

بهتت السيدة زهرة وهي تستمع لهذا النبأ وقالت دون تصديق:

- لا تمزح!

لم يتمالك أعصابه فرد بحدة شديدة:

دينا العطار

- وهل هذا وقت مزاح.. أو موقف يمزح فيه أحد

أريج الماضي

حاولت إستيعاب ما قاله وهي تزدرد ريقها ثم قالت في صدمة وقد وضعت كلتا يديها على فمها:

- يحيى.. كيف؟!

أجاب بإستياء:

- حتى الآن لا أعلم شئ سوى أن عريس أختي قد قتل وفقط.

بالطبع هو يعلم كل شئ من هلال الذي أخبره بعدما إختفى في لمح البصر حين رأى

الدماء تندفع من جسد يحيى وتغرق ملابسه، فركض حتى وصل لسيارته، قادها سريعا حتى وصل لأخيه الأكبر، الذي رغم زفاف أخته إلا أنه إضطر للذهاب للعمل في هذا اليوم، كان قد أنهى عمله للتو حين وجد أخيه هلال يركض نحوه في إضطراب وهو زائغ بصره. لم يقل له سوى:

أريج الماضي

- خبئني أولا.. وسأخبرك بكل شئ

أخذه "دياب" لشقة خاصة به، لا يعرف أحد عنها شئ، دخلا معا للشقة فجلس هلال على أقرب كرسي صادفه، بينما أخذ دياب يتطلع إليه قبل أن يقول:

دينا العطار

- هيا.. أي مصيبة أوقعت نفسك

أريج الماضي

فيها هذه المرة

لم يستطع النطق سوى بكلمتين لا ثالث لهما:

- يحيى.. مات

شخصت عينا دياب من هول ما يسمع وقال في صدمة وذهول:

- ماذا؟!

أجاب وهو يرتجف رعبا وهلعا:

دينا العطار

- ارجوك.. لا وقت لدينا.. اذهب

أريج الماضي

حالا واستطلع الوضع.. فمن المؤكد أن الخبر قد ذاع وإنتشر الآن

دنا منه دياب بوجه أحمر من الغيظ، رفع يده صافعا إياه حتى أدمى وجهه وهو يردد:

- أنت؟! كيف؟ كيف؟

- خطأ.. قتل خطأ

قالها وهو يبتعد ليتفادى ضربات أخيه

- ربنا ينتقم منك

قالها دياب بعينان حمراوان قهرا وألما قبل أن يخرج مهرولا ويغلق الباب خلفه بالمفتاح

كي لا يتمكن من الخروج حتى يأتي إليه، في
أريج الماضي
حين وضع هلال رأسه بين راحتي يديه غير مصدقا لما حدث.

إنتشر خبر مقتل عريس الليلة كإنتشار النار في الهشيم، في حين كانت السيدة "هبة" تطرق باب غرفته، بعدما قامت بالإتصال به أكثر من مرة، ولم يأتها منه أي جواب، يبدو أنه وضع هاتفه على الوضع الصامت، لذا ذهبت إلى غرفته، تريد أن تعطيه هدية عروسه التي أحضرتها لها، تريده أن يقدمها لها بنفسه، لكن يبدو أنه ليس بغرفته، ومن الجائز أنه قد

دينا العطار

نسى هاتفه داخلها، لذا لا يرد على مكالماتها
أريج الماضي
له، ترى أين ذهب؟!.

كادت تصل إلى غرفتها حين تناهى إلى مسامعها صوت إثنين من العاملين بالفندق، يسيران بالرواق ويتناجيان فيما حدث منذ قليل للعريس نزيل الفندق والذي تعرض لطلق ناري بصدره، إستوقفتهما تستوضح منهما عن أي عريس يتحدثان.

لا تعرف كيف وصلت لفيلا "آل ماضي"، إلا عندما ناداها السائق وهو يركض خلفها لتنقده أجرته، مدت له يدها بكل المال الذي
دينا العطار
أخرجته من حقيبتها وهي تركض. وصلت

لباب الفيلا المفتوح على مصراعيه، دخلت
أريج الماضي
وهي تتفحص الوجوه أمامها، وجوه كثيرة تناظرها، يخيم عليها الحزن، تساءلت في نفسها: لم كل هذا الحزن البادي عليهم، ألا يعقلون هؤلاء؟!، إنه عرس وحيدها لذا من المفترض أن تتضح وجوههم بالسعادة لا البؤس، لم تحتمل تفحصهم لها، لذا وبأقصى ما استطاعت من صوت نادت:

- يحيى

خرج رياض من إحدى الغرف مسرعا في إتجاهها، نظرت إليه بتساؤل، قبل أن تنطق:
دينا العطار

- أين يحيى.. ولم أتى باكرا هكذا؟

أريج الماضي

قال بصوت متحشرج مرير لم تلحظه هي من فرط لهفتها على وحيدها:

- إهدئي عمتي.. يحيى بالداخل.. يريدك.. تعالي معي.. هيا

كذبا، عاد الدم لأوردتها مرة أخرى، وعادت الحياة لنابضها بقوة بعدما أوشك على السكون نهائيا، وبحذر وقلق شديدين سارت خلفه حتى دخلت لنفس الحجرة التي خرج منها منذ قليل، وجدت السيد "شوكت" حمى إبنها، والسيد "شهاب" عمه، و"دياب" أخا العروس من أبيها،

دينا العطار

وشخص أخر لم تتعرف عليه، بحثت عنه في

أريج الماضي

وجوههم ولم تره فقالت وهي ترتجف خوفا:

- أين يحيى.. أين إبني؟!

كان السيد "شهاب" عمه أول من رد عليها:

- يبدو أن عريس الليلة مشغول قليلا.. إجلسي قليلا أريد محادثتك في أمر هام.. حتى يأتي يحيى ويطمئنك بنفسه.

لم ترى سوى الوجوم البادى على الوجوه، ومتأخرا جدا أدركت، فسقطت مغشيا عليها في الحال.

دينا العطار

تكفل شباب عائلتي الهلالي وماضي بإنهاء
أريج الماضي
جميع الإجراءات اللازمة للدفن بعدما شخص الطبيب الشرعي الوفاة بأنها حالة سكتة دماغية، مع وجود طلق ناري بالساعد الأيمن للمتوفي. وعليه تم إستخراج شهادة الوفاة، بعدما إستغل السيد " شوكت" بعض نفوذه لوأد أي تحقيقات أو تساؤلات قد تلوح في الأفق، فقط طلق ناري طائش أطلق من مجهول، وتم حفظ المحضر.

باتت السيدة" إجلال" بالغرفة جوار السيدة هبة النائمة بسلام تحت تأثير المخدر، بينما
دينا العطار
ظلتا فريال والسيدة "زهرة" رفقة فريدة، أما

الأخوين دياب ورياض وأيضا يوسف لم يفارقوا
أريج الماضي
الجسمان، كانت السمة الوحيدة المشتركة بين جميعهم هي الحزن، والقلق على ما ستؤل إليه الأمور.

مع بزوغ فجر اليوم التالي، كانت فيلا "آل ماضي" كخلية نحل، في حالة يقظة تامة، لم تمس أي من قاطنيها سِنة من نوم.

توجهت السيدة "هبة" بمجرد إفاقتها برفقة السيدة "إجلال" ويوسف بعد أن أخبرته والدته برغبة زوجة عمه رحمه الله رؤية إبنها.

دينا العطار

ربط الله على قلبها، فكانت في حالة غريبة
أريج الماضي
من الهدوء والإستسلام للأمر الواقع، عندما دخل عليها الغرفة، دنا منها يساندها، أمسك بذراعها الأيمن، وبدأ يخطو معها خطوات بطيئة.

وقفت خارج الغرفة قليلا، تستجمع شجاعتها، طفرت الدموع من عينيها، وكادت أن تهوي أرضا، لولا أمسكها يوسف بقوة، تشبثت هي أيضا به، حاولت أن تتمالك زمام نفسها، وتستعيد توازنها، بدأت تخطو لداخل الغرفة، وأنفاسها تتلاشى مع كل خطوة
دينا العطار
تخطوها للداخل قال يوسف مشفقا عليها:

- من الأفضل ألا تفعلي

أريج الماضي

إزدردت ريقها بصعوبة بالغة، وقالت ببعض صلابة مزيفة:

- أتريد أن تحرمني وداعه.. كما حرمت منه

قال بتأثر:

- إني أخشى عليكِ

- سل أبيك عني.. يوم قتل عمك يوسف يا يوسف

قال يوسف في دهشه وتعجب:

- قتل!

دينا العطار

قالت في تأكيدٍ وإصرار:

أريج الماضي

- أجل.. وماذا ينجب القتيل سوى قتيل مثله.. وماذا ينجب القاتل؟!

لم تستطع السيدة "إجلال" أن تدخل معها، لذا توقفت خطواتها عند الباب، أيضا خرج كل من "دياب" و"رياض"، فظل يوسف وحده معها.

إقتربت منه، حاولت منع دموع قهرها المنهمرة، حتى تتمكن من رؤيته بوضوح، أزاحت الغطاء عن وجهه، ثم أكملت حتى أزاحته عن جسده كاملا، أخذت تتطلع إليه من

دينا العطار

خلف غشاوة دموعها، فخُيّل إليها أنه ينظر
أريج الماضي
إليها، تكاثفت دموعها أكثر وتكاثرت فأخذت تسيل منها بلا توقف وهي تنظر لعينيه بإبتسامة حزينة متألمة، وبصوت متحشرج مبحوح:

- لماذا إذا زعموا أنك مِتُ.. ها أنت تنظر إلي نظرتك المحببة إلى قلبي

تواردت على ذهنها ذكرياته النابضة بالحياة معها، يوم علمت بحملها، يوم وفاة أبيه قبيل ولادته، يوم ولد يتيما، أول عيد مولد له، أول يوم له بالمدرسة، نتيجة الثانوية، إلتحاقه
دينا العطار
بالجامعة، رحلاته الصيفيه، أول يوم عمل له،

خطبته لفريدة إبنة عمته رغم ممانعتها، موافقتها لئلا يحزن، ثم يوم عرسه بالجنة، وتفوز هي برهانها معه بعدم زواجه منها، وتخسره هو.

أريج الماضي

لم تحيد ببصرها عن عينيه، وذكرياتهما معا تتوافد وتتوالى عليها، بعد فترة، بدأت تمسح جسده بعينيها، حتى وقعت عيناها على موضع الرصاصة، رأت الحرق فشعرت به يحرقها في نفس الموضع لديها، مدت يدها تتلمسه، وإنحنت تجاهه تهمس له وقد غمرتها الكآبة:

- خذ نبض قلبي لتعيش أنت.. أما أنا فقد إكتفيت

دينا العطار

إستمرت في همسها وقلبها يحترق لوعة عليه:

أريج الماضي

- ألا ترحمني.. ألا ترحمني وتعود.. لتملئ الأجواء بدفء أنفاسك التي تعطر بأريجها أيامي

أبطأت من وتيرة همسها:

- أيا ثمرة الفؤاد وقرة العين.. لقد إنشق قلبي لفراقك.. وسكن وجيب الفؤاد

بدأت تنتحب مستمرة في همسها:

- ماذا أقول لمن غمرني الشوق إليه عند لقياه.. أني ضيعت أمانته.. استحلفك

بالله اجبني.. ماذا أقول عن أمانته..

أريج الماضي

وكيف أقول له أني ضيعت الأمانة من بعده.

شعرت بيد تلامس كتفيها، فأقشعر بدنها.. رفعت بصرها نحو صاحب اليد.. فوجدته "يوسف" حاول الحديث فأبى صوته إلا أن يخرج مهزوزًا باكيا:

- استحلفك أنتِ بالله.. يكفي هذا

بصوت مختنق متحشرج ولازالت دموعها تحفر أخاديد على وجهها:

- قتلوه.. قتلوه يا يوسف

دينا العطار

لم يعد يحتمل أكثر فانهار على ركبتيه

أريج الماضي

باكيا.. ثم قال بمرارة وغصة تستحكم بحلقه:

- أقسم لكِ أني سأقتص له.. ولو بعد حين.. سأثأر لكل دمعة حزن سقطت منك .. ومن كل ألم ووجع ألمّ بكِ

بفزع واضطراب سيطر على مقلتيها:

- لا.. لقد فقدت يوسف الزوج.. وعوضني الله بيوسف الإبن.. فوالله لا أرمي بك إلى التهلكة أبدًا.. إني لأرى فيك يوسف..

دينا العطار

بإبتسامة شارده، وصوت باهت فقد بريق الحياة، أكملت:

أريج الماضي

- أجل.. فقد أخذت أسمه وشبهه.. والآن أرى فيك يوسف ويحيى معا.. فكفى فقد يا يوسف.. كفى.

جاء يوسف لها بمقعد، استقرت عليه وأخذت تنظر لوجه إبنها المبتسم، فاقتربت من أذنه تهمس له:

- في الجنة مع الحور العين بإذن الرحمن.. عرسك اليوم في الجنه.. موعدنا هناك قريبا.

دينا العطار

صمتت تنظر إليه في حنو وحسرة، ثم أمسكت بمصحف كان بجانبه، وشرعت في القراءة، كانت تقطع قراءتها كثيرا لتمسح دموعها التي تشوش رؤيتها، أو لتسيطر على نهنهاتها واضطراب واهتزاز صوتها، داهمهما الوقت سريعا، قطع يوسف تلاوته هو الأخر حين دخل دياب لينبهه لضرورة خروجها، لتجهيز الجسمان للجنازة، اقترب يوسف منها هامسا:

أريج الماضي

- هيا ودعيه.. لولا الوقت لتركتك .. لكن اعذريني.. كل شئ مرتبط بميعاد

دينا العطار

قامت تلقي عليه نظرة أخيرة، أخذت رأسه

أريج الماضي

بين يديها ترفعها إليها، وتحتضنها في حنو هامسه:

- هكذا هي ضمتي لك.. أنا أمك.. وهكذا ستكون ضمة أمك الأرض.. حانية مشتاقة.. ضمة مرحبة رقيقة.. ضمة رفيقة.. فلا تخف يا صغيري.

مددته مرة أخرى ثم أخذت تنظر إليه وهي تقول:

دينا العطار

- استودعك الله.. اوصيك أن تقرأ

أريج الماضي

أبيك مني السلام.. مع السلامة يا يحيى..

وكأن لك من أسمك نصيب يا يحيى.

مالت على وجهه تغرقه بقبلاتها، ثم أمسكت يده تقبلها وأخيرا انحنت نحو موضع الحرق بقلبه تمطره بقبلاتها.. قال يوسف:

- يكفي هذا

فرفعت رأسها تقبل عيناه النائمتان بسلام هامسة بحروف تقطر قهرا: "ردد يا قلب أمك معي: يا أرض يا أمنا.. ضميني ضمة حنيّنه.. ضمة شوق وحنين.. ضمة حب

دينا العطار

وحنان ".. أردفت وأنفاسها تلفح وجهه: "يا حظ التراب بك يا يحيى.. إني لأحسده على ضمه لك".

أريج الماضي

ثم رفعت عينيها نحو السماء تناجي الله بعزم:

- اللهم ألهمني الصبر

امسكها يوسف يرفعها عن ولدها بقوة محاولا السيطرة على ارتجافاتها التي ازدادت قوة بين يديه وعلى نشيجها، سار بها خطوات قليلة حتى وصل إلى باب الغرفة ففتحه وحاول اخراجها وهي تقاومه وتلتفت برأسها للخلف

دينا العطار

نحو وحيدها، حاول سحبها للخارج بلطف
أريج الماضي
ورفق وساعده رياض في ذلك، فما كادت تخطو بقدميها خارجا حتى حاولت الافلات منهما وهي تصرخ:

- قلبي يحترق.. قلبي يحترق يا يوسف.. كما احترق قلب ابني.. آآآآآه يا يحيى

وتاهت منها حروف أخر كلماتها قبل أن تسقط مغشيا عليها.

تقدم شباب عائلتي ماضي وهلال إلى صفوف المصلين الأولى، ثم تحرك الحشد نحو
دينا العطار

مدينة الموتى، حيث القبور تفوح منها رائحة
أريج الماضي
الموت، ولا صوت يعلو فوق صوت الصمت، صمت مهيب يملء المكان، ولا شئ أخر سوى المدافن على كلا الجانبين.

وصل الجميع، فكان أول من تحرك هو يوسف تلاه أخاه مؤمن، تبعهما دياب ورياض. رفض يوسف بشدة أن يحمله أحد سواهم، كان جسده دافئ مرن غير بارد ولا متصلب، حمله أربعتهم لمثواه الأخير، أصعب حقيقة، النهاية، بل نهاية البداية.

وتحت شعار لا عزاء، بدأت مراسم العزاء،
دينا العطار
وأثناء ذلك شعر أحمد –الأبن الأصغر للسيد

شهاب- بالاختناق والإعياء الشديد، فتشبث بعضد أخيه مؤمن الذي كان يجاوره، التفت مؤمن إليه ليرى مابه ويتفقده، وما هي إلا لحظات حتى هوى بين ساعدي أخيه في حالة تشنج قبل ان يفقد وعيه كاملا، حمله أخواه يوسف ومؤمن لسيارة الأخير، استغرقا بعض الوقت في افاقته قبل أن يعود إليه وعيه.

إنقضت أيام العزاء كئيبة.. ثقيلة.. مرهقة للجميع.. ثلاثة أيام، قضى الجميع أول ليوم بأسيوط، مسقط رأس العائلة، ثم عادوا إلى القاهرة لاستكمال اليومان الأخران.

أريج الماضي
دينا العطار

خلال هذه الأيام كانت السيدة "هبه" لا تشعر بمن حولها، ابتلعتها فقاعة كبيرة من الذكريات النابضة غير المتناهية. وفتاة تلفظ سمعتها أنفاسها الأخيرة، لتكون لقمة سائغة تلوكها الأفواه بلا هوادة أو رحمة. أما العروس فكانت أقرب إلى الغيبوبة منها إلى اليقظة، فقط تهذي بكلمة واحدة:

أريج الماضي

- ابتعدن عنه.. ابتعدن عنه

وتوالت الأيام، ثلاث عائلات على شفا حفرة من النار، قد يمتد لهيبها ليلتهم خيرة شباب تلك العائلات في طرفة عين، فالجميع يفكر

دينا العطار

ويخطط للخطوة التالية. ترى من سيبدأ بالتصعيد؟!

أريج الماضي

دينا العطار

حظائر تحترق، مخازن تحترق، وسمعة فتاة أريج الماضي أيضا تحترق، حرائق تشب وتندلع، وغضب يشتد ويستعر، وقبضة أمنية تكاد تنفلت الأمور من زمامها، وأمتد صدى ما يحدث لأقصى مداه.

الحريق الأول كان لحظائر الماشية لدى السيد شوكت، قبل أن تشب النيران في مخزن غلال تابع للسيد حامد، وكما ألسنة اللهب التي وصلت لعنان السماء، كانت ألسنة الناس تطول كل أخضر ويابس، ودائما وأبدا الفاعل مجهول.

دينا العطار

إمام ودياب، أيقونة التهور ورمز العنفوان في هاتين العائلتين، لن يكفا حتى يقتل أحدهما الأخر، ووالديهما رغم غضبهما الظاهر مما يفعلاه، إلا أن في أعماق نفسيهما يشعرا بالرضا التام عما يفعلاه ولديهما.

أريج الماضي

يوم وأخر، وحريق جديد يلوح بالأفق، فأر مشتعل يهرول بين حقول سنابل الذهب، مساحات شاسعة من الأراضي التابعة لعائلة ماضي والمزروعة بالقمح التهمتها النيران، فاستحالت أقوات الناس لرماد لا يثمر ولا يغني من جوع، والفاعل فأر.

دينا العطار

السن بالسن، والعين بالعين، وكلاهما ظالم

أريج الماضي

لكن البادئ هو الأظلم، لذا وبنفس الطريقة، وهذه المرة هرة كبيرة حولت مزرعة الموالح المملوكة للسيد حامد إلى ركام.

لذا استقبل كلا الأبوين مكالمة قصيرة جدا، وشديدة اللهجة، من مدير أمن أسيوط، يدعوهما للحضور لإيجاد حل لما يحدث، ووقف نزيف الخسائر المستمر، كما أستقبل أيضا السيد شهاب نفس المكالمة. واستقبل السيد شهاب مكالمة مثيلة وإن كانت لهجتها مراعية.

دينا العطار

وقبل الإجتماع بعدة ساعات، طلق ناري من مجهول، لم يخطئ هدفه، لكنه أيضا، لم يقتل دياب، استقر بكتفه في موضع آمن لا خطر فيه، ليستمر فتيل التحدي مشتعلا حتى أخر مداه.

أريج الماضي

وتم تأجيل الإجتماع لليوم التالي، بعد أن تم دعوة كبار عائلات المدينة، ليصبح مجلس حكماء عرفي، وليس اجتماع ثلاثي مصغر، للأطراف ذوي العلاقة.

وفي اليوم التالي أصيب السيد حامد بأزمة قلبية حادة نُقل على إثرها للمشفى، وللمرة

دينا العطار

الثانية على التوالي تم تأجيل مجلس الصلح
أريج الماضي
حتى اشعار أخر.

في المشفى سمح الطبيب للأبن الأكبر بالدخول لأبيه، ولم يزد الأب عن جملة:

- هلال.. قبل صباح يوم غد.

رد باستياء:

- لم يظهر بعد.. وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته.. منذ فعل فعلته وهرب

بتفكير أمر الأب:

- إذن اتبع دياب كظله.. وسيصلك بأخيه

دينا العطار

..

دماء على الاسفلت.. الجمعة الدامية

إطلاق نار كثيف، بل وابل من الرصاص، كان يستهدف سيارة دفع رباعي تسير على الطريق بعد صلاة الجمعة، يقبع بداخلها دياب ورياض وإبنه شوكت الصغير -كما يدعوه- ذو الأربع سنوات، تحولت السيارة لكتلة من الصفيح المحطم -كأنها ورقة رقيقة تمت كرمشتها ورميها باهمال- بعد إنقلابها عدة مرات حول نفسها وسقوطها داخل الأراضي

الزراعية الممتدة على جانب الطريق، وعلى
أريج الماضي
الجانب الأخر للطريق قبع دياب والصغير داخل المزروعات، بعدما تمكن من دفع نفسه وهو يحمل الصغير والقفز به خارج السيارة، قبيل إنقلابها بلحظات قليلة. كان الصغير قد ألح وأصر على القيادة فوضعه دياب فوق ساقه ليقود معه. أما رياض فقد أصابته إحدى الرصاصات حينما كان دياب يصرخ به ليقذف بنفسه خارج السيارة عندما يبطئ من سرعته قليلا، ولحظه السئ لم يمهله الوقت ليفعل، فقد استقرت الرصاصة في رقبته فأردته قتيلا في
دينا العطار
الحال.

وللقدر أحكامه، ففي ذات التوقيت، كان قاتل مأجور، كل هدفه الترهيب فقط لا غير، أو درأا للشبهات.. طلقة واحدة من المفترض لها أن تمر بالجوار.. لكن كان لقدر الصغير "حامد" إبن "حسن زهران" رأي أخر.. فأثناء عودته مع أبيه بعد أداء صلاة الجمعة، إنزلق الحذاء وانفكت عقدة رباطه، استوقف أباه لعقده مرة أخرى، فأتخذا جانبا جوار أحد المصاطب المصطفة جوار المنازل، إنحنى الصغير رافعا ساقه ومستندا بها على المصطبة أمامه، ومن خلفه أباه. إستدار الأب برأسه ينظر جانب

الطريق في حين إنتهى الصغير ورمى نفسه بين ساعدي أبيه قائلا بدلال:

أريج الماضي

- احملني يا أبي

قبله أباه وهو يحكم ذراعيه حوله ويستدير به، في ذات اللحظة التي استقرت فيها الرصاصة في ظهر الصغير، بعدما إهتزت يد القاتل فزعا من صوت غراب أطلق صيحته على حين غِرّةُ منه.

تلطخت يد الأب بدم فلذة كبده وهو يركض به نحو مشفى المدينة ويركض خلفه المارة ممن يروه يهرول حاملا إبنه الغارق بدمائه،

دينا العطار

رآه سائق سيارة كان متجها نحو منزله فحمله
أريج الماضي
وإبنه نحو المشفى.

وتأبى الجمعة الدامية أن تنتهي قبل المزيد من الأحداث، فالعقل المدبر أراد توزيع الدماء على الثلاث عائلات بالعدل لطمث الحقيقة.

حريق هائل بمصنع عائلة الهلالي للدراجات البخارية وإمتد الحريق لمخازن قطع الغيار الملحقة به، بدأ الحريق أثناء صلاة الجمعة، وإمتد حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، بعدما تم الدفع بتسع عربات لإطفاء الحريق، لم يتمكن رجال الإطفاء من السيطرة
دينا العطار
على الحريق حتى منتصف الليل، فإنهار جزء

كبير من مبنى المصنع الرئيسي، وكالمعتاد
أريج الماضي
في مثل هذه الأحوال وبعد المعاينات الأولية لموقع الحادث، صدر التقرير المبدئي، ماس كهربائي، هو المتسبب في هذه الكارثة، وخر السيد شهاب حامدا لله فلا يوجد خسائر بشرية.

والحوادث جميعها قيدت ضد مجهول، والمصدر والعقل المدبر فعلا مجهول.

أما الأمل، فهو ما جعل دياب يهرع في محاولة أخيرة ناحية السيارة المنكمشة على نفسها لإنقاذ أخاه الميت، لولا إيقاف أصحاب السيارات المتوقفة على الطريق له، ولطف به
دينا العطار

القدر عندما إمتصت المزروعات الخضراء
أريج الماضي
والحشائش قوة إصتدامه والصغير بالأرض.

والأمل أيضا هو ما جعل حسن لا يصدق موت صغيره ذو الست سنوات بعدما اخترقت الرصاصة قلبه من الخلف، وحمله كما أراد لكن لمثواه الاخير.

وذات الامل، الذي أنقذ السيد شهاب من من الإفلاس إثر معرفته بحريق مصنعه، فمبلغ التأمين سيكفي لإعادة الإعمار والبناءمن جديد.

دينا العطار

أريج الماضي

نون النسوة.. ومجلس الحكماء العرفي

تشابك الأطراف جعل الجميع يشعر بالحيرة والتخبط، حتى عائلة القتيل، وقبل أن تأخذ بثأرها ممن قتل إبنها، نالها جزء من هذه الفوضى. لذا، وبمباركة وحضور رئيس الأمن إنعقد المجلس بعد عدة شهور من الجمعة الدامية، كانت المدينة كلها خلال ذلك الوقت تعيش فوق صفيح ساخن .. استنفار أمني على مستوى المدينة، الأمن يطوق المدينة بجميع شوارعها الرئيسية والفرعية منها، حتى

دينا العطار

الأزقة لا تخلو من التواجد الأمنى بها، أُعلنت

حالة الطوارئ في المدينة، ولا أحد يتجول بمفرده، الرفقة هي السمة المميزة للمتجولين نهارا، وحين ذهاب الشمس وحلول الظلام، لا يبرح أحد منزله، سيطر الظلام على النفوس، ولا سبيل لانقشاع الغمة، سوى السعي نحو النور والتنوير، نبذ النزعة إلى العنف، وإعمال العقل والشرع.

أريج الماضي

وأثناء انعقاد الجلسة دوى صوت السيد شهاب معترضا بغضب مخيف:

دينا العطار

- وما ذنب أبنائي.. أنا عم القتيل..

أريج الماضي

أما المجني عليه لا الجاني.. يقتلوا إبني..

وآخذ إبنتهم أراعيها لهم..

وثارت ثائرة السيد شوكت هو الأخر:

- ومن أخبرك أني وافقت بوضع يدي في يدك الملطخة بدماء إبني.. ولولا حفظ الله لكانا إبناي وحفيدي معهما.. لن أضع يدي في يد قتلة إبني

قال السيد شهاب:

دينا العطار

- هذا إتهام صريح لا أقبل به..

أريج الماضي

القتيل في عائلتي أنا.. والحريق في ممتلكاتي أنا

بصرامة رد السيد شوكت:

- قتيلكم أصابه طلق ناري من مجهول.. ولم يشهد أحد بغير ذلك.. وحريقكم لا يد لى فيه.. أما قتل إبني فكان عن قصد وتدبير وترصد.. وقبل أن تتشدق علينا ببرائتك هذه.. سل إبنك يوسف

دينا العطار

إنتفض السيد شهاب واقفا من مقعده قائلا بعنف:

أريج الماضي

- هذا بهتان مبين.. وستحاسب عليه.. ولا ترمي إبني بالباطل لتنقذ إبنك القاتل..

- كيف لإبني أن يقتل إبن خاله وعريس أخته.. هذا هو الجنون بعينه.. قتيلكم هو قتيلنا نحن أيضا.. وأنا وإبني أحق بأخذ ثأره ممن قتله.. لا أن نتهم بذلك.. أما أنتم

دينا العطار

وأشار بسبابته نحو السيد شهاب والسيد حامد، ثم أكمل هادرا وقد احمر وجهه، وباتت عيناه بلون الدم وقد فقد السيطرة على نفسه:

أريج الماضي

- لن أمد يدي إلا لإجتزاز عنقيكما

كان السيد حامد يتابع ما يحدث بهدوء، ولا يصرح بما يدور بخلده، وقد تكفلا الأخران بما يريد، حتى أشار إليه السيد شوكت وسمعه، فهب منتفضا من مقعده يرد إليه إشارته قائلا:

- احترس لحديثك.. وإلا ستدفع ثمنه دما

قال السيد شوكت:

دينا العطار

- هل تجرؤ على تهديدي

أريج الماضي

سادت حالة من الهرج الشديد داخل المجلس.. كلٌ يبارز الأخر بلسانه.. لم تفلح جهود رئيس المجلس في تهدئته.. فأخذ يضرب الأرض بعصاه الأبنوسية.. ولا أحد يستمع سوى لعقله وهواجسه.. إشتد الغضب وخرج الجميع عن طوره حتى إضطر الشيخ – رئيس المجلس كما يدعوه – إلى إخراج سلاحه الناري من مخمده.. وإطلاق عدة أعيرة نارية في الهواء من النافذة خلفه.. فساد صمت مشحون.. وبكل ما أوتي من قوة وبصوت

دينا العطار

جهوري ونبرة غاضبة حاسمة مسيطرة:

– الجميع سيلتزم بما يحكم به المجلس.. وإلا سوف يُنبذ ويطرد من يعارض حكم المجلس.. وحتى الآن لم يصدر المجلس أي أحكام

أريج الماضي

استمر الشد والجذب بين الخصوم لعدة ساعات.. ولولا إحكام رئيس الجلسة على الوضع بيد من حديد.. لقتل بعضهم البعض بيد باردة.. وحين نطق بالحكم انسحب الثلاثة خصوم وتابعيهم من المجلس.. فأعادهم بعض الحضور ذوي الحكمة.. فأعضاء المجلس يصرون على إطفاء النار بالبنزين.. والسبب يعلمه الجميع.. والسبب يعلمه الجميع..

دينا العطار

ليكونوا أشد حرصا على حياة أنسبائهم..

أريج الماضي

فلطالما حضروا هكذا مجالس.. فكيف لعائلة القتيل أن تحرص على حياة القاتل.. بل يصير من قبيلتهم، يسكن في مساكنهم وتهديه عروس.. تزف إليه مكافأة له على قتله أحد أبنائها.. فالمرة القادمة سيحرص على قتل مثنى وثلاث.. طالما الحل السحرى يؤتي بثماره.. وحتى تمتلئ عصمته عن أخرها سوف يستمر بالقتل.. وربما يقتل زوجة حتى يستبدلها بأخرى.

قال الشيخ بنبرة ذات مغزى موجها حديثه لحامد:

دينا العطار

- ما منعك يا حامد ألا توافق.. لا أفهمك.. فالحكم لصالح إبنتك

أريج الماضي

رد حامد بعزم وقوة:

- إبنتي لا صالح لها فيما يحدث.. كما أن لها كل الحق في تقرير مصيرها.. إبنتي في بيت أبيها في عز وكرامة.. ولن استخدمها لتسوية نزاع ليست طرف فيه

رد الشيخ ناظرا له بحدة:

- حتى وإن كانت سمعتها طرف فاعل فيه!

دينا العطار

- بل مفعول.. إبنتي تم الزج بها في أمر هي منه براء.. وأنا أطالب بحقها لا بتزويجها.. وأين حق الطفولة التي إغتيلت وانتزعت منها الحياة.. أين القصاص.. وممتلكاتي أين التعويض عنها

أريج الماضي

صمت برهة ثم أردف:

- إذا تنازلت عن خسارتي في اموالي وممتلكاتي.. فلن أتنازل عن حق حفيدي.. ولن أتنازل عن حق إبنتي.. رفضت هذا النسب من قبل.. وها أنا أرفضه أمامكم جميعا.. لن أزوج إبنتي لهلال مهما حدث.. كيف أزوجها لمن تطاول عليها..

دينا العطار

وظل يلاحقها في الطرقات هنا وهناك..

أريج الماضي

كيف أزوجها لمن لا نخوة له.. ولا أخلاق يملك..

قاطعه السيد شوكت منتفضا من مكانه كالملدوغ:

- إبنتك هي عديمة الأخلاق لا إبني.. ولا بيت في المدينة إلا ويلوك سيرتها كالعلكة في الأفواه

ساد الغضب وعمت الضوضاء المجلس مرة أخرى.. حتى كادت تتطاول الأيدي بل الأسلحة.. فالحديث عن النساء والخوض في

دينا العطار

أعراضهن أشبه بالمشي على الأشواك بل الألغام.

أريج الماضي

كادت الجدران أن تتصدع على إثر صوت العصا وضرباتها العنيفة فوق الأرض الرخامية، وبصوت زاعق عنيف فاقد للصبر هدر الشيخ في عنفوان:

- يكفي هذا .. اصمتوا جميعا

سادت الهمهمات والأحاديث الهامسة حتى بدأ الشيخ الحديث مرة أخرى قائلا للسيد شوكت:

دينا العطار

- غرضك من هذا مفهوم لدينا.. فلا

أريج الماضي

داعي لافتعال ما لا يحمد عقباه.. عليك وعلى ولدك

ثم صمت مرة أخرى يفكر وهو ينقر بعصاه ويهز رأسه للأمام وللخلف مع دقات العصا.. ثم عاد يقول بهيبة ضاربا بعصاه بقوة مثبتا إياها في الأرض:

- أنت يا حامد ستلتزم بما نقول.. من حقك أن ترفض شخص من سيتزوج بإبنتك.. لكن ليس من حقك رفض الفكرة ككل

دينا العطار

قال حامد:

أريج الماضي

- لن يحدث.. إبنتي لن تتزوج رغما عنها.. ولن تكون بند في صفقة

رد الشيخ بتهديد:

- إذن فلترحل عنا.. لا أملاك لك بيننا.. أمامك لصباح يوم غد.. لتأخذ ملابسك وأموالك السائلة.. بعد سداد مبالغ الإيصالات التي وقعت عليها قبل الجلسة.. فلا أرض لك لدينا..

زفر الشيخ بقوة ثم أكمل:

- هل من معارض لقرار المجلس

وصمتت الأصوات.. فلا تسمع حتى همسا واحدا.

أريج الماضي

إحتقن وجه حامد بشدة.. وقد صدمه صمت أفراد عائلته.. وألجمه قرار الشيخ بعدما وضعه بين المطرقة والسندان.. فإما الخضوع وإما الرحيل.

تم الضرب بجميع القواعد القانونية عرض الحائط، الجميع مدان حتى يثبت العكس، والكل متورط حتى تثبت براءته، فالمصاب عظيم. ولأن لا أحد برئ سوى الطفولة التي أغتيلت، والحق في الحياة التي أُنتزعت من القتلى. تم الإتفاق رغما عن البعض وتحفظ

دينا العطار

البعض، تم الإتفاق بنصف عقل، والنصف
أريج الماضي
الأخر يتوعد ويقول مهلا.

زواج بنكهة الدم.. هذا ما يطلق على هكذا إتفاق.. فقد أوصى المجلس، بل حكم بزواج إمام من فريدة، كما أوصى يحيى صاحب الشرارة الأولى في بحر الدم.. وزواج أحمد ابن السيد شهاب من أريج بعدما رفض والدها هلال للمرة الثالثة وأمام المجلس.. ورضخ السيد شهاب للإتفاق فنفوذ أعضاء المجلس يمتد ليشمله.. حقنا للدماء وحفاظا على حياة أولاده فتصريح شوكت له عن يوسف لم ياتي عبثا..
دينا العطار
ووافق السيد حامد كرها.. أما زواج هلال

فسيكون من أهلة إبنة خاله شهاب.. ولم
أريج الماضي
يعترض شهاب على زواج إبنته من إبن أخته فلطالما تمنى ذلك.. ورغم كل ما حدث لا يزال يحب هلال.. حتى وإن قتل إبن أخته إبن أخيه.. سوف ينجبان يحيى صغير يعوضه عن يحيى الفقيد..عوض الله له.. فهذا الإتفاق ورغم ما فيه من خلل إلا أن الهدف الأساسي منه واضح للجميع.

وتم الإتفاق على أن يتم عقد القران والزفاف في نفس اليوم بعد شهر من تلك الجلسة.. فهكذا هي تلك الاتفاقات لا تأتي وفق أهواء
دينا العطار
الجميع.. تصافح الحضور والكره بادي على

محياهم.. وتنطق اعينهم بالنفور.. ورغم هذا
أريج الماضي
النفور يبدو أن القدر يصر على جمعهم في رابطة مشتركة.

لا عزاء للسيدات.. ثلاث فتيات بل ثلاث ضحايا تم الزج بهن لإنهاء صراع لا ناقة لهن فيه ولا جمل.. فلطالما تمت المصاهرات لؤاد العداء والخصومات.. ففي هذه الخصومة الثأرية لا أنسب من النسب لإنهاء الوضع المتأزم.. فقديما تم وأد الإناث للإعتقاد أن لا فائدة ترجى من ورائهن.. أما الآن وحين أصبح لهن ثمن تجلت أهميتهن.. وها هن يستخدمن
دينا العطار
كوسيلة لحل صراع تسبب فيه الرجال.. ويعجز

عن حله الرجال.. ولتسيير مصالح الرجال..
أريج الماضي
وللحد من دماء الرجال تأتي أهمية النساء.

وما زالت الأزمة مستمرة.. فبعدما إنتهى المجلس بقليل.. هاتف السيد شوكت إبنه دياب قائلا:

- قابلني عند الجسر حالا

وأغلق الخط مباشرة قبل أن يجيب إبنه.. ذهب إليه دياب وقبل ان ينطق عاجله أباه قائلا:

- خذني إليه حالا
- من؟

دينا العطار

نظر إليه أبيه بحدة وقال محذرا:

أريج الماضي

- دياب

انصاع دياب لأمر أبيه دون جدال.. ساد الصمت بينهما حتى وصلا لباب الشقة التي يوجد بها هلال.. قرع دياب الجرس وأنتظر حتى يفتح له هلال.. كي لا يفاجئ بوجود أبيه أمامه مباشر إذا فتح دياب بنفسه.. بالفعل توجس هلال من رد فعل ابيه حين يفتح له.. لذا شحذ كل همته وأخذ نفس عميق وفتح لأبيه وأخيه.. دخل الأب دون النظر لإبنه وقف على بعد منه فتوجه أليه هلال ووقف يقابله ..

دينا العطار

أخذ يده ليقبلها.. وبعد ان أفلتها.. وبكل عزم

وقوة وطاقة وغل وحقد إمتلكه أباه عليه.. هوى
أريج الماضي
بكفه الغليظة على وجه إبنه، يفرغ انفعال وكبت الستة أشهر السابقة.. فإرتد هلال للخلف خطوتين قبل أن يتماسك ويستعيد توازنه.. ازدرد ريقه بتوتر وإقترب ثانية من أباه.. منكس الرأس محتقن الوجه.. دون أن ينطق ببنت شفة.. تركه أباه وأتخذ اول مقعد صادفه ثم قال آمرا:

- اقعد

فاتخذ مقعدا مقابلا لأبيه .. فقال الأب موجها حديثه لدياب رغم نظره لهلال بتوعد:

دينا العطار

- دياب.. لن أطلب منك

أريج الماضي

الانصراف.. لكن لا اريد سماع صوتك نهائيا.. حتى أطلب أنا منك ذلك

أومأ له دياب بالموافقة.. ثم قعد على مقعد بعيد نسبيا عن أبيه وهلال

قال شوكت لهلال:

- هيا أخبرني بما حدث بالتفصيل.. دون أن تغفل عن أي شاردة أو واردة

قص عليه هلال ما حدث بحذافيره.. فرغم كل ما يتصف به هلال من سوء.. إلا إنه لا يكذب أبدا.. فتلك إحدى صفاته الحسنة إن لم

دينا العشماوي

تكن الوحيدة.. إنتهى هلال من سرد ما حدث..

أريج الماضي

عندها صرخ به أباه بصوت كالرعد:

- هل جننت.. كيف تشهر سلاحك في وجه شخص حتى وإن كنت تتشاجر معه.. لن تأمن عواقب فعلة كتلك.. كيف جرؤت أيها الغبي.. أين ذهب عقلك .. أم ليس لديك منه مثقال ذرة

قال هلال ناظرا للأرض بانكسار:

- صدقني يا أبي .. لم أشعر بنفسي إلا حين رأيته مدرجا بدمائه.. لم يفيقني سوى صوت الرصاصة التي إخترقت

دينا العطار

صدره.. صدقني لم أقصد أي منهما لا هو

أريج الماضي

ولا إمام.. كان مجرد تفريغ لانفعال..

لحظة تهور .. فقدت فيها السيطرة على

نفسي.. سمها ما شئت.. لكني لم أقصد

- تهورك هذا أفقدني إبني

قالها بثبات رغم الوجع.

طفرت دموع من عيني هلال لم يستطع لها

كبتا.. وقال بصوت مختنق:

- منعني دياب عن المجئ

دينا العطار

- كنت لأفقدك.. يكفيني حتى الآن

أريج الماضي

الم فقد إبن .. ويتم حفيد.. وترمل زوجة..

لم أكن لأتحمل فقدك أنت أيضا..

قالها بعاطفة أبوية خالصة وصوت جياش.. رغم كل العوار الذي يكتنف شخصية إبنه .. إلا إنه في النهاية يظل ولده.. يدعو الله أن يصلح حاله لا أن يفقده..

صمت يستجمع قوته وبأسه من جديد .. ثم أردف:

- لقد حكم المجلس عليك

بصوت مهزوز مترقب قال:

دينا العطار

- بماذا؟

أريج الماضي

- الزواج

دون تردد رد:

- لا.. لا أريد

بحزم قال الأب:

- لا إعتراض.. هذا ليس طلب.. هذا أمر.. وحكم مجلس واجب النفاذ

بترقب قال:

- من؟

نظر إليه أبيه بتفحص صامت ليربكه.. ثم قال:

دينا العطار

- أهلة .. بنت خالك

أريج الماضي

- من! كيف! لماذا!

صرخ بهم هلال في الحال دفعة واحدة

- هذا هو الحكم وعليك التنفيذ

- كيف وافق خالي؟!

- جميعنا اتفقنا على هدف واحد .. لا مزيد من الدم.. ولإنقضاء العداوة وجب علينا المصاهرة.. سوف نشترك جميعا في الأحفاد .. فمن يأخذ الثأر من حفيده .. هذا لكم وللمستقبل.. بعد الزواج سوف تنتقل للعيش مع زوجتك بالقاهرة .. كان

دينا العطار

هذا شرط موافقة خالك على الزيجة.. لا

أعلم ماذا يري فيك.. ليزوجك إبنته.. أقسم لك لو لم تكن إبني.. ورغبت في خطبة إبنتي.. وأنا أعلم عنك ما أعلم.. لعاقبتك على تفكيرك هذا.. أعاقبك على نيتك.

أريج الماضي

قال هلال بضيق من كلام أبيه:

- شكرا أبي.. يرى ما لا تراه أنت..
- أتمنى ذلك.. يا إبن خالك..

ثم سأل إبنه :

- ألا تريد أن تعرف ماذا قرر المجلس أيضا؟
- هيه.. زدني!

دينا العطار

- فريدة شقيقتك.. سوف تتزوج إمام

أريج الماضي

الذي تشاجرت معه.. وكدت تقتله

إنتفض هلال واقفا وهو يصرخ:

- لا.. على جثتي لو حدث هذا

قال أبيه بإقرار وتأكيد:

- سيحدث..

ثم بحزم شديد أكمل:

- وليس هذا فقط.. أحمد إبن خالك.. أيضا سوف يتزوج.. من.. ماذا.. قل لي ما كان إسمها.. تلك الفتاة.. على ما أذكر.. كان إسمها

دينا العطار

صمت قليلا ينظر لإبنه الهائج أمامه.. ثم
أريج الماضي
قال بلا مبالاة:

- أريج.. أحمد سوف يتزوج من أريج

كان هلال يحترق حيا وهو يسمع أبيه يقرن إسم محبوبته بأخر .. إحتقن وجهه عن أخره وشعر بتمزق أحباله الصوتيه وهو يقول بصوت مبحوح لا يشبهه إطلاقا:

- لا.. أقسم لك لن يحدث هذا

يشعر بإبنه يتمزق أمامه حيا.. ويعجز عن مساعدته.. يشاهد إحمرار عينيه وأذنيه.. كأنه

دينا العطار

أصيب بارتفاع ضغط الدم.. تأمله قليلا مشفقا عليه.. حاول أن يهدئ من روعه قائلا:

أريج الماضي

- هذه اتفاقات رجال.. وأحكام قضائية.. لامجال للتراجع فيها ولا استئناف.. أحكام نافذة بقوة العرف والعادات والتقاليد.. وانت تعرف ذلك حق المعرفة.

قال إمام بعجز:

- هذه فوضى

رد أباه بتقرير:

- أنت من تسبب فيها

دينا العطار

لفه دوار التفكير قليلا وابتلعه في دائرته ثم قال:

أريج الماضي

- بما انه تم الاتفاق على النسب.. إذن يتزوج إمام أهلة.. وأحمد من فريدة.. وأنا أتزوج أريج

قهقه أبيه وهو يقول ساخرا من إبنه:

- ولماذا لم تحضر وتعرض وجهة نظرك هذه.. او لتكون شيخ المجلس وتحكم بما تريد..

بتر حديثه آخذا نفسا عميقا ثم أكمل محاولا اقناع ولده:

دينا العطار

- اسمعني بني.. زواج فريدة تنفيذا لوصية يحيى .. لذا لا مجال للتراجع عنه

أريج الماضي

عبس هلال بشدة وهو يدرك حقيقة الوضع وقال يتحد أبيه:

- أريج .. وإلا فلا

رد أبيه بتحد أكبر:

- أهلة ورغما عنك

قال هلا بنفاد صبر:

- لماذا لا توافق على أريج

- أبيها هو من رفضك وأمام المجلس.. كان المجلس قد قرر زواجك

دينا العطار

من الفتاة التي اسأت إليها.. وأضررت بسمعتها.. ورغم ذلك رفض أبيها زواجها منك.

أريج الماضي

قال هلال بغيظ:

- هكذا إذن.. لكن لا أفهم سر رفضه إياي بهذا الإصرار.. والعداء الذي يعاملني به

كان شوكت يوافق إبنه على خطبتها.. لعلمه رفض حامد له.. فلن يزوج حامد إبنته لإبن زوجته السابقه .. وهذا ما لا يعلمه

دينا العطار

هلال.. لكنه لم يصرح بذلك لولده كونه لا يعلم
أريج الماضي
بزواج أمه السابق.. لذا قال:

- وكيف تريده أن يعاملك .. وأنت تعترض طريق إبنته.. كن شاكرا لله إنه لم يقتلك.. وأنت تعلم أن هذا يحدث

قال هلال برجاء:

- أبي.. أرجوك .. محاول أخيرة .. فقط لأجلي

رق قلب أبيه وقال برفق:

- صدقني.. رغم أشياء كثيرة.. إلا إنني كنت أوافق بها زوجة لك.. لكن يبدو

أنها ليست من نصيبك.. ارفع الحجاب عن عينيك .. واعط نفسك فرصة لتتقبل غيرها.. ربما تكون أفضل منها وانت من لا ترى.. هذه نصيحتي لك.. فالخسارة الحقيقية في الدنيا.. أنك تخسر نفسك لا أن تخسر فتاة.. فنفسك لن تعوض..

أريج الماضي

نهض الأب من مقعده ثم أردف:

– هيا ستعود معي للمنزل.. فلا حاجة لك للمكوث هنا بعد الآن.

.....

دينا العطار

وصل شهاب لمنزله ظهر اليوم

أريج الماضي

التالي..بعدما قضى ليلته بأحد فنادق المحافظة القريبة من المطار.. صعد لغرفته يستريح من عناء السفر.. وعندما حل الليل .. اجتمعت العائلة حول مائدة العشاء.. كانت السيدة هبة أيضا حاضرة والتي قلما أكلت معهم الفترة الماضية.. أما زوجة يوسف فكانت في زيارة لبيت أبيها ولم تعد بعد.. قال شهاب:

- كيف حالكم جميعا؟

ردت إجلال زوجته:

دينا العطار

- جميعنا بخير الحمد لله.. كيف

أريج الماضي

كانت سفرتك؟

ارتشف القليل من المشروب الموضوع امامه ثم أجاب:

- اسمعي واحكمي بنفسك.. لقد أوصى يحيى بوصية.. وأشهد عليها شاهدان.. وسمعها الحضور حينئذ..

رفعت السيدة هبة وجهها تنظر للسيد شهاب بدهشة.. فأومأ لها برأسه وعينيه مؤكدا وهو يقول:

دينا العطار

- أجل.. هذا ما حدث بالفعل.. لقد أوصى أن تتزوج فريدة من الشخص الذي كان يرافقه حينها ويدعى إمام

أريج الماضي

تسارعت أنفاس السيدة هبة وتركت شوكتها وقد تهدج صوتها:

- كيف؟! ومتى حدث ذلك؟!

رد السيد شهاب بأسف:

- قبيل الوفاة بلحظات.. كما أنه أشهد إثنين ممن كانوا حوله حينها.. وبالفعل حضرا الشاهادن.. وشهدا بما أوصى به

دينا العطار

قالت بتأثر وهي تغالب دموعها وتحاول تنظيم أنفاسها:

أريج الماضي

- إذا فليكن ما أراد!.. ماذا أيضا؟

قال يوسف بترقب:

- يبدو انه ما يزال هناك المزيد

وتمتم أحمد مازحا في أذن مؤمن الجالس جواره: "حاسس بمصيبة جايالي.. يا لطيف.. يا لطيف".. هدأت الأجواء في إنتظار استكمال السيد شهاب -الذي كان ينظر ليوسف بغموض- لحديثه:

دينا العطار

- ولتتم هذه التسوية تم الإتفاق على أن تتزوج الفتاة سبب المشكلة منك أنت يا أحمد

أريج الماضي

غص أحمد ببقايا الطعام بحلقه.. بينما استنثر يوسف الماء بعدما كاد أن يختنق به.. وتوقف مؤمن عن تناول المزيد من طعامه وهو ينظر لأحمد بترقب.. أما السيدتين فظلتا تنظران للشباب أمامهما حينما قال أحمد بغضب:

- يبدو انك تمزح أبي

تجاهل السيد شهاب ما قاله إبنه وأردف:

دينا العطار

- ليس هذا فقط.. وأن تتزوج أهلة من هلال.. وهذا كله بعد شهر من الآن

أريج الماضي

ضحك أحمد بغيظ وهو يقول بسخرية لاذعة:

- يبدو أنها صفقة رائعة.. وما علاقتي أنا وأختي بكل هذا

رد أبيه بغضب ليلجم إبنه قليلا:

- وما كانت علاقة يحيى بهذا أيضا.. شئت أم أبيت سيتم ما تم الإتفاق عليه.. وأنت جزء منه.

هتف أحمد قبل أن ينهض مغادرا المجلس:

- إذا لا داعي للنقاش او التواجد من الأساس

أريج الماضي

تركهم وصعد لغرفته.. لحق به مؤمن على السلم وفرد ذراعه علي كتفيه يطوقه ثم قال:

- اهدأ حتى نستطيع التفكير في مخرج لهذا المأزق

رد أحمد باستنكار

- كيف تطلب منى الهدوء والتفكير وأنا في ورطة كهذه

- إذا لم نفكر بالمنطق والعقل لن نستطيع الخروج منها

دينا العطار

دخلا معا لغرفة أحمد.. فأخذ أحمد يزرع
أريج الماضي
الغرفة ذهابا وإيابا حتى ضاق مؤمن به ذرعا، وقبل أن يهتف به يستوقفه.. ومض عقل مؤمن وأنار بفكرة:

- اسمع لدى فكرة

قال أحمد بضيق:

- ماذا؟

- ما عليك سوى الصمت .. حتى يحين موعد الزواح.. وقبل ذلك بساعات قليلة تكون على متن طائرة متجهة لأي

دينا العطار

مكان.. بامكاني أن اجلب لك عقد عمل..

أريج الماضي

في اي دولة شئت

قال أحمد بتفكير:

- وأهلة أيها المتذاكي.. انتهت منحتها.. وسوف تعود خلال الاسبوعين القادمين

رد مؤمن ببساطة:

- اتركها تعود أولا.. ثم نرتب معها الأمر.. وتسافر معك.. ها ما رأيك؟

باشفاق قال أحمد وقد احمر وجهه مما يخيل له:

دينا العطار

– وأبيك.. والاتفاق.. والكلمة..

أريج الماضي

والوعد الذي قطعه على نفسه للمجلس..

وأخرج عن طوع أبي أمام الناس

قال مؤمن بعدم اقتناع بما يقول أخاه:

– إذن أنت حر.. افعل ماشئت.. ثم هل أخذ أبيك رأيك فيما أقدم عليه.. كل ما أستطاع فعله هو أعلامنا بما حدث.. من باب العلم بالشئ.. لم تفرق معه موافقتك من عدمها..

دينا العطار

قطع الحديث الدائر ارتفاع رنين هاتف
أريج الماضي
مؤمن بالنغمة المخصصة لخطيبته "أمنية"،
خرج للشرفة يستقبل المكالمة:

- مرحبا أمنية.. كيف حالك؟
- الحمد لله .. هل عاد عمي شهاب من سفره
- أجل ..عاد وبجعبته الكثير من المفاجآت... ساخبرك بها لاحقا.. أما الآن فأنا مشغول بأمر هام مع أحمد .. سأهاتفك لاحقا

إغلق المكالمة مع خطيبته.. ثم دخل للغرفة
دينا العطار
مرة أخري.. فلم يجد أخاه.

.....

كان الجميع نيام حين نقر عدة نقرات خفيفة على باب غرفة إبنته.. فإبنته المتباعدة الهادئة أكثر من اللازم منذ الحادثة التي تعرضت لها مذ حوالي عامين او يزيد قليلا.. لم تبد أي رد فعل تجاه قرار المجلس.. وكأن الأمر لا يخصها بشئ.. أرادها أن تثور .. أن ترفض .. يرغب أن يرى منها أي علامة من علامات الحياة.. يتألم لأجلها كثيرا.. يريد أن يعرف سر حالتها تلك.. لم تكن هكذا قبلا.. كانت

مليئة بالحياة.. فأين توارت ولماذا؟!

كانت لا زالت مستيقظة تفكر في الوضع

أريج الماضي

الذي استجد عليها.. حين تناهى لمسامعها نقرات خفيفه جداً .. وكأنها تخشى إيقاظها.. دعت الطارق للدخول.. فدخل ابيها قائلا:

- مرحبا يا زهرة أباك العاطرة

ندت عنها ابتسامة رقيقة يغلب عليها الحزن والشجن:

- ليت ماما تسمعك.. لتضبطك بالجرم المشهود.. إني لأشعر بها تغار عليك مني

ابتسم يسخرية:

دينا العطار

- انها تغار من نفسها.. لذا دعك

أريج الماضي

منها يا نبض قلب أبيك.. والآن أخبريني بكل صدق.. هل أنت موافقة على هذه الزيجة؟!

- أجل أبي موافقة

قال باحباط:

- لماذا؟!

- ولماذا أرفض أبي.. فعلى كل حال.. كان لا بد لي أن أتزوج يوما ما.. سواء بهذه الطريقة أو بغيرها.. وعلى الأرجح كان سيكون أحد أبناء معارفك أو

دينا العطار

أقاربنا.. لذا فالأمر بالنسبة لي سيان

- هكذا إذن.. لقد كبرت زهرتي.. ولم أشعر بالزمن.. متى كبرت هكذا.. زادك الله حكمة يا زهرة أبيك.

أريج الماضي

.....

صباح اليوم التالي.. تحديدا في غرفة السيد شهاب.. كان الوضع محتدم بينه وبين زوجته التي قالت:

- لم أرغب في التدخل أمس .. وأمام الاولاد.. أما الآن.. أقولها لك كيف وافقت على هذا الوضع؟!

بهدوء متزن رد:

دينا العطار

- لم يكن هناك حل أخر يا إجلال..

أريج الماضي

ألا ترين.. إنظري لعينا إبنك يوسف وسوف تعرفين ماذا أقصد.. لطالما نبذت النعف وابتعدت عنه قدر الإمكان.. أما يوسف فإني استطيع أن أرى إلى أي مدى وصل به العنف في التفكير.. اليوم هو من يملك الحق.. أما غدا فلن يكون كذلك.. ولن أنتظر حتى يرمي بنفسه إلى التهلكه.. وأفقد أبنائي أمام عيني واحدا تلو الأخر.

أطل الرعب من حدقتيها وهي تهز رأسها تنفض تلك الوساوس عنها، فهمست:

دينا العطار

- أنت تخيفني.. لئلا أعارضك!

وعن اقتناع تحاول إيهام نفسها به أردفت:

أريج الماضي

- يوسف إبني ليس كذلك..

رددتها مرة أخري علها تريحها، ثم أكملت تسرد ما تعلمه عن إبنها ويعلمه هو أيضا:

- طالما كان الأكثر هدوءا بين إخوته

باشفاق كبير عليها أجابها:

- الأكثر هدوءا أجل.. ولكنك تغافلتي عن كونه أكثرهم عدم تسامحا أيضا.. فلا يغرنك قشرته الخارجية تلك..

دينا العطار

وإن لم أكن له بالمرصاد وأسبقه.. سترين بعينيك.. ولكن بعد فوات الأوان

أريج الماضي

تساءلت ، لا لم يكن تساؤل، بل إقرار بنبرة استفهامية، وربما استنكارية:

- هل من الممكن أن يقتل هلال؟

شعر بضيق شديد بصدره كأنه يصَّعد في السماء وهو ينطقها:

- عليكي أن تصدقيني عندما أقول لك أني أرى الدم بعينيه.. وأشم رائحته بين ثنايا حديثه.. بدليل موقفه الحيادي تجاه دياب ورياض.. كأن ما حدث لا يخصه

ديما العطار

أو يخصهم بشئ.. إن دل هذا على شئ

أريج الماضي

فمعناه أنه فكر وخطط .. ومتعة تدبيره تلك.. تنعشه وتجعله أكثر هدوء مما يجب أن يكون.

أخذ نفس عميق.. وبعمق تفكير أردف:

– وواهم هو إن ظن أن شوكت وأبنائه لقمة سائغة أو أقل منه مكرا

بإنهاك وتوتر شديد قالت بدورها:

– فتأتي أنت وتضع الوقود جوار النار.. تزوج هلال لأهلة وتأتي به إلى

دينا العطار

نطقتها باشمئزاز ، ثم استرسلت:

- بأي منطق هذا؟!

شرد برهة ، أعادته نحنحتها للواقع ، فقال يحاول إقناع نفسه قبلها:

- وهل يسعى يوسف لقتل زوج أخته؟!

هو يعلم أنه يفعل.. لكن ما بيده حيلة.. مكبل هو ليس فقط بقرار المجلس واحتمالية نبذه وانتزاع أملاكه وأراضيه هناك وهنا بالقاهرة

أيضا.. لكن نظرة الرجاء بعيني أخته.. ونظرة
أريج الماضي
الانكسار بعيني زوجة أخيه الرحل.. لا يريد رؤية مثلها لا في عيني أخته ولا زوجته.. وما العمل في تلك معضلة.. حتى الآن هو لا يعلم وسيترك نفسه للتيار ليجرفه.

أما هي فأنتقل إليها تشوشه فأجابته:

- لا أعلم.. لقد دمرت كل قناعاتي حول يوسف!

قال بتمني:

- بالتأكيد لن يفعل.. الجانب المحب والرحيم بأخته سيتغلب عليه في النهاية..

ديانا العطار

بمرارة شديدة نطقت كلماتها التالية:

أريج الماضي

- لقد حاولنا باستماته طوال حياتنا معا.. إبعاد أبنائنا عن مثل تلك المشاكل.. لكن يبدو أن المشاكل هي من تسعى إليهم.

- فقط.. اعطني ثقتك.. ولا تعارضيني.. فلا أريد منك سوى المؤازرة.. لقد أُنهكت ولا طاقة لى .. موت يحيى قتل شئ بداخلي .. جعلني زاهد في الحياة بأسرها.

تبادلا النظرات برهبة .. فكان الصمت

دينا العطار

بينهما خير جواب.. وأبلغ من أي حديث.

.....

لم يختلف الوضع كثيرا عند السيد شوكت وزوجته السيدة زهره التي تعارض بكامل عنفوانها ما يحدث:

- لن أسمح لك أن تزوج إبنتي لذاك الحقير

بصرامة ولهجة شديد نبهها:

- إنتبهي لكلامك يا زهرة .. ثم لماذا كل هذه الثورة .. ولم هذه التفرقة.. ألم

توافقي أن يتزوج إبنك هلال من إبنته..

أريج الماضي

لماذا كل هذا الاعتراض الآن إذا؟!

لم تقلل من شدة لهجتها وهي تواجهه بحجتها:

- أولا أنت تعلم تمام العلم مثلي تماما.. أنه لم يكن ليوافق.. ثانيا إذا فعل وهذا مستحيل .. فحينها كانت إبنته هي من ستأتي إلي في منزلي وليس العكس.. ولن أرضى بالعكس ما حييت

وكأن لا يعنيه ما قالت .. فبدا من نسى شيئأ وتذكره للتو وهو يقول لها:

دينا العطار

– سيعيشان في القاهرة وليس هنا..

أريج الماضي

في الأوضاع العادية لم أكن لأوافق بهكذا ترتيب.. أما الآن وأنا وأنت نعلم يقينا ما حدث .. لذا علينا الرضوخ.. ثم أنك تعلمين أن هذا ما يحدث في مجالس الصلح الشاب من تلك العائلة يتزوج إبنتهم ويعيش في ديارهم هذا هو العقاب الحقيقي اللا انتماء.. لا بقبيلته أصبح له حق.. ولا إليهم مهما يفعل سوف ينتمي.. الشعور بالغربه وسط أهل ليسوا بأهله.. حر ولكن سجين بينهم .. ألا يشعر ان له اليد العليا عليهم، هذا هو العقاب، والمقصد كما

هنا العطار

أفهمه أنا .. وأحكم به على غيري .. لم أتخيل يوما أنه سوف يجئ اليوم وأكون أنا الملتزم بهكذا قرار .. وإلا طالني أنا أيضا النبذ والهجران!

أريج الماضي

تنفس بعنف ثم أكمل تعنيفها:

- أنا

قالها بكبرياء جريح وهامه خاضعة مثقلة وأردف:

- تم إجباري على ما لا أريد.. تصوري !

دينا العطار

قال كلمته الأخيرة بعدم تصديق أو استيعاب

أريج الماضي

لما يحدث.. أن يعي معنى الكلمة يجعله يشعر العنف.. بالرغبة في القتل.. وتلك الزوجة المستفزة والتي لا يعنيها سوى قناعاتها بكلماتها جعلت الدماء تغلي في شراييـنه كالبراكين تتقاذف كالحمم بكلماتها :

- نحن أيضا عائلة قتيل.. كما أنني عمة يحيى .. وشهاب أخي عمه.. لدينا قتيلان لا واحد

هدر بها ما ان نطقت بكلمتها الأخيرة وهو ينتفض واقفا من مقعده :

دينا العطار

- لا .. أنت أم القاتل.. وإبني رياض

أريج الماضي

دفع ثمن فعلة إبنك.. وشهاب يسعى لحفظ دم أبنائه لا الحفاظ على دم إبنك.. إنظري لعينا يوسف ومؤمن وسوف تدركين أنك أصبحت لديهم عدو لا حبيب.. وإني لأخشى على هلال منهما إن لم تتم المصاهرة كما إتفق المجلس..

بإنكسار أب مكلوم على فلذة كبده، متواري خلف قشرة سميكة من القسوة .. يتمسك بها كي لا تتسرب الأمور من بين يديه :

- لا أريد رؤية إبن أخر مقتول .. لن

دينا العطار

أحتمل صدقا لن أحتمل.. لا نشعر بمقدار

صعوبة الأوضاع وتأزمها إلا حينما تخصن وتقترب منا .. وأنا لا أريد أن أفقد إبني

أريج الماضي

قالها وهو يشعر بدمعة عصية.. لم يستطع لها قهرا .. طفرت من بين عينيه.. أخيرا تغلب عليها ومسح أثرها .. ثم قال يلومها وهو يعلم أنها قدت من حجر ولن تتأثر مثله تمام لكنه في النهاية أب وتأثر:

- لو كان رياض ولدك .. ما كنت بكل هذا البرود

دينا العطار

لم ينتظر احتواء أو ربما مواساه أو أو حتى
أريج الماضي
تعاطف.. فتركها وخرج وهي لم تستبقيه.

عاد السيد شوكت قرب الفجر، فوجئ بها تنتظره وطاقة العند لديها في أعلى مستوياتها، كانت تجلس فوق الفراش ضامة ساقيها وتهز جسدها بشكل يبدو هستيريا لمن يراه، وكأن أشباح الماضي عادت لتطاردها من جديد، انتبهت لمجيئه عندما صفق الباب بقوة دليل

دينا العطار

اشتعال غضبه من جديد فور رؤيته لها، أراد تجاوزها غير عابئا بوجودها لولا قولها:

أريج الماضي

- هلال يتزوج اهلة لا مانع لدي من ذلك .. أما أن تتزوج فريدة من ذاك الفتي فلا .. وألف لا.. وإن حدث فلن أمكث لك في هذا المنزل

لم يستطع لأعصابه تهذيبا ، فهدر بها:

- إعرفي قدر نفسك .. واعلمي مع من تتحدثين يا إمرأة .. أم انك نسيتي من أكون!

تلبستها نفس حالته فردت ساخرة:

دينا العطار

- من أنت !

أريج الماضي

وفي غمضة عين ومض بعقلها صورة أكرم خطيبها السابق ، فأكملت دون وعي حقيقي منها:

- قاتل أخي وخطيبي

لم تكد تكمل كلمتها الأخيرة حتى وجدته قد دنى منها هاويا بكف يده على كلا صدغيها في عدة صفعات متتالية وهو يصرخ بها في غل وحقد بلغ منتهاه :

- اخرسي .. اخرسي .. سوق أقتلك أيضا إذا تفوهتِ بالمزيد

دينا العطار

وضعت كلتا يديها على وجهها تخفيه منه

أريج الماضي

:

- ماذا أنتظر منك غير ذلك ! إنه ذنبي منذ البداية وسأظل أكفر عنه حتى الممات

بوجه محتقن حد الانفجار زعق بها :

- وحتى مماتك.. لا أريد أن أرى وجهك أمامي

تركها وخرج لاطما الباب خلفه بشدة فارتجفت فزعا ورعبا مما ينتوي، لا تعرف ماذا دهاها لتنطق بما قالت ، وهي من تكبت

دين العطر

غضبها منه وحقدها عليه وعلى نفسها منذ

أريج الماضي

زمن طويل .. هو سبب زواجها من حامد.. فلولا وفاة زوجته الأولى ولحقها أباه في تلك الفترة لجنبها الزواج من حامد ، وربما حينها كان قدر النجاة لجنينها، ويأتي الآن ويريد أن يزوج إبنتهما من إبنه!

دينا العطار

مر الشهر، عاش أفراد الثلاث عائلات
أريج الماضي
خلاله فوق صفيح ساخن، الجميع على أتم الاستعداد لإلغاء الإتفاق ومتأهب لذلك، الرجال يعملون على قدم وساق ليتمكنوا من الانتهاء من الترتيبات والتجهيزات لليوم المشهود.

أما الشباب فلم تنجح مساعي اي منهم لإفساد الاتفاق، يوسف الذي ولأول مرة يحتد على أبيه عندما أقصاه عن المشهد تماما، بل ألزمه ليس فقط بالصمت وعدم التدخل ولو حتى مشاركا برأيه، وإنما ألزمه أيضا بعدم
دينا العطار
التعرض لهلال، وإلا سيكون هو المسئول أمام

أبيه عما ستؤل إليه الأمور، ولكي يضمن إبعاد
أريج الماضي
يوسف ولو بشكل جزئي أجبره على السفر لأداء مناسك العمرة هو وزوجته وأبنائه حتى أنه دعى حمويه اللذان رحبا بالدعوة أشد ترحيب وقد وصلهما المغزى من تلك الدعوة، مرافقتهما تشتيت له، بل كانا ظل ثاني لم يستطع الإفلات منهما أو من زوجته ، فلم يستطع تدبير شئ، لكنه بالكاد استطاع مساعدة مؤمن وأحمد فيما أنتوياه ويخططان له، فعدة مكالمات لبعض معارفه تم تسهيل استخراج التأشيرات وضبط الوضع لسفر أحمد، أما أهلة فعندما عادت وعلمت بالاتفاق
دينا العطار

كادت أن تعانق السماء من فرط فرحتها بزواجها من هلال، تلك الغبية !

أريج الماضي

فحلم الأمس، سار اليوم ممكنا، وبالغد واقعا، والنجم العالي في السماء بات ملامسا للأرض، فها هو القدر يثبت لها أن لا محال.

وليست كل فتيات محل الإتفاق كأهلة .. فرحة.. مرحبة.. متطلعة.. ففريدة مذ أن علمت ما أوصى به يحيى.. والأسئلة تكاد تفتك بعقلها، تؤرق صحوها ومنامها، هل أحبها يحيى حقا؟! وإن فعل .. فلماذا يختار لها غيره،، وإن رفضت هل سيسمح أبيها بذلك؟!

دينا العطار

هل يقبل أبيها بالرفض كجواب!

أما ثالثتهن فأبيها يحثها على الرفض..

أريج الماضي

يرغب وبشدة أن ترفض تلك الزيجة.. يشتاق لسماعها تطلب منه شئ أي شئ .. يقسم أنه سيكون له ملبيا حتى وان كان المستحيل بعينه.. لكنها للأسف لاتنطق بشئ .. لا تنطق على الإطلاق.. راضية مستسلمة لقدرها تساق إليه بملء إرادتها.. أما هي فكل ما تتمناه حقا أن يتقبلها ذاك المدعو " أحمد" ويرتضي بها زوجة كما سترتضب هي به زوجا لها.

وليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فها هي التي تمناها كثيرا وحلم بها طويلا، ورغب بها

دينا العطار

زوجة وحبيبة ورفيقة درب وأم لأبناء كثيرة

تشبهها تتسرب من بين يديه .. وهو ماذا
أريج الماضي
يفعل؟! .. يجلس حبيس منزل أبيه حتى يأتي يوم غد والذي سيساق فيه لذبحه .. أجل لقد ذبحوه وانتهى!

ويوم غد هذا، هناك من يتمنى أن يمر بسلام، وهناك من يعد ألا يدعه يمر بسلام أبدا.

والسلام كان تحية المأذون الذي حضر لقاعة الفندق الذي سيقام فيه مراسم التأبين لبعضهم والزواج للبعض الأخر. فبعدما كان الاتفاق أن يتم عقد الزواج في قاعة المناسبات
دينا العطار
الملحقة بدار مجلس القرية.. اقترح شوكت

شوكت حجز قاعة كبيرة بفندق في أسيوط
أريج الماضي
العاصمة.. لاستيعاب الحضور وتليق بمستوى الحدث وقيادات الأمن وأكابر البلاد المجاورة.. ولم يهتم أحد بالرفض أو القبول وتركاه يفعل.

امتلئت القاعة عن بكرة أبيها بالمدعويين من كبراء المحافظة والمحافظات المجاورة والأقارب والمعارف وقيادات الأمن والصحافة التي توثق مراسم الصلح بين الثلاث عائلات وتغطي الحدث الجلل فالصلح نادرا ما يحدث في عداءات ثأرية كتلك.

قبل الحفل بساعات قليلة:

دينا العطار

حضرت عائلة الهلالي للفندق بعدما حجز
أريج الماضي
السيد شهاب أربع غرف به.. إحداهما له فقط بعد رفض زوجته الحضور وفضلت مرافقة السيدة هبه .. وكأعتراض صامت على ما يحدث وعلى ما فعله زوجها مع ابنهما يوسف.. والذي رفض ابيه عودته لمصر قبل اتمام الاتفاق.

والغرفة الأخرى كانت لمؤمن، أما الغرفتين الأخريين فكانت إحداهما للعروس،، والأخرى للعريس.

ولأنهم سيعودا جميعا مع أول خيوط شمس
دينا العطار
اليوم التالي للقاهرة.. فلم يكن هناك أي داعي

لتجهيز بيت المزرعة بالبلدة.. بيت صغير
أريج الماضي
على رأس بعض الحقول أو فلنقل مزرعة صغيرة ذات مساحة محدودة جدا رمزا للاستمرار بالإنتماء للجذور.

في نفس التوقيت كان الجميع يعمل بهمة في منزل آل "ماضي" الجميع يتأهب للذهاب لحضور إتمام الاتفاق وشهود العقد.. دياب وزوجته .. العريس.. العروس.. ووالدهما.. وبالطبع السيدة زهرة والتي أجبرها شوكت على الحضور فأخر ما يريد سماعه من أحد أنه لم يستطع إحكام قبضته والسيطرة على زوجته أو

دينا العطار

اقناعها بالأمر.. أما الأطفال فلينتظروا جميعا بالمنزل حتى يعود الكبار.

أريج الماضي

وعلى العكس تماما كانت السيدة "عالية" زوجة السيد حامد تستعد بكل قوة وعزم واصرار على حضور أخر لحظات إنتماء إبنتها بالبلدة.

طرق السيد شوكت باب غرفة إبنه هلال، بعدما أتم استعداده وجاء إليه.. فتح الباب عندما لم يأتيه اي رد من الداخل.. ليتفاجأ بخلو الحجرة من إبنه تماما.

بحث عنه في الفيلا بأكملها هو ودياب ولم يعثرا له على أثر.

دينا العطار

كان هلال قد استطاع التسلل للخارج دون أن يُشعر به أحد.. أو بالأحرى بمساعدة أخيه دياب!.

أريج الماضي

صرخ السيد شوكت في بعض حراسه ، فأتوا إليه وهم يهرعون ، وقال رئيسهم:

- أوامر جنابك
- أقل من نصف ساعة .. ويكون هلال هنا مقيدا.. تحت قدميَّ.
- أوامر معاليك

بالفعل بدأت أعمال البحث عن هلال.. بحثوا عنه في كل شبر من البلدة .. علهم

دينا العطار

يجدوه .. دون جدوى .. إنقضى الوقت الذي
أريج الماضي
حدده سيدهم ولم يجدوه بعد.

لم يكن هلال قد استطاع الابتعاد كثيرا حين علم ابيه بهروبه .. لأن دياب لم يتمكن من إخلاء الطريق له إلا عندما صعد أبيه لإبدال ملابسه استعدادا للمغادرة .. لذا فكان الوقت قد تأخر حين خرج من الفيلا.

ولأنه لم يسطع السير في طريقه بحرية خوفا من رجال أبيه المنتشرين في الطرقات بكل تأكيد .. فلم يتمكن من الابتعاد عن منطقتهم كثيرا.. والآن ماذا عليه أن يفعل؟ وأين يختبئ؟
دينا العطار
فإن رآه أحد من أهل القرية الآت فلا شك سوف

يرتاب بأمره .. ولن يتوانى عن إخبار أبيه .. فالكل يعلم أنه عريس الليلة.

أريج الماضي

وكأن التفكير بالشئ يجلبه.. ولأن الظلام لم يكن قد حل بشكل كامل.. وكانت الطرقات خالية في ذاك الوقت .. لمحه سائق سيارة مرت جواره.. ولم يكن سائق السيارة سوى أحد أبناء عموم أبيه من الفروع البعيدة نسبيا وغير المباشرين في علاقتهم بأبيه.. والذي حضر نيابة عن أبيه الطاعن في العمر.

كان متجها نحو فيلا ماضي للتهنئة وليذهب بصحبتهم للفندق .. يرافقهم كنوعا من التودد والمجاملة.. وخلال دقائق قليلة بالسيارة

دينا العطار

كان على أعتاب بوابه الفيلا.. ترجل من
أريج الماضي
السيارة بعدما صفها بالقرب من البوابة .. توجه توجه نحو السيد شوكت القاعد فوق أحد الآرائك المتراصة بالحديقة .. شعر به كأنه يقعد على المل (الجمر أو الرمل الساخن).. وصل إليه مادا يده ليصافحه قائلا:

- مبارك الصلح والزواج

رد شوكت:

- بارك الله فيك .. كيف حال عمي
- بخير .. لكن السن والذاكرة .. رفع الله عنه

دينا العطار

باقتضاب أمن شوكت على دعائه لأبيه

أريج الماضي

وصمت يفكر أين عساه يجد هلال،، فبادره ضيفه:

- ألم ينتهي العريس بعد

وقبل أن يجيبه شوكت.. أكمل :

- لولا أنه عريس الليلة .. لصدقت عيني عندما لمحت ظله منذ قليل

انتفض شوكت من مقعده قائلا بلهفه:

- أين رأيته؟!.. أين؟

رد الضيف بدهشه:

دينا العطار

- من؟!

- هلال.. أو شبيهه

أريج الماضي

عبس الضيف وهو يجيبه:

- هنا بالخارج، بأحد الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي

صرخ شوكت مناديا بأعلى صوته على حراس البوابة،، فأتوا إليه يهرعون:

- اجمعوا رجال أخرين .. ومشطوا المنطقة بأكملها .. الشوارع الخلفية .. الطرقات.. المزروعات .. حتى حظائر الماشية .. لا تتركوا شبرا واحدا حتى تبحثوا

دينا العطار

فيه.. لم يبتعد عن هنا كثير كما كنت أظن

أريج الماضي

..

ثم صرخ مجددا يحثهم على التنفيذ في الحال:

- هيا

ثم وجه كلامه للضيف هو الأخر:

- وأنت اذهب معهم لتريهم أين رأيته بالضبط

لم تمر إلا دقائق معدودات حتى تحولت المنطقة بأكملها إلى ثكنه عسكرية يحتلها رجال شوكت.. ومر بعض الوقت قبل أن

يجدوه .. عثروا عليه داخل أحد الزراعات
أريج الماضي
المنتشرة حول المنطقة .. أماكن تنمو فيها حشائش كثيفة .. بالكاد يظهر رأس من يقعد فيها .. إلا أذا اضجع مثلما فعل هلال .. استند إلى جذع شجرة كبيرة .. ذات أغصان تميل بعضها نحو الأرض.. كان مغمض العينين حين شعر بشئ يتحرك حوله.. ولم يكد يعتدل في جلسته وهو يفتح عينيه في آن .. حتى وجد رجال أباه يحيطون به من كل جانب.. قيدوه كما أرمهم أبيه.. توعدهم وسبهم بأقذع السباب.. وأنبى الألفاظ.

دينا العطار

أخذوه لأبيه مقيدا.. وضعوه أسفل قدميه ثم حلوا وثاقه وانصرفوا .. تراجعوا تاركين هلال لأبيه.

أريج الماضي

لم يرى سوى اللهب الذي ينبعث من حدقتي أبيه .. الذي دنا منه يمسكه من تلابيبه .. يرفعه عن الأرض قائلا بسخرية:

- انهض أيها الفاشل.. حتى الهرب فشلت فيه!

رد بتحدي يعلم يقينا أنه خاسره:

- قلت لك لن أتزوجها

دينا العطار

كان رد أبيه صفعة كتلك التي تلاقها منه سابقا .. أودع فيها كل غليله منه ثم قا ساخرا من نفسه أولا قبل إبنه:

أريج الماضي

– يبدو أنني لم أجيد تربيتك كما ينبغي!

.....

فاق السيد شهاب من غفوته القصيرة على صوت المنبه يصدح للمرة الثالثة على التوالي.. يشعر بإرهاق شديد أجبره على الاستسلام للنوم ولو قليلا.. نهض ليستعد فقد داهمه الوقت .. أما أهله فأوشكت على الانتهاء

دينا العطار

من زينتها البسيطة جدا والتي تلائم الوضع
أريج الماضي
والظروف القائمة.. وفي ذات الوقت كان أحمد في غرفة مؤمن يودعه:

- سأشتاق إليك كثيرا يا شقيق

ابتسم مؤمن باتزان قائلا بتأثر :

- اعتني بنفسك جيدا يا احمد.. وأنا سأشتاق إليك أكثر .. كن معي دائما على تواصل.. اغلق هاتفك هذا منذ الآن.. ولا تنس اعلامي برقمك الجديد فور تحصل عليه.

إبتسم أحمد لأخيه:
دينا العطار

– سأفعل لا تقلق .. إلى اللقاء عما

أريج الماضي

قريب.

أنهى السيد شهاب استعداده وخرج متوجها لغرفة إبنته أهله .. طرق الباب وانتظر حتى فتحت له .. ظل يتطلع إليها لبرهة بعدما دخل وأغلق الباب خلفه .. لا يصدق أن إبنته صارت عروس.. لا يعلم كيف استطاعت والدتها أن تتركها في وقت كهذا بمفردها.. لم يتوقع أن تضغط عليه بهذا الشكل في اللحظات الأخيرة قبل انطلاقهم للمطار .. كيف تظن أنه يستطع أن يخلف الاتفاق هكذا

دينا العطار

دون سابق إنذار!!

لقد حرمت نفسها من احتضان إبنتها وقت عقد قرانها.. حرمت نفسها من الكثير حقا !.. وكل ذلك في سبيل العند معه.. لقد أخلفت وعدها له بمساندته والوقوف بجانبه.. لم تثق بقراره.. وكسرت العهد بينهما.. فصدى أخر كلماتها لا يزال يتردد صداه في نفسه:

- لقد فطرت قلبي على يوسف .. وضحيت بولديك وإبنتك لأجل اتفاق لعين.. كلمة حكم بها مجموعة متآمرين.. لصالح ولد شوكت.. وأنت قدمت ولديَّ ككبشي فداء لإبنيَّ شوكت .. فلن أشهد على دمار إبنتي.. ولن اسامحك ما حييت!

أريج الماضي
دينا العطار

شككت في حبه لأبنائه.. وإثاره إياهم .. بكل بساطة طعنته.. وأنتهى الأمر ! ..

أريج الماضي

فاق من تأمله الشارد في إبنته:

- مبارك حبيبتي

ثم أحاط وجهها بكفيه وقبل جبينها مطولا.. وعندما أفلتها مسح عنه آثار دمعة أفلتت منه تأثرا..

تركها بعد قليل حتى يذهب ليطمئن على العريس الغامض.. فمنذ غضبته تلك الليلة وهو صامت متباعد .. يكاد لا يتحدث إليه.. ما أراحه هو سرعة تقبله للأمر الواقع ..

ديانا عطار

فلينتهي من هذا الإتفاق أولا .. ثم سيصالحه ويحاول أن يراضيه هو ويوسف.. ولن يتوانى عن فعل ما يرغبا به ويريداه .. فلتنتهي هذه الليلة على خير أولا.

أريج الماضي

عدة طرقات متتالية على باب غرفة إبنه دون استجابة أثارت قلقه وحفزت توتره .. فذهب لمؤمن عله يكون بصحبته.. وما أن طرق الباب حتى فتح له مؤمن الذي ناظره بتفحص:

- مرحبا أبي .. كيف حالك
- الحمد لله .. هل أحمد هنا عندك

دينا العطار

رد مؤمن بترقب:

أريج الماضي

- لم أره منذ وصلنا .. بعدما تركته في غرفته

فقال الأب بحيرة:

- يبدو أنه يغتسل أو بالشرفة

أجابه مؤمن بتحفز :

- هل أهاتفه؟

- فلننتظر قليلا عله يغتسل

انتظرا قليلا.. ثم توجها معا لغرفة "أحمد" طرق مؤمن الباب وما من مجيب.. فأحضر مؤمن النسخة الاحتياطية وفتح غرفة أخاه

تحت أنظار أباه الحائرة المترقبة والقلقة بشكل بالغ.

أريج الماضي

دينا العطار

دخلا معا للغرفة، فلم يجدا فيها من أحد، أخذ متعلقاته وبكل سهولة رحل، خذل أباه وأضاع ثقته به، كاد السيد شهاب أن يصاب بأزمة قلبية من فرط انفعاله وشعوره بالقهر من ولده، شعر بخدر يسري في كامل جسده ، وكأن عمود من نار يمر من خلال ذراعه اليسرى، اضطربت أنفاسه بشكل ملحوظ ، نضحت بعض حبات من العرق بوضوح على جبينه وبدأ جسده يترنح ويفقد إتزانه ، لحظة خروج مؤمن من الحمام بعدما تظاهر بتفقده، لفتت انتباهه حالة أبيه ، بدأ جسد أبيه يتهاوى أمام ناظريه، فإهتز كيانه بأكمله، وفي لمح

أريج الماضي
دينا العطار

البصر كان أبيه بين ساعديه ، أنقذه من الوقوع
أريج الماضي
أرضا، ساندہ حتى وصل به إلى الفراش، حاول إفاقته دون جدوى، فطلب إحضار طبيب على الفور.

أسعفه الطبيب بمصل أخذ يسرى عبر وريده ببطئ، محاولا إعادته لوعيه مرة أخرى، وعندما بدأ عقله يخرج من ظلامه ويستعيد وعيه بالتدريج، غادر الطبيب ناصحا مؤمن يتوخي الحذر ولو كان الأفضل نقله للمشفى لوضعه تحت الملاحظة للأربعة وعشرون ساعة القادمة، شعر مؤمن أنه المخرج والحل
دينا العطار
السحري لذاك الوضع، فشرع مؤمن بطلب

سيارة إسعاف لنقل ابيه، فأشار السيد شهاب
أريج الماضي
لإبنه ينهاه عما يفعل، اقترب مؤمن منه قائلا:

- لا يا أبي.. أرجوك.. صحتك هي الأهم عندي

حاول السيد شهاب الحديث، إلا أنه يشعر بحلقه جاف كالأرض القاحلة، فاكتفى بمد يده بصعوبة بالغه ليأخذ الهاتف من مؤمن، مع تلك الحركة ورغم بساطتها إلا أنه قد شعر بأنه يجاهد لإزاحة جبل لا مد يده ورفعها لمسافة يسيرة جدا، حاول مرة أخرى الحديث قائلا بخفوت:

دينا العطار

- أين أخيك؟

أريج الماضي

لم يفت على السيد شهاب إهتزاز حدقتي إبنه وهو يرد متجنبا النظر إليه:

- لا أعلم

مرة أخرى سأل إبنه:

- أين أخيك يا مؤمن؟!

بدأ شئ من الندم والشعور بالذنب يتسرب إليه:

- لا أعلم ، ربما ..

بتر أباه كلمته ولم يدعه يكمل:

دينا العطار

- لأ أحد منكم يشعر بي .. حتى أنت!

أريج الماضي

قالها بألم شديد ، إنتقل صداه لمؤمن ليضرب فؤاده شعور بالرأفه تجاه أبيه.

أجل للألم صدى، لا يسمعه سوى المقربون، ومؤمن أقربهم إلى أبيه، وجع أبيه، تجلى على وجهه هو. وإلتقط الأصل ما يشعر به الفرع في الحال، فقال يطرق الحديد وهو ساخن، عله يفصح عن مكان أخيه:

- فمن ظننت أنه أكثركم حكمة.. وكنت أعده ليخلفني، إتضح لى خطأ

دينا العطار

ظني.. وها أنت وأخاك الأخر.. تسعيان لموتي..

أريج الماضي

إنقطع صوته فجأة ووضع يديه فوق صدره متألما، ففزع مؤمن، سأطلب الإسعاف حالا، وليحدث ما يحدث ، لا يهمني سوى صحتك، رفض أبيه بضعف:

- ما بالكم..

ثم رددها مرة أخرى بعدما إسترد أنفاسه الهاربه:

دينا العطار

- ما بالكم.. لم أعهدكم هكذا..

أريج الماضي

تتخلون عن مسؤلياتكم.. لقد خذلتموني

ثم أخذ نفس عميق وزفره يحاول توسعة صدره الذي ضاق بهمومه لا بالمرض:

- حتى أمكم خذلتني!

وإن كان قد تسرب إليه شئ من الندم، فالآن بدأ يغزوه بقوة، فقال بتفكير:

- هون عليك يا أبي .. لم ولن نفعلها أبي..

عدم الرضا والانفعال كانا خير رد على كلام مؤمن. وقبل أن يرد على إبنه إرتفع رنين

هاتفه، رد شهاب على الهاتف فلم يكن
أريج الماضي
المتصل سوى حامد الذي أخبره بوجوده وأسرته للقاعة الصغيرة الملحقة بالقاعة الرئيسية التي سيعقد فيها القران، فقال شوكت:

- تعال إلى الغرفة 186 .. فأنا مرهق قليلا

ما أن أغلق الهاتف حتى حذره مؤمن:

- عليك إلتزام الهدوء أبي.. لقد حذر الطبيب من الانفعال

لم يلق أبيه بالا لما يقول.

دينا العطار

وحينما حضر حامد ولاحظ الشحوب على وجه السيد شهاب ، إرتاب وأحس بما يحدث فقال:

أريج الماضي

- لا بأس عليك.. كيف حالك الآن؟!

- أفضل بحمد الله.. اقترب يا حامد واجلس إلى جواري

نظر إليه حامد بترقب، ثم فعل ما أراد، فبادره السيد شهاب:

- لطالما أرسلك الله إليّ لتنقذني .. فعلتها حين تزوجت زهرة .. وها أنت تفعلها مرة أخرى

دينا العطار

جحظت عينا مؤمن مما سمع ، وفجأة ومض عقله بوجه حامد، أجل يشبه كثيرا ذاك الشاب، لم يره سوى مرة واحده يوم عقد قرانه بعمته، حينها لم يكن تعد السابعة من عمره أو ربما السادسه ، هو لا يذكر تحديدا، وقد نسي تماما أن عمته تزوجت غير شوكت، خاصة مع عدم ذكر الأمر نهائيا كأن لم يكن يوما، كما أنه لم يتزوجها سوى عام، بل أقل، لا يذكر سوى أن عمته الحبيبه تزوجت وبعدها اخبرهم أباه انها تحمل طفل صغير وسوف تلد عما ريب ، وقتها فرح كثيرا وقال لأبيه أنه يحب عمته كثيرا وسوف يحب إبنها أيضا،

أريج الماضي
دينا الفطار

ويلاعبه بلعبه، وإذا أنجبت فتاة سوف يتزوجها، فضحك أبيه وأمه ولا يذكر من كان حاضرا غيرهما أيضا، نحى أفكاره جانبا ليتابع ما سيقوله أبيه لحامد، فعاد إليهما بانتباهه على قول أبيه:

أريج الماضي

- مؤمن هو من سيتزوج إبنتك.. أنا أطلب يد إبنتك أريج لمؤمن إبني وليس أحمد

اكفهر وجه مؤمن، وأحتقن بالدماء عن آخره، شعر بقشعريره تحتل بدنه بأكمله، والآن فقط وصل إليه شعور أحمد، وتبخر تعاطفه

دينا العطار

مع أبيه، تلاحقت أنفاسه كمن يساق لحتفه،

أريج الماضي

شرع بالحديث:

لكن..

فتصدى أباه له بالمرصاد:

- أعلم يا "مؤمن"..

ثم أردف موجها حديثه لحامد مرة أخرى:

- يريد مؤمن رؤية العروس.. اعذرني يا حامد لم أستطع استقبالك كما ينبغي.. ومن ثم الحديث معك .. لذا فأنا أقترح

دينا العطار

ثم وجه دفة الحديث لمؤمن وهو يرمقه
أريج الماضي
بنظرات محذره، لم يغفل عنها حامد بكل تأكيد:

- أن نتخطى فكرة رؤيتها الآن..

وليرها بعد العقد..

ووجه ناظريه لحامد متابعا:

- ما رأيك يا حامد؟

عبس حامد بشدة وهو يقول بجديه وفكرة ما تختمر بعقله:

- لماذا؟!

نظر له شهاب باستفهام، فأوضح حامد :

دينا العطار

- لماذا التبديل بين الأخوين الآن؟!

أريج الماضي

وأين أحمد؟! لماذا لم أره حتى الآن؟!

ثم نظر لشهاب باتهام:

- ثم إنك قلت يوم المجلس أن لمؤمن خطيبه بالفعل!.

التقط شهاب نبرة التهديد في صوت حامد ، فقال يهادنه:

- كان .. كان لديه خطيبه حتى يوم أمس.. وقد انفصلا.. في النهاية الزواج نصيب ..

دينا العطار

يشعر بالمرض يشتد عليه، وبلغ منه كل مبلغ، فأكمل بصوت بدأ يخفت أكثر فأكثر:

أريج الماضي

- والآن أصبح مؤمن غير مرتبط..

كما أنه يكبر أحمد

وعندما ذكر إسم أحمد سبب ما يشعر به من هوان أحس بوخزه في قلبه، فقال يرجو حامد ألا يفعل ما يراه في عينيه:

- وافق يا حامد

تجاهل حامد نظرة الاستعطاف والرجاء في صوت شهاب وقال:

دينا العطار

- ولماذا لم تهاتفني عندما اتخذت قرارك هذا؟! أم أنك افترض أن موافقتي ليست ذات أهمية بالنسبة لك ولولدك.. وأن إبنتي كالشاه تساق لأي من كان؟!

أريج الماضي

نظر شهاب لولده يريه مغبة فعلته وأخيه، ثم قال لحامد محاولا نيل رضاه وتعاطفه:

- ألم تر حالتي بناظريك يا حامد.. ثم إني لم أعهدك هكذا لطالما كنت تقدم الصالح العام على مصلحتك الشخصية .. ماذا دهاك الآن.. كما أنه كان من المحتمل أن تحضر أنت لتقديم العزاء فيَّ.

دينا العطار

لانت قسمات وجه حامد قليلا ، فأكمل

أريج الماضي

شهاب يطرق الحديد ساخنا:

- عليك أن تصدقني عندما أقول لك أن ذاك الواقف خلفك هو الأكثر تميزا بينهم

وأشار بيده لمؤمن الواقف خلف حامد بوجه جهم مكفهر. فهم حامد بالحديث فأوقفه شهاب بإشارة من يده:

- أصدقني القول يا حامد.. أنت لست متحمسا لزواج ابنتك منذ البداية؟!

دينا العطار

كان يخبره لا يسأله، لم يعطه الفرصة للحديث مرة أخرى قائلا:

أريج الماضي

- لأ أريد منك إجابه .. أنا أخبرك فحسب..

ثم أردف يعده:

- إبنتك سوف تكون في رعايتي أنا .. هذا وعدي لك .. اعتنيت بأختي سابقا.. وها قد جاء دوري لعناية لإبنتك.. ماذا قلت .. وافق يا حامد ولننهي هذه الأزمة

كلام شهاب لامس شئ في نفس حامد لا يعرف كنهه، أو يعرف ويتجاهله عن عمد،

ديانا العطار

أخذه التفكير ولفه بغلافه فشرد عن شهاب
أريج الماضي
الذي يناظر إبنه الواقف خلف حامد يحترق حيا، استقبل مؤمن حديث أبيه الصامت إليه بل عقابه، فليتحمل هو عاقبة ما فعلاه ، وإن كان أحمد قد أفلت منه، فهو في قبضته، وليتجرأ ويعارضه حينها سوف يكون قاتل أباه وكدأب أبيه حرص على إيصال ما يريده بكل سهوله ويسر ، فحرك يده على صدره وبدأ يمسح عرق زائف من فوق جبينه بإرهاق لا يدعيه، فأشاح مؤمن نظره عن والده، وبينما تجتاح رأسه كل الأفكار السوداء الممكنه وغير
دينا العطار
الممكنه، سمع صوت أبيه:

- هه يا حامد ماذا قلت؟

أريج الماضي

لم يظهر الرفض القاطع هذه المرة على وجه حامد، بل لمح شهاب طيف من تردد يطفو، فقال يقطع عليه ترددده:

- علينا إنهاء الوضع يا حامد ،، وإلا سيخرج الوضع عن سيطرتنا،، أنا أب لفتاة وأتفهم خوفك جيدا وأشعر بك.

ثم مد يده يستحثه على الموافقه:

- تلك يميني

على استحياء وببطء مد حامد يده أخيرا، فتنفس شهاب الصعداء قائلا:

دينا العطار

- مبارك.

أريج الماضي

شرعا في قراءة الفاتحة .. بينما بلغ الذهول بمؤمن أقصى مداه. وحينما مد حامد يده ليصافح مؤمن قبل مغادرته شعر أنه رآه قبلا فقال:

- هل تقابلنا قبل ذلك .. أشعر أني أعرفك!

شعر مؤمن أيضا أنه يألف ملامحه بوضعها الحالي لا عندما تزوج عمته لكنه لم يهتم ، لشدة ما يستعر برأسه من وساوس.

رد باحترام وتهذيب رغم قسوة ملامحه:

ديانا العطار

- لا أظن ذلك.. نادرا ما آتي إلى هنا

أريج الماضي

إنصرف حامد عن غير اقتناع بما قيل، ولكن ما باليد حيلة ، فإمام متمسك بتنفيذ الوصية، وإبنته لا ترفض الزواج من أي كان، يشعر أنها لا تريد سوى مغادرته وكفى، هناك قطعة مفقودة من الأحجية ، ويكمن السر وقت الحادث.

الحادث!، مؤمن!، إذا هو الشخص الذي صدم إبنته بالسيارة ، لقد تذكره! ، كان إسمه مؤمن أعجبه الإسم حينها ليس فقط الإسم بل شخصه أيضا، فرغم ضيقه منه وقتئذ كونه

دينا العطار

تسبب بضرر بالغ لإبنته، إلا أنه لا ينكر
أريج الماضي
إعجابه بطريقة تعاطيه مع الوضع، وإصراره للحضور باستمرار للمشفى حتى إحتد عليه ذات مرة وهو يأمره بعدم العودة مجددا، ورغم ذلك عاد أيضا.

إبتسم حامد وهو يتذكر ما كان يحدث بعدما صرخ بوجهه بألا يعود، بعدها رآه صدفة ، وعندما استقصى عن الأمر علم أنه كان يأتي خلسة، يلقي عليه نظرة عن بعد ثم يتراجع منصرفا لئلا يزعجه، أجل لقد تذكره بوضوح.

علم بعدها أن السيارة التي صدمة إبنته ملك
دينا العطار
لزهرة الهلالي، زوجته السابقة!.

في الوقع زيجته منها لم تستمر كثيرا، عشرة
أريج الماضي
شهور على وجه التحديد، زيجة لقضاء غرض ما، وأنتهت بموت طفلها بعد ولادته بساعات قليلة. موت الطفل عجل الطلاق ليس إلا فبعد تحسن حالتها واعتيادها أمر فقدانها لوليدها ، حدث الطلاق بهدوء ودون أن يعلم أحد، كما تزوجها بهدوء ودون أن يعلم أحد سوى زوجته وبعض المقربون، والذ كان لا بد من معرفتهم.

آه يا لها من إمرأة، حينها فهم أن مؤمن هو من قام بإبعاد السيدة قريبته عن الأمر، تصرف رجولي، جعله يحترمه، بدا أنه فعل الصواب
دينا العطار
دون أن يشعر، حينما لم يبلغ عن الواقعة.

الآن بات أكثر تقبلا لزواج إبنته من مؤمن

أريج الماضي

ولو قليلا، يبدو أن في كلام والده عنه شئ من الصحة، وعن سابق تجربة!.

اغلق مؤمن الباب خلف السيد حامد، واستدار ليواجه أبيه، وهو يشعر بكم هائل من الشحنات الكهربائية تسري في جميع خلايا جسده، قال:

- ما الذي تريد الوصول إليه أبي؟!

رد أباه بهدوء جم :

- لقد وصلت لما أبغي بالفعل

بعصبية وهياج قال:

دينا العطار

- الرجل كان سيرفض.. أنت من

أريج الماضي

كان يراوغ!

إحتد أباه قليلا:

- تهذب يا مؤمن وأنت تكلم أباك.. ثم هل تظن أني سأوافق أو شوكت سيوافق على إتمام زواج إبنه من فريدة.. دون أن يفعل المثل .. ويعطينا إبنته!.. هل نسلمه بنت عمتك هكذا دون مقابل!.

ثم صمت قليلا ينظر إليه باتهام ثم أكمل:

- وبما أن أحمد فر .. فمؤمن متوفر

وبنظرة سخرية رمق بها إبنه:

دينا العطار

- فالجزاء من جنس العمل .. كان عليك التفكير في عاقبة ما ستقدم عليه حتى لا تتأذى أنت أو تؤذي من حولك.. فمهما ظننت أنك بعيد كل البعد وأن الضرر لن يطالك .. سوف يتضح لك في النهاية أنك كنت قريب جدا من الأحداث بل وفي عمقها.

أريج الماضي

بدت بوادر التسليم بالأمر على وجه مؤمن ، فتسائل بشرود:

- وأمنيه ! .. خطيبتي !

أجابه أباه بشكل بديهي كمن ينتظر السؤال:

دينا العطار

- اترك لي الأمر.. فأنا كفيل به.

أريج الماضي

تراجع مؤمن فورا عما تفوه به:

- لا.. أنا لا أوافق .. خطيبتي لا ذنب لها لأكسر روحها بهذا الشكل.. كما أ،ي أحبها.

قال أبيه يستميله:

- والفضيحة.. وأبيك.. والعهد الذي قطعت .. وكلمتي.. فشرف الرجل كلمة.. أترضاها لي؟!

- دعك من تلك الشعارات الرنانة أبي.. لن تؤثر فيَّ

دينا العطار

شعر شهاب بالعجز أما إبنه.. حاول

أريج الماضي

النهوض من الفراش.. أنزل قدميه واحدة تلو الأخرى.. وبدأ يستقيم فإذا بحالة من الدوار العنيف تداهمه، دوامات تدور به ويدور هو معها ، فمادت به الأرض وهوى. لكنه هوى بين ذراعي ولده فدفعه عنه غاضبا منه قائلا وهو يقاوم دوار رأسه بصعوبه بالغه:

- دعني .. لا حاجة لي بك

رد مؤمن باستعطاف:

- أرجوك أبي.. دعني الآن أساعدك

دينا العطار

شعر ببعض اللين في صوت إبنه، فقال

أريج الماضي

وهو يترك نفسه له ليمدده على الفراش:

- أنت تعرف كيف تساعدني
- اي شئ إلا تلك الزيجة!

بقنوط قال الأب:

- إذا دعني وحدي الآن

بالفعل تركه وعاد لغرفته ، ظل يجوب الغرفة ذهابا وجيئة حتى إختنق، فدخل الشرفة وأخذ يذهب ويجئ بعرضها وهو يزفر من حين لأخر، ظل عقله في حالة من الفوران ، لم يتوقف ولو لحظة واحدة عن التفكير، فهداه

هيا العصار

للمغادرة في التو واللحظة، وليحدث ما يحدث،
أريج الماضي
فلن يكبله أي عارض حتى مرض أبيه.

دينا العطار

شرع في تنفيذ ما أنتوى، فأخذ حقيبته وما
أريج الماضي
أن فتح باب غرفته ، حتى وجد زوج عمته أمامه، بكل عنفوانه وتسلطه، لا يعرف كيف تتحمل عمته هذا الرجل، فبكل بساطة هو لا يطيقه، تطلع إليه شوكت قليلا يشرف عليه من علو بطوله الفارع وضخامة جسده وقد زادته العباءة فخامة، قال ببطء هازئ:

- إلى أين؟!

كرد فعل طبيعي وتلقائي قال مؤمن ببساطة ولا مبالاة:

- وما شأنك!

دينا العطار

بلهجة شديدة التحذير والحدة:

أريج الماضي

- مؤمن

كانت تلك صيحة أبيه، من خلف شوكت .. ظهر شهاب فعاد مؤمن بظهره للخلف ليسمح لهما بالمرور للداخل ، نظر لأبيه المريض بسخرية وهو يمر من جواره!.

شعر بأنه قد وقع في الفخ ،إنطبق عليه الشرك تماما، دخل الرجلان وأحكم مؤمن غلق الباب خلفهما، توجه إليهما ليبدأ معركته، فبادره أبيه:

- إلى أين ؟!

دينا العطار

في تحدِ أجاب:

أريج الماضي

- عائد للقاهرة الآن.. ولو سيرا على الأقدام

تولى شوكت الرد هذه المرة:

- ستعود بالتأكيد.. وبصحبتك زوجتك

صاح بعصبية:

- بالطبع سوف أتزوج .. خطيبتي .. ولتعلما لن أتزوج غيرها

قال شوكت:

دينا العطار

- إذا ستعيش الباقي من عمرك

عازب

بغضب وصل به حد الشعور بغليان رأسه:

- أتهددني!

- واضح أنك لا تعي مع من تتكلم..

ثم قال بكبرياء شديد وقد انتفخ صدره:

- أنا شوكت ماضي.. لست بحاجه لتهديد أحدهم.. تفكيري .. تنفيذ.. فنحن الرجال حديثنا أفعال

تدخل أبيه ليهدئ من روعه قليلا:

- لن أمنعك.. بالتأكيد إذا وافقت

أريج الماضي

أمنية.. أن تتمم زيجتكما.. ولا تنكر فلولاك ما تمكن أحمد من فعل ما فعل.. فأنت عقله الذي يدبر.. ويده التي تنفذ..

ثم زفر مستطردا:

- أما الآن فنحن في موقف إضطراري .. ولا بد من وجود حل

بسخرية لاذعة أجاب:

- وأنا الحل المتاح أمامك الآن.. ولا بأس لديك أن تضحي به .. وتضحي

دينا العطار

بخطيبته في طريقك لتحقيق غايتك.. وكل هذا لأجل كلمة!

أريج الماضي

عبارته الأخيرة استفزت شوكت بشدة فقال بغضب وثورة:

- وما الرجل سوى كلمة.. الإسلام كلمة.. الكفر كلمة.. العقد كلمة.. والوعد كلمة.. وكما الطلاق كلمة الزواج أيضا كلمة.. وأباك أعطى كلمته.. فصار حقا عليه أن يوفي بها

إتجه مؤمن لأحد المقاعد المتواجده بالغرفة وقعد عليه واضعا ساقا فوق الأخرى ، ثم قال:

دينا العطار

- وماذا الآن.. بعد تلك الخطبة العصماء.. هل سترغمانني على الوفاء بكلمة لم أعد أنا بها

أريج الماضي

وشدد عند لفظه على الأنا وبشدة.

فقال أبيه في يأس:

- لا لن أرغمك .. لكني أعلم أنك لن تخذلني

وقال شوكت بزهو:

- أنت رجل.. والرجال لا يرغمون على فعل شئ لا يريدونه يا مؤمن.. لكنهم أيضا يتحملون مسئولياتهم.

دينا العطار

قال أبيه:

أريج الماضي

- لأجلي يا مؤمن.. ألا أستحق.. أن تضحي القليل لأجلي ولأجل أخويك .. وأنا من ضحيت بعمري لأجلك وأخوتك

أطرق مؤمن برأسه وبدأ يلفه التفكير فدخل في دوامة لا تنتهي من الأفكار النابضة بعقله. أبيه ومحاولته الحثيثه لتفادي شلال من الدماء لو فتح لن ينتهي.. أمنيه خطيبته.. ووعده إياها بالزواج .. أيحل كلمته ليفي بكلمة أبيه!.. أيهما الأولى؟!. يوسف أخيه وما يفكر به وينتوي فعله . أهله أخته الحمقاء . وتلك الفتاة

دينا العطار

سبب كل هذه الفوضى.

بعد تفكير عميق إمتد لفترة أخيرا نطق قائلا:

أريج الماضي

- اتركاني وحدي لبعض الوقت

هم شوكت بالرد.. فلا وقت لديهما ليمنحاه أياه.. فمنعه شهاب من قول شئ وهو يشير إليه للتنفيذ دون اعتراض وخرجا معا.. قال شوكت وهما يقفان في الممر بين الغرف:

- سيوافق

رد شهاب بحزن واشفاق:

- أعلم

ثم أكمل ببؤس جم:

دينا العطار

– كنت أظن أني اكتفيت من

أريج الماضي

صفعات الحياة.. لكن فيما يبدو لا يزال في جعبتها الكثير.

دينا العطار

حاول مؤمن الإتصال بأمنية خطيبته عدة
أريج الماضي
مرات، لكن هاتفها غير متاح باستمرار، لم يكره يوما تلك الرسالة الصوتيه المقيته، التي تفيد بعدم اتصال الهاتف بالشبكة كما كرهها اليوم. بدأ يستعد فقد تأخر الوقت بالفعل ، لا بد وأن أهلة تنتظر مذ وقت طويل، إرتدى حلته وحاول الإتصال بخطيبته مرة أخرى ، وكالمرات السابقة ما من مجيب سوى الصوت الذي يزيد من استفزازه.

طرق والده الباب ، يبدو أنه وزوج عمته شوكت لم يطيقا صبرا، فيستعجلانه، فتح لهما
دينا العطار

ثم عاد يقف أمام المرآه مرة أخرى .. كسر شوكت الصمت القائم قائلا:

أريج الماضي

- مبارك يا مؤمن

لم يكلف نفسه عناء الرد على زوج عمته ، فهتف والده:

- مبارك لنا جميعا يا شوكت .

ساد الصمت مرة أخرى حتى أنتهى مؤمن من تصفيف شعره وإرتداء حذائه، ثم قال يوجه حديثه لأبيه متجاهلا شوكت تماما كأنه غير مرئي:

دينا العطار

- هاتف أمنية غير متاح.. وأشعر

أريج الماضي

بالحرج من أبيها.. لذا

قاطعه أبيه:

- لا تقلق .. دعه لي

أخرج هاتفه يحادث أبيها ، فوجد هاتفه مغلق.. ارتاب مؤمنفي الأمر ، ولم يعلق.

.....

أما السيد حامد فإنفرد بإبنته في شرفة القاعة الصغيرة المتواجد بها وعائلته، أطرق قليلا يرتب أفكاره ثم قال لأريج، التي كانت تنظر للأفق الممتد دأمامها وهي تشعر

بالخواء، فهل ما تمر به حقيقة أم خيال.. أحلم
أريج الماضي
هذا أم واقع..أن تتزوج من أحد أبناء خالها..
صدفة هذه أم من ترتيب الأقدار!.

فعندما تعافت من الحادث واستعادت قدرتها على السير بمفردها، ذهبت لمصلحة الأحوال المدنية، وحينما استخرجت صورة لوثيقة زواج عمها أكرم، أو بالأحرى أبيها أكرم، كما أدعت زوجة عمها حامد، وكذلك استخرجت صورة لوثيقة طلاق أبيها، صعقت من المفاجأة ، واتضحت الأمور لديها أكثر وأصبحت أكثر منطقية.

دينا العطار

إذا مات أكرم قبل زفافه بأيام كما كانت تعلم
أريج الماضي
من قبل، أما الجديد في الأمر أنه مات وترك زوجته التي عقد قرانها في وضع حرج، ولم تكن زوجته تلك سوى السيدة زهرة الهلالي، وذات الإسم كان يملئ خانة أسم الزوجة في قيد طلاق أبيها حامد، إذا تزوجها أبيها بعد وفاة أخيه أكرم ، وبمطابقتها لما سمعت وظل يتردد صداه في عقلها حتى الآن، اتضحت الرؤية. حامد عمها وكلام زوجته صحيح، وزهرة الهلالي هي من وضعت نفسها في ذاك المأزق، فكانت تكلفة الخروج منه التنصل من أمومتها لها كزوجه لأكرم، لكن ما لا تفهمه
دينا العطار

حقا لماذا تركتها لعمها يكتبها باسم زوجته، ألم يتزوجها ليعطي لأمومتها شرعية، ويرفع الوصمة عن اسم أخيه الراحل!.

أريج الماضي

انتشلها حامد من الغرق أكثر في افكارها وهواجسها التي تقتات على اعصابها كلما حاولت ربط الاحداث ببعضها البعض:

- انظري إلي بنيتي

اتجهت إليه ببصرها.. فلم تجد بعينيه سوى الحيرة وتساؤل كبير ترجمه في قوله:

- ألا زلتِ موافقة على هذه الزيجة.. ألم تغيري رأيك؟!

دينا العطار

باقتضاب شديد أجابت:

أريج الماضي

- أجل

فتساءل هو:

- حتى وإن تم تبديل العريس بأخيه

بهدوء جم حاججته:

- لم أعرف الأول حتى أرفض الأخر

قال:

- أخاه الأكبر منه مباشرة.. يدعى "مؤمن"

وصمت يدقق النظر لعينيها، إبنة قلبه ، لا

دينا العطار

يريد أن يضيع أمانته، لو كانت له إبنة أخرى

غيرها!. بالكاد سمعها وهي تقول بخفوت
أريج الماضي
شديد:

- موافقه

حدجها بنظرة مؤنبة قائلا:

- لماذا؟!

- لا لشئ.. اتفاق تم.. وأنا ألتزم بالشق الذي يخصني منه.. وإمام يلتزم بما يخصه أيضا.. أين المشكلة في ذلك؟!

إتكئ بمرفقيه على فخذيه وهو يمسح وجهه بكلتا يديه بإرهاق ثم قال يلومها:

دينا العطار

- لقد تغيرتي كثيرا يا أريج.. ما سر هذا التغيير

أريج الماضي

أخذت نفسا عميقا ثم زفرته ببطئ:

- أنا كما أنا يا أبي.. الزمن فقط هو ما يمر.. فلا بد له وأن يترك آثاره علينا أبي.

أقامت عليه الحُجة ، فقال:

- لقد كبرتِ حبيبتي.. متى حدث هذا!.. لطالما ظننت أنكِ ستظلين طفلة أبيكِ..

ثم استقام من مقعده ومد لها يده:

رينا العطار

– هيا لنعود إليهم بالداخل ونخبرهم معا

أريج الماضي

وعندما جاورته طبع قبلة طويلة على جبينها، فنظرت له بحب ولثمت يده بامتنان حقيقي لما فعله لها مذ كانت في علم الغيب، ويفعل، وسيظل.

قاعة مزدحمة عن بكرة أبيها بالمدعوين، ومائدة عامرة، ورغم ذلك لا يوجد أي مظهر ولو بسيط للاحتفال، وكما تحولت في لمح البصر زينة الأفراح إلى إضاءات العزاء، تحولت المباركات إلى عبارات مواساة.

دينا العطار

تم البدء بعقد قران هلال بأهلة، تلى ذلك
أريج الماضي
العقد لإمام وفريد، ثم تم العقد لمؤمن وأريج.

مؤمن الذي ما أن شرع المأذون في تدوين اسم العروس بدفتره حتى انتابته حالة عجيبة من الشرود الذهني ، لم يخرجه منها سوى أبيه وهو يهزه برفق ليضع يده بيد حامد.

تم العقد وغادر المأذون ، كما أتجه المدعوون للمائدة، في حين حث الأباء العرسان للتوجه نحو العرائس للتهنئة.

كانت أول خطوة من نصيب مؤمن نحو أريج، ليتأكد مما ظنه، فحين ردد المأذون اسم
دينا العطار

العروس، صاحب ذلك صورة مهزوزه لحامد
أريج الماضي
في خيال مؤمن كان فيها يحاول مؤمن اسناده كي لا يسقط أرضا.

وعندما وصل للطاولة، وجد أخته وبنت عمته، لذا وبلا شك تلك الأخيرة هي أريج عروسه!، بدأ بمباركته لأخته مقبلا جبينها أولًا، تلاها فريدة، ثم أخذ يتطلع نحو أريج قبل أن يقول لها:

- مبارك.. أنا مؤمن

كانت عيناها معلقة بأبيها حيث يقف تذهب وتجئ معه بنظرها، بالمثل كان أبيها متابع
دينا العطار

لها، فحثها بنظره على مجاراته، كأنه يعلمها
أريج الماضي
أنه هو بالفعل من أصبح زوجا لها، بعدما لمح بعض من تردد يراودها من حين لأخر. فقطعت تواصلها مع أبيها ثم التفتت لمؤمن تناظره:

- وأنا أريج.. مبارك لك أيضا

ما أن نظرت إليه حتى حتى أيقن أنها، هي فتاة الحادث، رغم أنه لم يرها حقيقة بسبب الضمادات التي كانت تحيط برأسها، والكدمات والخدوش التي كانت تملئ وجهها، كما أن أبيها لم يسمح له برؤيتها، رغم مجيئه مرات
دينا العطار
عدة، إلا أنه رأى صورتها ببطاقة هويتها،

وبطاقتها التعريفية الخاصة بالجامعة، على ما
أريج الماضي
يذكر كانت تدرس علوم الصيدلة، كما أن تلك البطاقة لا زالت بحوزته بأحد أدراج مكتبه، لقد وضعها بجيب سرواله ثم نسي أن يعطيها لوالدها مع حقيبتها وباقي متعلقاتها التي كانت بحوزته.

كان إمام هو من تبع مؤمن وعندما وصل إليهم بارك للجميع قولا واحدا:

- مبارك لكم جميعا

بعدما رد مؤمن والفتيات أيضا، توجه نحو أخته يقبلها، ويحتضنها هامسا لها:

دينا العطار

- أحلى عروس

أريج الماضي

ندت عنها إبتسامة خجول، زادت من سحر هدوءها ووقارها وايضا غموضها.

ترك أخته ثم توجه بنظره لفريدة التي لم يرها منذ كانت تهبط الدرج رهوا يوم مقتل يحيى، مد يده مصافحا وهو يقول:

- مبارك لكِ.. أنا إمام

ردت بثبات واتزان على عكس ما يوحي لها عقلها بفعله:

- مبارك للجميع

دينا العطار

قطع حديثهما صوت هلال الذي ينظر لإمام بازدراء:

أريج الماضي

- بالطبع لا ينتظر احد مني أي تهنئة

وصوب نظره نحو أريج، ينظر إليها بعجز وقلة حيلة، إلتقط نظرتها مؤمن، وفهمها، إلا أنه لم يبد أي رد فعل، عكس إمام الذي تحرك نحوه بغضب ووقف أمامه مباشرة يسد عليه زاوية رؤيته لها قائلا:

- وهل ينتظر أحد التهنئة من قاتل.. يبدو أنه سيكون قتيل الليلة

دينا العطار

همّ هلال بامساك إمام من تلابيبه، حين
أريج الماضي
حال مؤمن بينهما بجسده، في ذات الوقت الذي وصل إليهم آبائهم، المتابعون لما يحدث منذ بدايته. وجه حامد اللوم لإبنه:

- لم أعهدك هكذا يا إمام.. اضبط اعصابك قليلا

كان شهاب من تولى الرد قائلا:

- لا داعي لهذا يا حامد.. حدث خير

نظر مؤمن لأريج بتفحص شديد محدثا نفسه: "ما بها يجعل هلال هائما هكذا..

دينا العطار

جميلة.. لا أنكر.. وما أكثر الفتيات
أريج الماضي
الجميلات.. بل ويفوقنها جمالا".

استدار ينظر لهلال، فوجده يتابعه بغضب وتوعد، فقال لنفسه: "ما به هذا الأحمق.. لقد أصبحت زوجته منذ قليل.. هو من لا يحق له النظر إليها".

تطلع إليه يحاول سبر أغواره، يحاول فهم سر تعلقه بها بهذا الشكل.

بالطبع ما حدث منذ قليل لفت نظر الفضوليين على الجانب الأخر من القاعة، لذا

دينا العطار

ولمنع أي صدام أو احتكاك بين الشباب، أخذ
أريج الماضي
الآباء يتناوبوا عليهم.

أوشكت المحنة على الانتهاء، وهلال يحاول ضبط نفسه بشق الأنفس، وإمام يناظره بعدائية كلما لمحه يحاول النظر تجاهها، أما مؤمن فكان يشعر أن أحدهم زج به في مشهد هزلي، منا أنه لا ينفك يفكر في امنية ، والتي لا زالت خطيبته رغم زواجه، يشعر بالقلق حيالها، فرغم بعد المسافات إلا أن الصحافة اختزلت حتى الوقت، ووسائل التواصل الحديثة ألغت تماما أي حواجز، ونظرا لغرابة الحدث

دينا العطار

فصداه سيكون أوسع، وانتشاره أسرع من انتشار
أريج الماضي
النار في الهشيم بكل تأكيد.

وأخيرا تكللت المهمة بنجاح، وانتهى الحفل بدون فضائح. ودع حامد وزوجته أريج ومؤمن عند مدخل غرفة مؤمن بالفندق، ثم انصرفا ليعودا للمنزل مع إمام وعروسه التي رافقها أبيها وخالها إلى أن وصلت منزلها الجديد وصعدت لشقتها مع إمام بالطابق الأخير من المنزل فسيح الأركان.

كان المنزل عبارة عن بناء مكون من ثلاثة طابقين علويين، كل منهما مقسم إلى شقتين
دينا العطار
متقابلتين، أما الطابق الأرضي فكان عبارة عن

قاعة كبيرة تشغل حوالي نصف المساحة
أريج الماضي
المبنية، تستخدم لاستقبال الضيوف من الرجال، وأخرى أصغر قليلا لإستقبال الضيوف من السيدات، كما يحتوي على غرفتين مخصصتان لإقامة الضيوف فيهما حال مبيتهم، كما يوجد غرفة كبيرة مخصصة لمعيشة أهل المنزل تحتوي على طاولة كبيرة الحجم تحتل أحد الأركان، بينما تصطف الأرائك حول باقي أركان الغرفة ويواجهها شاشة عرض كبيرة الحجم.

صعد العروسان لطابقهم فترك الجميع
دينا العطار
الطابق الأرضي المعد لاستقبالهم مسبقا

وصعدوا مع العروسان لشقتهم. فتح إمام الباب
أريج الماضي
ثم حث عروسه على الدخول أولا، خطت العروس بقدميها المتيبستين للداخل، تبعتها والدتها وأبيها ثم خالها، ثم السيد حامد، وزوجته عالية، تلاهما أخوي إمام وزوجتيهما، وأخيرا دخل إمام، توجه أولا نحو غرفة الاستقبال يضئ أنوارها وهو يدعو الجميع للدخول، أحضر بعض المقاعد الإضافية ثم نصرف للمطبخ ليرى ماذا يوجد من مشروبات، لم يكد يصل لباب المطبخ حتى وضعت أمه يدها على كتفه من الخلف، في غشارة منها ليتراجع، جهزت الضيافة ونادت على زوجتي ولديها
دينا العطار

الأخران لتقديمها، فقامتا بتقديم الضيافق
أريج الماضي
للحضور ثم انصرفتا لمسكنيهما.

تبادل الجميع الحديث لبعض الوقت، ثم قام السيد شوكت من مقعده وتوجه لإبنته التي لم تبرح مكانها مذ استقرت عليه، قامت من مكانها وهي تناظره بلوم، واتهام، تجاهل نظراتها تماما، واحتضنها، فعل خالها المثل، قبل أن تصطحبها والدتها لغرفة النوم التي أشار إليها إمام، انتظر الرجلان حتى خرجت زهرة إليهما والدموع تغشى عينيها فتعثرت في أحد المزهريات، هرع إليها أخيها شهاب قبل
دينا العطار
أن يلتوي كاحلها، اعتدلت بمساعدة أخيها، ثم

عدلت من وضع ثيابها تحت أنظار زوجها
أريج الماضي
الساخرة غير المهتمة واللا مبالية بوجود متفرجين أخرين على حقيقة وضعهما معا.

سار السيد حامد مع الرجلان يرافقهما، وخلفهم كانت زهرة توصي عالية زوجة حامد بإبنتها خيرا!.

وبالخارج كان هلال وأهلة داخل سيارة دفع رباعي يقودها دياب، الذي كان يقف خارج السيارة بصحبة سائق سيارة أبيه ينتظرا عودته وزوجته.

دينا العطار

وعندما عادوا استقل شهاب سيارة شوكت
أريج الماضي
وزهرة لإيصال إبنته هي الأخرى.

اكتفى شهاب بتوديع إبنته خارج فيلا آل ماضي، ولم يقبل دعوة أخته والحاحها لاستضافته ولو قليلا. وما أن خطى هلال وأهلة للداخل ومعهما زهرة، حتى سأل شهاب زوج أخته:

- متى سينتقل هلال وأهلة للعيش بالقاهرة؟

رد شوكت مموها:

دينا العطار

- ما أن تستقر الاوضاع قليلا، وأرجو أن يكون ذلك قريبا

أريج الماضي

رد شهاب بتحفز:

- متى بالضبط؟! فجميعنا لدينا نفس الظروف، إلا إذا استجد شئ ما، فهل من جديد؟!.

أجابه شوكت بتوضيح فلا مفر من انتقال هلال وزوجته:

- أقصد أختك زهرة!، حالما تعتاد غياب فريدة، سينتقلا بالتأكيد

قال شهاب يقرر هو لا شوكت:

دينا العطار

- إذا فلينتقلا بعد شهر من الآن

أريج الماضي

أجاب شوكت بإقرار:

- فليكن.

بالصباح الباكر كان معظم أفراد الحفل الجامع بالأمس على متن نفس الطائرة متجهين للقاهرة. فذهب شوكت للمطار، مصطحبا معه زهرة بإرادتها هذه المرة، ودع إبنته فريدة مقبلا إياها وزوجها إمام الذي يعمل ويسكن بالقاهرة، ثم صافح مؤمن وأريج التي كانت تمعن النظر بزوجته زهرة، التي بادلتها النظرات بأخرى أكثر قتامة ودون سابق معرفة.

دينا العطار

لمس حامد ظاهر يد إبنته ينبهها:

أريج الماضي

- فيم شردت زهرتي؟!

بابتسامة رقيقة لاحت في عينيها:

- لا شئ أبي

انضمت أمها عالية للحديث:

- سوف افتقدك أريج

فنظرت لها أريج بامتنان قبل أن تجيبها:

- أنا أيضا سوف افتقدكم كثيرا

- أما أنا لن افتقدك مطلقا

قالها حامد، ثم مال على جبهتها يقبلها قبل

دينا العطار

أن يكمل:

– لأنك دائما معي، بقلب أبيكِ، يا عطر حياة أبيكِ

أريج الماضي

لم يخلو ذلك الحوار من المتلصصين، فكانت زهرة خير منصتا للحديث الهامس بين الإبنه ووالديها، وهي تميز من الغيظ والقهر في آن، فلو قُدرت النجاة لوليدها، لكان بعمر تلك الفتاة الآن، لكنه القدر الذي خط نهاية قصتها القصيرو جدا مع حامد، فارق وليدها الحياة بعد مولده بساعات، وفارقها حامد بعدها بأقل من شهرين، لم تستطع احتضانه قبل أن يحتضنه الموت، فكانت تصارع الموت هي

دينا العطار

الأخرى، لم ترى عينيه مفتوحتين، ولن تراهما أبدا.

أريج الماضي

فارقها حامد بعد أن رُزق بفتاة بعد موت طفلها بأيام قلائل لم تتعد الأسبوع، حينها كانتا تعيشان مع حامد في بور سعيد لظروف عمله قبل أن يستقيل من وظيفته بالجمارك هناك، ويعود لمسقط رأسه بالصعيد.

أقل من أسبوع بين ولادتها لإبنها "أكرم"، كما اسماه حامد، وولادة إبنته هذي أريج، وبعدما ظنت بموت الماضي وانطماس أثره، يأتي إبنها هلال ويسعى بكل قوة وجبروت

دينا العطار

للإقتران بها رغم أنها تكبره بنحو عام ونصف
أريج الماضي
أو أكثر قليلا.

حتى الآن هي لا تعرف كيف استطاع حامد اقناع شهاب بزواجهما، بعد وفاة خطيبها أخيه "أكرم"، بحادث انقلاب سيارة مروع، وشوكت ليس منه ببرئ. فكان من المفترض أن يتزوجها هو لا حامد بعد موت أكرم، لكن وفاة زوجته ولحقها أبيه أربكه، ومع تخطيها للشهر الاول من حملها، لم يكن هناك مفر من قبولها الزواج من حامد، ورغم سرعة زواجهما إلا أنهما اضطرا للإدعاء بانجابها في الشهر السابع رغم
دينا العطار
تخطيها الشهر التاسع بعدة أيام حينها.

آآآآه كبيرة تصرخ بداخلها، فنادمة هي

أريج الماضي

وبشدة، فأكرم لم يكن وحيدا بالسيارة، بل كان معه "يوسف" أخيها والذي شاءت الأقدار، بأن تتعطل سيارته وهو في طريقه عائدا للبلدة عشية العيد، ليلمحه أكرم، والذي كان عائدا هو الأخر من أسيوط، ترك أخيها سيارته مركونه بجانب الطريق، واستقل السيارة مع أكرم، وفي الطريق احتضنت سيارة نقل ثقيل ظهرت من العدم سيارة أكرم فأحالتها إلى قطعة ورق مكرمشة، تحول العيد إلى مأتم، بل مأتمين.

دينا العطار

بعد وفاة أكرم ويوسف بأسبوع، لحقتهما
أريج الماضي
زوجة شوكت، ثم أبيه، فتأزم الوضع بشدة، وتخلف شوكت عن موعدهما، وما زاد من وطأة الامر تأخر عادتها، لا تعرف أحزنا أم شيئا أخر.

لاحقا استطاعت مقابلته، حينها كانت قد قطعت الشك باليقين، فأخبرته، احتدت عيناه وثارت ثائرته، فابتعد عنها قليلا ليهدأ، وعندما عاد وقد رتب افكاره، طلب منها إمهاله بعض من وقت، لا تملكه هي من الأساس، فتبادلا الإتهامات، وبالنهاية تنكر لها ولجنينها.

دينا العطار

يومان كانا بمثابة جحيم مقيم، قبل أن يخطر ببالها خاطر، شرعت في تنفيذه على الفور، فذهبت للقاء "حامد"، عله يجد لها حلا أو يكونه هو.

أريج الماضي

وعندما حضر لم تزد عن جملة واحدة:

- أنا حامل

ذُهل مما سمعه للتو، فانعقد لسانه، تركته قليلا ليعي ما قالت، لم تحاول كسر الصمت بينهما حتى قال هو:

- منذ متى؟!

بتوتر وخجل حاولت ادعائه:

دينا العطار

- أتممت شهر قبل يومين

أريج الماضي

تسائل هو:

- وكيف تأكدتِ

أخبرته:

- تحليل دم بالمعمل.. لذا النتيجة مؤكده.. ولا مجال للخطأ.

رفع أحد حاجبيه هازئا:

- والحل؟!

ببرود شديد:

- لا أعلم.. لو كنت أعرفه.. ما جئت إليك

دينا العطار

قال بيقين:

- لا أصدقك.. أخي لا يفعلها

ردت بجرأه:

- أخاك زوجي.. لم يكن ينقصنا سوى الاشهار

فهدر بها بعنف وقد احمر وجهه:

- لذا لا أصدقك.. أخي يصون لا يفضح.. يكرم ولا يهين .. ما بالك بزوجته!

- يبدو أني قد أخطأت بقدومي إليك

قالت جملتها الأخيرة مدعية الندم، ثم سارت
أريج الماضي
خطوتين لا غير، حين تناهى إلى مسامعها كلمته:

- تزوجيني

أجابته دون تفكير:

- موافقة

وقد وصلت لمبتغاها. فشرع الله وحدوده كانا أخر ما يفكرا فيه حينها.

وفي غضون شهرين كانا قد تزوجا، كيف أقنع أخيها شهاب دون الإساءة لأخيه، فوالديها

دينا العطار

كانا متوفيين، أم تراه قد فعل!. وإن فعل فكيف
أريج الماضي
لم يواجهها شهاب، وكيف أقنع حامد زوجته؟!.

بحر هائج من الأسئلة تكاد تفتك بعقلها كلما جن عليها الليل وتجسدت أفعالها أمام ناظريها. لم يخرجها من أعماق ذكرياتها سوى صوت النداء على مسافري رحلة القاهرة.

ودع شوكت شهاب، وصافح الشباب مرة أخرى، وحين مد يده لأريج مصافحا تلاقت أعينهما، عيناها بلون الكهرمان، والتي تشبه شمس المغيب قبل أن يحتضنها البحر في رحابه، تشبه ولحد كبير لون عيناه ولكن بمزيد
دينا العطار
من الاتساع والجاذبية. كم هي جميلة وحزينة،

الجميلة الحزينة، وكم يليق بها هذا الاسم!. لا ريب أن هلال وقع أسير لهاتين العينين الساحرتين، الآن فقط أحب لون عينيه، والآن فقط بدأ يعذر هلال، لم يفت على مؤمن تحديق شوكت المبالغ فيه لأريج، فنبهه:

أريج الماضي

- فيم شردت، أم تراك تشبه عليها؟!

تنحنح شوكت مجليا صوته:

- لا شئ، يبدو أن الإرهاق قد نال مني، وبدأ الدوار يلف رأسي!

بصوت ساخر بعض الشئ علق مؤمن:

- لا بأس عيك

دينا العطار

نظر شوكت لأريج مرة أخرى:

- زواج مبارك إبنتي

ردت بهدوء وصوت خافت كرفرفة الفراشات:

- شكرا لك

دغدغ صوتها مشاعر غريبه داخله، فلم يستطع للسانه إلجاما:

- يبدو أن مؤمن هذا محظوظ جدا بك.. إذا أغضبك.. فقط ابلغيني

ذُهل مؤمن –الذي لم يحد ببصره عنهما– مما يسمع، لا يعرف ماذا أحل بهذا الرجل

الشديد والصارم والمجرم أحيانا، ما الذي دفعه
أريج الماضي
ليغازلها صراحة هكذا وأمامه وعائلتها حولها أيضا، أم تراه يستفزه؟! أم هي لعوب، ويعرف هذا الرجل وولده ما لا يعرفه هو؟!.

خرج صوته صارما غاضبا إلى حد كبير:

- يكفي هذا .. هيا بنا

فتحركت معه نحو بوابة الدخول، في تلك الأثناء كانت زهرة تتشبث بفريدة لا تريد إفلاتها، فجذب شوكت إبنته من بين أحضان أمها قائلا:

- هيا يا فريدة

دينا العطار

تحركت فريدة مع إمام الذي كان يودع

أريج الماضي

والديه هو الاخر، فقال حامد:

- تصحبكما السلامة

رد إمام:

- أدامك الله لنا يا أبي، وأنتي يا ست الكل، ولا حرمنا منكما أبدا

أخذ حامد وعالية، وكذلك شوكت وزهرة ينظرون في إثر أبنائهم حتى توارى الشباب عن أنظارهم.

.....

دينا العطار

إمتثل إمام لرغبة شهاب، في إيصاله وفريده
أريج الماضي
لشقتهما أولا، استقر إمام جوار سائق سيارة شهاب، بينما تشارك فريدة خالها، الأريكة الخلفية التي كانت تشاركه فيها أمس أهلة، أما مؤمن فقاد سيارته بعدما دفع رسوم مبيت سيارته، والتي كان تركها بساحة الانتظار بالمطار، للعودة إليها اليوم، وجواره بدلا من إمام يوم أمس، كانت أريج، تسبح في ملكوت أفكارها الخاصة، وخاصة تلك التي تخص الخال وإبنه الغاضب، الصامت هو الأخر.

انطلقتا السيارتين تشق طريقهما نحو شقة إمام.

دينا العطار

دخلت فريدة أولا وتبعها خالها ثم دخلت أريج ومؤمن وفي الأخير دخل إمام غالقا الباب خلفه بهدوء وحيرة.

أريج الماضي

كانت أريج بشرفة شقة أخيها حين وصلها صوته المرح مقتبسا اللقب الذي يدعوها أبيها به:

- أتسمح لي زهرة أبيها العاطرة بالجلوس معها قليلا

غزت ابتسامه رقيقه شفتيها، وهي تومئ له بالإيجاب، فجذب المقعد المقابل لها ليعكسه

دينا العطار

ثم قعد متكئا بساعديه على ظهر الكرسي، وقال:

أريج الماضي

- فيم، أو فيمن تشرد الأخت أريج؟

أخذ ينظر إليها يحاول سير أغوارها، لقد تبدلت كليا من بعد الحادث، هذي التي أمامه ليست أخته، ولا تمت لها بصله، أين توارت الأخرى، ولماذا؟!

ردت عليه سؤاله:

- وفيم شردت أنت؟!

قال يشاكسها قليلا، ريثما يترك فريدة مع خالها قليلا:

دينا العطار

- في الطلة البهية أمامي.. إنها

أريج الماضي

بهجة للروح والنفس..

ثم أكمل ممتعضا:

- يبدو أن هذا المؤمن .. شخصا محظوظ

- بل أكثركم حظا

قالها مؤمن بسخرية لاذعة يجيد استخدامها، عندما دخل للشرفة يأخذ أريج ليغادرا.

بتحدِ وثقة واجهه إمام يدافع عن أخته:

دينا العطار

- الأيام هي الفيصل يا مؤمن ..

أريج الماضي

وسوف أذكرك

بشك ورؤية قاتمة أجاب مؤمن:

- يبدو أنك أنت الوحيد المتفائل في هذا الأمر كله

ثم وجه حديثه لأريج الصامته تشاهدهما وكأن الأمر لا يعنيها بشئ:

- هيا لقد تأخرنا بالفعل

لم يستجب إمام لمحاولة مؤمن إنهاء الحديث بينهما بهذا الشكل فقال:

دينا العطار

– ولم لا أفعل، فأنا رجل اؤمن

أريج الماضي

بتدابير القدر يا مؤومؤو

وشدد على نطقه لإسمه، ضاما شفتيه للأمام، بشكل جعل ابتسامة أريج تتسع وهي تتذكر إسماعيل ياسين عندما كان عفريت المصباح ينطق اسمه ماطا إياه ويقول "يا موووصتاااافاااا"

شعرت أريج ببوادر انفلات اعصاب مؤمن، فنهضت سريعا من مقعدها، لكن لم تستطع لنفسها منعا من محاكاة نبرة أخيها قليلا وهي تقول:

دينا العطار

- هيا يا مُؤمنّ

أريج الماضي

توعدها مؤمن بنظرة ترجمتها بحرفية، بينما نظر لأخيها شزرا وهو يغادر.

انصرف شهاب ومؤمن ومعهما أريج، التي رفضت أن يوصلها أخاها رفضا تاما.

.....

لاحظ شوكت وزهرة الهدوء الشديد الذي يعم المكان، بعد عودتهما من المطار، فسأل إحدى العاملات:

- أين دياب؟

أجابت العاملة بتهذيب:

دينا العطار

- لم يخرج من غرفته بعد

أريج الماضي

قالت زهرة:

- سأصعد لإيقاظ العروسان.. لقد تأخرا بالفعل.. وسيبدأ المهنئين بالتوافد تباعا.

استيقظ هلال والذي على ما يبدو أنه قرر أن يكمل حياته مع أهلة، في لحظة لم يخيل له فيها، سوى مؤمن وأريج ومغلق عليهما باب غرفة واحدة، فقرر أن يكون له ندا بند.

ونتيجة لأشباحه وخيالاته التي لم تبرحه منذ اقترن مؤمن بأريج، استيقظ في مزاج عكر

ديانا عطار

للغاية، فآثرت أهلة تجنبه، وهي تلعن حظها
أريج الماضي
العثر، الذي جعل زوجها يستيقظ صباح ليلة زفافه، بهذا الكم الهائل من العصبية، بدلا من أن يستيقظ مسرورا فرحا بعروسه.

أما مؤمن والذي لم يكد يعبر من البوابة الخارجية للفيلا بسيارته، حتى لمح سيارة يعرفها، صف سيارته بمكانها وترجل منها ينظر لأريج التي تنتظره ليفتح لها الباب، فنظر إليها ساخرا:

- سوف تبيتين في مكانك.. إذا انتظرتني أفتح لك الباب، إلا إذا فقدتِ
دينا العطار
يدك، حينها ستكون فعلتي اشفاقا.

خرج أباه من سيارته، فتوجه مؤمن إليه:

- ماذا الآن؟!

كانت أريج قد خرجت هي الأخرى من سيارة مؤمن، حينما سمعت خالها:

- دعني أنا من ينهي الأمر.. مهما حدث لا تتدخل.. مفهوم؟!

وكم لها من صدى جميل، محبب إلى النفس، كلمة خال، حين تقال لخال مثل شهاب، الوقار الذي يغلفه، تشعر بطمأنينة وألفة لا تعرف لهما سببا حين تسمعه، يبدو

أنه حنون كأبيها أو الأصح عمها حامد، هكذا حدثتها نفسها، حين سمعت اعتراض مؤمن:

أريج الماضي

- لكن..!

قاطعه أبيه:

- لا تقل شئ .. هيا أوصل زوجتك لغرفتكما.. ثم ألحق بي

دخل شهاب لغرفة الاستقبال مباشرة، بينما أشار مؤمن لأريج أن تتقدمه نحو الدرج، لم يكمل مؤمن الصعود خلف أريج حتى اخترقت أذنيه كلمات حموه الغاضبة:

دينا العطار

- هذا هراء يا شهاب.. إلغاء الخطبة

أريج الماضي

لا يكون بتلك الطريقة المهينة.. مهما كانت الظروف أو الأوضاع.. ما حدث قلة أصل!.

وحين سمع الإهانة، نسي أمر أيصال أريج لغرفته، وأخذ كل درجتين نزولا ليلحق بأبيه، دخل الحجرة قاطعا كل الأصوات، ومدفوعا بقوة الغضب والذي على ما يبدو قد وجد له متنفس قال:

- وهل من الأصل أن ترفع صوتك على أهل بيت أنت فيه ضيف؟!

دينا العطار

تضاعفت ثورة كمال أبا أمنية:

أريج الماضي

- أهلا بالعريس ابن الأصول.. وخطيب ابنتي في ذات الوقت

رد مؤمن بثبات وقوة ينهي الأمر:

- سابقا.. إبنتك خطيبتي السابقة.. أما الآن فلي زوجة.. وهي بالمناسبة ليست إبنتك.. لذا لا داعي لحديث لن نخرج منه بشئ سوى عداوة

قاطع حديث مؤمن مهددا:

- عداوتي أنت من سعيت لها.. ولتتذكر ذلك دائما.. أما ابنتي فقد أنقذها

القدر منك.. فمن لا يقدرها حق قدرها

أريج الماضي

ويحارب لأجلها .. لا يستحقها.

نظر شهاب لمؤمن بلوم، وهو يحاول امتصاص غضب كمال وتهدئته:

- إهدأ يا كمال قليلا.. ودعنا نتراضى ونتفق من جديد.

قالها واضحة وصريحة هكذا، فاهتاج كمال أكثر وانفلت عقال تعقله، في سابقة لم تحدث قبلا:

- هل جننت، كيف تجرؤ؟!

رد مؤمن قائلا بدوره:

دينا العطار

- شرفت يا عماه

أريج الماضي

رمقهما كمال بشر، ثم انصرف، وهو يلعن ويسب عائلة الهلالي وكل فرد ينسب إليها.

أخذ مؤمن ينظر لأبيه في صمت، فقال أبيه بضجر:

- لا تقل أنك اكتشفت فجأة أنك تحبها!

ابتسم مؤمن بمرارة، ثم قال لأبيه بتفكير:

- لا.. لكني قد اعتدت عليها وعلى وجودها بحياتي.. الفرق الوحيد يا ابي..

دينا العطار

أن أمي لم تجبرني على الزواج من بنت صديقتها..

أريج الماضي

زفر بشدة قبل أن يكمل:

- بينما فعلت أنت!.
- لكنك وافقت
- أجل.. مضطرا.. لأجلك

أجابه أبيه ممتنا:

- وأنا أقدر لك هذا

تسائل مؤمن:

- هل أحادثها؟!
- لا .. لا تبادر بشئ

دينا العطار

خرجا معا من الحجرة، فوجدا إجلال، تجلس
أريج الماضي
برفقة أريج بغرفة المعيشة، ويعم الصمت المكان، فبادرهم شهاب:

- يبدو أنكما قد تعرفتما

ردت إجلال على زوجها، بعدما رمقت أريج نظرة غير مرحبة:

- كانت الفتاة حائرة.. حين تركها مؤمن أعلى الدرج.. فاحضرتها إلى هنا.. لننتظركما حتى تأتيا

ثم وجهت بصرها لأريج وهي تقول بحيادية:

- ذكريني اسمك.. وماذا تدرسين؟

أجابت:

أريج الماضي

- أريج.. انتهيت هذا العام من دراسة الصيدلة

قالت إجلال بشئ من التهكم:

- صيدلانية إذا

ثم أكملت بجدية:

- يوسف رحمه الله.. أخا شهاب كان صيدلي.. وكذا زوجته "هبة الله"

عقبت أريج بابتسامة رقيقة:

- عمي أكرم رحمه الله أيضا كان صيدلي.. هو من كانت دكتورة هبة

دينا العطار

متدربته، توفي في نفس الحادث الذي تفي
أريج الماضي
فيه الدكتور يوسف رحمه الله.

قالت إجلال بدهشة:

- إذا لديك سابق معرفة بالعائلة

بثقة العالم ببواطن الأمور وخفاياها، قالت أريج:

- أكثر مما قد تتخيلي يوما

اندهش الجميع مما قالت، فأردفت توضح:

- أخي إمام.. كان يعرف الدكتور يحيى رحمه الله.. ليس فقط كطبيب معالج لي.. بل كصديق.. وكشريكان أيضا

تفرست في وجوههم فلم ترى سوى الحزن
أريج الماضي
الذي طغى على قسماتهم. قال مؤمن بتعجب:

- كيف؟!

- هو طبيب علاج طبيعي.. كالدكتور يحيى رحمه الله.. وأرادا أن يشتركا في انشاء مركز.. يخصصا قسم فيه للعلاج بالمجان.. كصدقة جارية للدكتور يوسف.

سألها مؤمن ثانية:

- أوليس توأمك؟! أي حينها لم يكن أنهى دراسته بعد!.

دينا العطار

أوضحت:

أريج الماضي

- لا.. إمام يكبرني بعام ونصف تقريبا.. ويسبقني في الدراسة بعامين.. يعاملوننا كتوأم كما لاحظت أنت.. لأن أمي أرضعته معي مرة أخرى.. كان يغار فقبل الرضاعة بعد الفطام.. هكذا أخبرونا!.

قالت إجلال:

- يحدث كثيرا.. أن ترضع الأم أخوين معا.. لكن لماذا كنتِ بحاجة لجلسات علاج طبيعي؟!

دينا العطار

تفاجأت أريج بالسؤال، فلاحت لها ذكريات أليمة تسعى بقوة، لتجاهلها وتناسيها:

أريج الماضي

- لقد أصيبت في حادث سير منذ فترة

ابتلعت غصة شديدة بحلقها وهي تكمل ضاغطة شفتيها بتأثر:

- كانت إصابة ساقي شديدة.. ولولا تلك الجلسات.. لما استطعت السير بشكل طبيعي مرة أخرى.. لم أنته بعد من الجلسات

همهمت إجلال:

دينا العطار

- مممم

فكر مؤمن أنها لا تعرف، أنه من كان معها بالمشفى، وكيف تعرفه، فكلما حضر لمتابعة حالتها طرده أباها!.

حان وقت الغداء، فتوجه الجميع نحو المائدة. تناولت أريج لقيمات بسيطة، كذلك فعل مؤمن، قطع السيد شهاب صوت رنين أداوت المائدة يسأل أريج:

- في أي جامعة درستي؟
- جامعة القاهرة

سأل ثانية:

- وأين كنتِ تسكنين؟

أريج الماضي

- مع أخي إمام .. وحين أنهى دراسته والتحق بالتجنيد عام.. سكنته بالسكن الجامعي التابع للجامعة.

قال مؤمن ينهي هذا الحوار الممل، فيكفي هكذا في يوم واحد ويزيد:

- لو انتهيتِ .. هيا لأريكِ غرفتك

ردت بهدوء:

- حقائبي لا زالت بالسيارة

- سوف أحضرها لك بعد أن أوصلك لحجرتي

دينا العطار

استأذنت من شهاب وإجلال بتهذيب ثم قامت من مقعدها ترافق مؤمن لحجرته.

أريج الماضي

وما أن خطت بقدماها أرض الحجرة، حتى قال مؤمن:

- سأذهب لأحضر لك أغراضك

خرج مؤمن ليحضر حقائبها، فتأخر كثيرا، مر عليها الوقت ببطئ شديد، حتى جاء يحمل حاجياتها، رضعها جانبا، وبشكل تلقائي توجه نحو خزانة ثيابه، أخرج بعض القطع البيتيه ثم إتجه نحو الحمام قائلا:

دينا العطار

- سوف اغتسل أولا.. حتى تخرجي

أريج الماضي

ملابسك من الحقيبة.

.....

اتخذ إمام المقعد المقابل لفريدة، في انتظار وصول الطعام من أحد المطاعم المجاوره. قال يحاول إيجاد حوار بينهما:

- لا أعرف لماذا تأخر الطعام هكذا؟!

بلا مبالاة أجابته:

- لست جائعة .. لا تهتم

دينا العطار

حاول اختراق عزلتها، مرددا:

- أما أنا فأكاد أسمع صوت

أريج الماضي

عصافير معدتي.. هل تحبين أن تشربي شيء؟

- لا .. شكرا لك

تجاهل ردها، قائلا:

- سأعد لكِ عصير معي

قالت:

- كما تحب

أعد العصير واحضره، ارتشف منه رشفتين متتاليتين وهو يمعن النظر فيها، فتوترت وكادت أن تنزلق الكأس من يدها، شعر بتوترها

فأشاح نظره بعيدا عنها قليلا، ثم عاد ينظر
أريج الماضي
إليها مرة أخرى قائلا يمهد لها الطريق لتألفه وتألف وجوده حولها:

- أعرف أن زواجنا قد تم بشكل غريب.. بل غريب جدا وسريع أيضا.. لذا أريدك أن تطمئنين نفسك من جانبي.

استطاع جذب انتباهها، فرفعت عيناها إليه تنتظره وتحثه أن يكمل، وقد استجمعت كل حواسها لتمعن التركيز فيما سيقول. فاسترسل:

دينا العطار

- فكما ترغبين في بعض الوقت

أريج الماضي

لتلملمي شتات نفسك.. أحتاج أيضا بعضا منه لأرتب أفكاري وأولوياتي

تحولت نظرتها لشك، فسألته:

- حقا؟

أومأ بإيجاب، ثم أسند راسه للخلف على ظهر المقعد، وقد ضاقت عيناه يحاول التفكير، في إجابة لسؤال يؤرق منامه منذ أقر المجلس بزواجهما: "كيف يبدأ معها؟".

دينا العطار

ثم كان صوت الجرس الذي أعلمه بوصول

أريج الماضي

الطعام، هو الفاصل الذي أنقذه من الغوص في أفكاره التي لا مجال لها الآن.

.....

أخرج مؤمن شريط دواء من جارور الكومود جواره، أخذ بنظر للشريط في يده عدة لحظات، قبل أن يمد يده به لأريج التي على وشك الوقوع أرضا، إذا استمرت بتمسكها بطرف جانبها من الفراش هكذا، نظرت للأقراص بيده بدهشه وتوتر وقد تعرفت عليها بسهولة، فقال:

دينا العطار

- كما تعلمين.. فظروف زواجنا

أريج الماضي

استثنائية.. ورغما عنا.. لذا فالقرار الأمثل في تلك المواقف.. هو تأخير الإنجاب..

سكت قليلا يستكشف رد فعلها وتعبيرات وجهها، ثم أكمل بسخريته المعتادة:

- أم لكِ رأي أخر؟

أومأت له بالنفي.. وهي تمد يدها تأخذ الأقراص منه، وقد علمت للتو لماذا تأخر في جلب حقائبها. وسؤال يكاد يفتك برأسها إلحاحا، كيف يراها؟.

دينا العطار

لأول مرة منذ شهور، مرت عدة أيام في
أريج الماضي
هدوء دون مشاحنات، عاد خلالها يوسف لمصر، لكنه لم يعد لفيلا أبيه. عاد لشقته التي تزوج فيها قبل أن ينتقل للعيش مع والديه، إرضاءً لهما، والآن يعود إليها مرة أخرى، ذهب مؤمن إليه لكنه أبى أن يعود معه، وأحتار أبيه، ماذا يفعل معه، فمن غيره يعلم مدى عِند يوسف، لذا قرر أن يتركه عدة أيام أخرى، ثم يذهب إليه ليسترضيه.

ايضا رغم تحفز وتحفظ مؤمن نحو أريج إلا أنه يستطيع وبكل سهولة أن يرى انسجام ما
دينا العطار
بدأ يلوح بالافق بينهما، يرى أنها تليق به كثيرا،

كما يبدو انها فتاة مسالمة وخجول، تسأل عما
أريج الماضي
لا يعنيها، لذا حظيت بالقبول من جهة مؤمن.

لا ينكر أنه تعجب بل اندهش في بادئ الأمر من سرعة تقبل مؤمن لها، تعامل مؤمن مع الوضع كله يربكه، ويجعله غير قادر على توقع التالي.

ثم أنه لا يعرف كيف واتت أحمد الجرأة ليفعل ما فعل، ينتظر فقط عودته، وليعيد تربيته من جديد، لقد ظل يضحك بشدة وبشكل هستيري حتى اندهشت منه زوجته، فهو على يقين أن مؤمن هو من ساعد أحمد ليهرب،

دينا العطار

ليقع هو في الفخ ويوقع على العقد بدلا من أخيه، فعلى نفسها جنت براكش.

أريج الماضي

أما زوجته، لا يعلم تحديدا ماذا أصابها، فتارة يشعر بقبولها للفتاة، وتارة أخرى يرى النفور البادي على محياها ينطق بدلا منها، ربما لانها تربط بين ترك يوسف للمنزل وبينها، فربما لو عاد يوسف، تصبح أكثر تقبلا لها.

.....

أمه تفرط في تدليل أهلة، وأبيه يفرط في عقابه، يشعر بأنه على وشك الفتك بأحدهم، أمره أبيه أن يبدأ في ترتيب أوضاعه للانتقال

دينا العطار

شقة القاهرة، القريبة من عنوان خاله، ليسكن فيها هو وأهلة، كما أخبره أن خاله قد وفر له وظيفة بشركته، ليضطر آسفا أن يرى مؤمن يوميا، وهذا ما لا يحمد عقباه، فأبيه لا يتسطيع أن يدرك أنه من اليسير عليه، أن يرتكب جريمة، إذا ما تواجد هو ومؤمن في حيز واحد، لذا عليه إقناع أبيه بضرورة البعد عن شركة خاله، بل عليه البعد عن العائلة بأكملها.

.....

وعدها مؤمن بأن يقوما بزيارة إمام وفريدة اليوم، لذا فهي أكثر من سعيدة، ليس فقط لأجل زيارو أخيها، والذي زارها مرتين في أقل

أريج الماضي
دينا العطار

من عشرة أيام زواج، لكن لاحساسها بالألفة
أريج الماضي
تجاه مؤمن والراحة تجاه خالها، لا تنكر خوفها منهم ولا زالت، فهي حتى الآن ترى وتستشعر بالنار تحت الرماد، وخاصة السيدة إجلال حماتها، كما أن هدوء العاصفة نسبيا لا يعني انقضائها، فحتى الآن لم تتعامل مع أحد، ولم يتركها مؤمن بمفردها ساعتين كاملتين. لكن اخلاقهم العالية، تعاملهم الراقي، وعدم نفورهم منها رغم ما سمعوه عنها، بدد الكثير من مخاوفها تجاههم، واحساس بالانتماء لهذه العائلة بدأ ينمو، ويأخذ حيز بداخلها تجاههم.

دينا العطار

- ألن تبدأي في جلسات علاجك من جديد؟

أريج الماضي

سألها إمام الجالس جوار زوجته، محيطا كتفيها بذراعه، فردت أريج:

- لا أشعر أني احتاجها

بجدية شديدة رد إمام:

- أريج.. أنتِ خير من يعلم أن التحسن الظاهري.. ليس معناه التعافي التام.

قال مؤمن نيابة عنها:

دينا العطار

- من الآن أنا من سيتولى الأمر..

أريج الماضي

لذا أريد صور الآشعة والتقارير الخاصة بتطور حالتها.

بدا التوتر على محيا إمام، وهو يمسك إطار نظارته الطبية بيده الحرة:

- لقد فقدت معظم تقاريرها، وصور الآشعة

وصمت قليلا ثم عاد يسترسل حديثه وهو ينظر لأريج:

- عليك القيام بعملها مرة أخرى.. وسأدون لك المطلوب بالضبط

دينا العطار

قالت تنهي النقاش:

أريج الماضي

- فيما بعد.. بالتأكيد ليس الآن.

ثم غيرت دفة الحديث لتسأله:

- هل تتحدث إلى أبي؟

قال وهو يضحك:

- لا يتذكرني إلا بعدك.. فيهاتفني شفقة.. يبدو أنني وفي وجودك سأظل إبن البطة السوداء عند أبي.

قالت تمازحه:

- يكفى أنك إبن البطة البيضاء عن أمك

دينا العطار

قال مؤمن وهو يميل عليها قليلا بجذعه:

أريج الماضي

- يبدو أنها مدللة أبيها

ردت فريدة بغيرة وضجر:

- ليس أبيها وحسب.. بل أخيها أيضا.. لا يكف عن ذكرها في كل جملة مفيدة..كتوأم ملتصق.. تم التفريق بينهما مؤخرا.

أجاب إمام ضاحكا:

- وأنا من ألوم أبي.. جاءت من تلومني.. ماذا نفعل يا فريدة.. فكما تعلمين أنها البنت الوحيدة وسط ثلاثة من الجنس

الخشن.. ثم أننا بالفعل بعتبر توأم.. فالفرق

أريج الماضي

بيننا بأشهر حملها لا يتعدى العام ونصف.. ثم أرضعتني أمي معها مرة أخرى.

قال أخر كلماته بضحك، وهو يسترجع ما تم تلقينهما إياه منذ الصغر، والحقيقة أن والدتها عندما إدعت حملها في أريج لم تكف عن إرضاعه، على الاقل ليلا، ونهارا كانت ترضعه في الخفاء بعيدا عن ولديها الأخران حين يتذمر من الطعام، وساعدها في ذلك طول فترة يومهما الدراسي، وعندما جاء حامد

دينا العطار

إليها بأريج، أرضعتها معه بالفعل، فأصبحت
أريج الماضي
بالرضاع إبنة لحامد وعالية وأختا لأولادهما.

أما مؤمن فكما أريج، شعر بالعدائية الكامنة خلف كلماتها، ولا أحد يلومها في ذلك، ففريدة الأكثر تضررا بينهم مما حدث، ومع صرامة أبيها وإجباره إياها من الزواج بإمام، لا تستطيع التحكم في انفعالاتها.

انتهت الزيارة ببطئ شديد عند فريدة، وبسرعة أشد عند الأخوين ومؤمن، ومع الوعد بتبادل الزيارات خلال الأيام المقبلة، رفضت فريدة بشكل فظ وبتسرع:

دينا العطار

– كنت أتمنى ذلك.. لكن دراستي

أريج الماضي

سوف تبدأ خلال أيام.. وهذا عامي الأخير وأريد التفوق فيه.

رمقها إمام استهجان، ورافق مؤمن وأريج حتى باب السيارة، وبعد مغادرتهما، أخذ يجوب الشوارع حول مسكنه قليلا حتى هدأ مما فعلت فريدة، فرغم كل شئ هو لتمس لها العذر.

فتح باب الشقة بهدوء ودخل، رآها مضجعة على الأريكة، وحينما دخل استوت جالسه، نظر إليها ببرود، وبعض من شفقة أشعلتها، وجعلتها تغادره لغرفتها.

دينا العطار

لم يغضب، لكنه حزن لحزن أخته، والذي بدا جليا على وجهها الذي إنطفأ مع كلمات فريدة. ما يعزيه حقا أنه يبدو ورغم كل شئ أن مؤمن يناسب أريج وبشدة!.

أريج الماضي

.....

دخلت أريج للغرفتها أولا ثم تبعها مؤمن، لم يتبادلا الحديث بالسيارة، تركها لشرودها وصمتها الذي اعتاده، وكما يبدو أنه سيطول إن لم يقطعه هو كعهده بها خلال الأيام القليلة الماضية، لذا بدأ هو:

- لماذا لا تريدين إنهاء جلساتك؟!

دينا العطار

- أشعر أني تعافيت.. أو بالأحرى

أريج الماضي

لا فائدة أكثر من ذلك

- يؤسفني أن يكون هذا اعتقادك

أجابته بصوت جريح:

- أنت لا تعلم كيف كانت حالتي

نظر في عينيها بقوة:

- أعلم

بتساؤل:

- من أخبرك؟! أبي .. أم إمام؟

أخبرها:

دينا العطار

- ليس أي منهما

سألته:

أريج الماضي

- من؟!

راوغها:

- سأجيبك.. لكن بعدما تقصين على كيف حدث هذا؟

تنهدت، وبنظرة كسيرة نظرت ليديها المقبوضتين المستريحتين في حجرها:

- حادث سير .. عادي جدا مثل اي حادث!

ينظر إليها بتمعن يقرأ معالم وجهها، وبسهولة علم أنها كاذبة:

دينا العطار

- هل رأيتي سائق السيارة؟

أريج الماضي

أجابت:

- أجل.. كانت سيدة

سأل مرة أخرى:

- وماذا أيضا؟

مطت شفتيها للأمام قليلا قبل أن تقول:

- لا شئ

لن يتركها قبل أن يعرف ما يريد:

- هل تستطيعي التعرف عليها؟

بلا مبالاة:

دينا العطار

- عمتك

أريج الماضي

رفع حاجبيه اندهاشا:

- مممم.. إذا أنت تعرفين من هي!

- أجل أعرف.. رأيتها قبل أن أفقد وعي بلحظات.

تسائل:

- ولماذا لم تخبري عنها

- أنا المخطئة.. كنت أسير بين السيارات.. ولم أنتبه للإشارة

- لماذا

- كنت شاردة

دينا العطار

- فيم

أريج الماضي

- لا أذكر

ضحك بصوت عال:

- سوف أصدقك

وبنبرة ذات مغزى أكمل:

- على الأقل حاليا!.

قام من مكانه، متوجها نحو مكتبه، اخذ يعبث بمحتويات الجوارير حتى عثر عليه فأخذه وهو ينظر إليه باهتمام، ثم توجه ناحيتها في زاوية الغرفة حيث تحتل أحد مقعدين متجاورين ويقابلهما أريكة كبيرة الحجم،

يواجهها شاشة عرض، موضوعة فوق سطح
أريج الماضي
مكتبة قصيرة، مصممة لهذا النوع من الشاشات، وقف جوارها لحظان يشرف عليها من علو، ثم مد يده لها:

- ما هذا؟!

حين أخذته، تنظر إليه، قال:

- الكارنيه الخاص بكِ.. لقد نسيت أن أسلمه لأبيك مع حقيبتك وبطاقة هويتك الشخصية.

باستغراب سألته:

دينا العطار

- لا أفهم.. هل كنت أنت من

أريج الماضي

احضرني للمشفى؟!

- ليس بالضبط.. كنت في زيارة لها.. عندما هاتفتني لآتي إليها بالمشفى.. فلحقت بها إلى هناك ومن حسن حظها وصلت مع الاسعاف.. طلبت منها أن تغادر.. وبقيت أنا معك.. حتى جاء أبيك.. ثم منعني من رؤيتك بعدها نهائيا.. رغم أني كنت أسافر خصيصا من القاهرة لأطمئن عليكِ.

قالت مبتسمة:

دينا العطار

- يبدو أن للقدر تدابيره الخاصة

قال بموافقة مبتسما هو الاخر:

أريج الماضي

- أجل.. يبدو كذلك

استمرت في تطلعها للبطاقة بين أصابعها بعض الوقت.. ثم وضعته فوق الطاولة الصغيرة أمامها.. لتنهض كي تستبدل ملابسها بأخرى. بينما ظل هو ينظر في إثرها حتى بعدما توارت خلف باب الحمام، وقد طاف بعقله فجأة هلال!.

.....

كان شوكت يستقر خلف مكتبه، بمصنع الأسمدة، والذي يحمد الله كثيرا أن لم تطاله يد

هيا العطار

الأذى الفترة الماضية. دخل دياب كالعاصفة
أريج الماضي
قائلا بدون مقدمات:

- كارثة يا أبي.. كارثة.. لقد غرق صندل الفوسفات في قنا، اصطدم بعمود عند كوبري دندرة العلوي، وهناك عجز شديد في الخامات وحمض الكبريتيك أيضا، لقد زاد الوضع عن حده، وسوف يتوقف الإنتاج في أي لحظة.

إعتدل أبيه في جلسته:

- اهدأ أولا.. وأقعد.. هل أنقذوا شيئا من الصندل

دينا العطار

زفر دياب، قائلا في قنوط:

أريج الماضي

- لا.. كنت أتابعه من وقت خروجه من أسوان.. وما أن وصل مياه قنا انقطعت الاتصالات بيننا.. بعدها بقليل اتصلوا بي يبلغونني الخبر.. ثم انفجرت الاخبار مرة واحدة في كل مكان.. ماذا أفعل يا أبي والإنتاج على وشك التوقف.. كما أن هناك بالفعل تأخير في التوريد.. والفترة الماضية أنت أعلم بها مني.. الكوارث كانت يومية.

لم تتوقف ساقي دياب عن الاهتزاز بشكل هستيري، جعل أبيه يصرخ بوجهه:

دينا العطار

- توقف عن هز ساقيك.. أو اختفي

أريج الماضي

من أمامي فورا

سيطر دياب على حركة ساقيه، قبل ما يسمع من أبيه ما جعله يعاود هزهما بصورة أسرع وأعنف:

- اتصل بحامد.. فمخازنه لا تنضب.. أبلغه سلامي.. وأطلب منه الكمية التي تريد من الفوسفات وماء النار أيضا.

انتفض واقفا بغضب:

دينا العطار

- لكننا لا نتعامل معه.. ولا أريد..

أريج الماضي

ولن أفعل

ضغط شوكت بسبابته والإبهام بين عينيه، قبل أن يجيب ولده بحزم:

- اقعد.

وعندما استجاب دياب على مضض، أشار إليه بسبابته محذرا:

- أنت.. إذا علا صوتك مرة أخرى في حضوري

وقاطع أبيه قبل أن يكمل:

- لن اكررها

دينا العطار

فزفر أبيه بشدة ثم أكمل:

أريج الماضي

- يا بني.. يجب أن تعلم أن الحياة أولويات.. والعمل فوق كل اعتبار.. كما أن هذه فرصة جيدة لتوطيد العلاقات.. لمصلحة فريدة أختك.. وأنت في سنك هذا عليك أن تتعلم تنحية اهوائك الشخصية ومشاكلك جانبا.. ولا تكن ضيق الأفق.. عليك أن تغلب العقل والمصلحة دائما حتى تكون هنا مكاني

وضرب بكلتا يديه على ساعدي مقعده، عدة ضربات متتالية، كأنه يضرب على جانبي رأس دياب، ليدخل كلماته إليه قصرا.

دينا العطار

وعندما لم يجد اعتراض من ولده، أكمل:

أريج الماضي

- والحزم والقوة.. لتحكم قبضتك على زمام الأمور.. ليستقيم كل ذي عوج

ورفع يمناه القابضه على ساعد مقعده، وأحكم إغلاق قبضته في الهواء أمام وجه ولده، ثم استرسل:

- وكل هذا يسيّره وييسره لك المال.. هيا قم وهاتف حامد وأطلب منه الخامات

أطاع أباه مرغما عن غير اقتناع، وكان وجهه الملبد بالغيوم، خير دليل وهو يكلم حامد.

دينا العطار

وكان حامد عند ظن أبيه، أرسل ما طلبه

أريج الماضي

دياب كاملا غير منقوص، رغم اعتراض ولديه حسن وحمزة.

باكرا جدا عن الموعد المعتاد، انصرف شوكت عائدا للمنزل، وجد هلال يركض حول المسبح في محاولة منه لتفريغ انفعالاته، أو ربما للتسريه عن نفسه قليلا، خلال اقامته الجبريه تلك. توقف عن الركض حينما رأى أبيه يقف على بعد عدة أمتار منه، ظلا يتبادلا النظرات قليلا قبل أن يبادر أباه:

- لماذا لم تهاتف أختك منذ زواجها؟

دينا العطار

متهكما:

أريج الماضي

- فأرسعت بالشكوى إليك

من بين أسنانه، أنذره:

- هلال.. لقد وافقت على معيشتك بالقاهرة خصيصا لتكون جوارها، ولها سندا حاميا

- وإن لم أفعل؟

رفع أبيه أحد حاجبيه متسائلا:

- وهل ستترك أختك لقمة سائغة بفم زوجها.. إذا بدر منه ما سيوؤها.. أم ستكون لها نعم السند؟!

دينا العطار

لمع التحدي في عين هلال وهو ينظر لأبيه
أريج الماضي
قائلا بابتسامة لعوب:

- أنت تعلم كما أنا.. أنه شخص خلوق.. ولن يفعل ذلك

وبنفس طريقته رد أبيه، والصوت القاسي مع دياب قد لان كثيرا في حضرة هلال:

- وأنت تعلم كما أنا.. أنها بحاجتك.. لتكون بجانبها.. على الأقل هذه الفترة.. حتى تعتاد حياتها الجديده.. وتتخطى أزمتها.. كما أن هذا أقل شئ

دينا العطار

يمكنك أن تقدمه لها.. فما آلت إليه حياتها

أريج الماضي

الآن هو بسبب ما بدر منك في حقها.

تجنب ذكر يحيى لئلا يهتاج ويزيد في عناده، هو يعلم أنه غير قادر على مواجهتها، وليس ما يدعيه من عدم الاكتراث لأمرها وتجاهل وجودها وحاجتها إليه، وهي تنتظر إفراغ كبتها، ولن يكون هذا إلا فيه، لن تصب جام غضبها إلا عليه، وها هو يرسله إليها علها تجتاز أزمتها عما قريب.

بحزن عميق بدأ يعلن عن وجوده، أجاب أبيه:

دينا العطار

- أبي لا داعي لتذكيري دائما بما حدث.. فوجود أهلة في هذا المنزل.. وحده كافي أن يذكرني.. عينا أمي تذكراني.. غياب فريدة يذكرني..

أريج الماضي

ثم غامت عيناه، ببوادر قطرات من رحمة على وشك أن تمس قلبه وهو يصرح:

- يُتم شوكت الصغير يذكرني..

مسح دمعاته بشده مؤنبا لها على عصيانه أمام أبيه:

- كما أنني لا أستطيع أن أنظر إليها يا أبي.. نظراتها تجلدني.. كلماتها

دينا العطار

كالسوط، وبرقتها تلسعني أكثر، ولو حدثتك عن صمتها، فهو صارخ.. حد أنه يصم أذناي.

أريج الماضي

ثم أخذ نفسا عميقا قبل أن يرجو أبيه:

– لذا أرجوك أبي.. كف عن عقابي.. فأنا أعاقب نفسي كل لحظة.. حد الرغبة في الانتحار لأريحك وأريح نفسي

لم يحتمل سماع سيرة الموت مجددا، خاصة عنما يصيب أحد أولاده، فبشدة نطق شوكت فجأة:

– كفى

دينا العطار

واحتضنه بشدة، بقوة عاطفته الأبوية التي ذاقت مرارة فقد الولد مرة، وفي تلك اللحظات الخاصة من الضعف، وهو يستمع لألم ولده، وهو يسكبه أمامه دون مواراة، ومع عجزه عن مساعدته ولو ببعض كلمات، فالمشاعر تربكه أكثر من أي شئ سواها.

أريج الماضي

احتضن ولده معبرا عن دعمه له بمشاعر أبويه خالصة، قليلا ما تطفو. عل باحتضانه ان يخفف عنه ولو قليلا من وطأة ما يشعر به من هوان.

وكان هذا أقصي ما يرغبه هلال من والده، وقد تحقق في وقت قد يأس فيه من كل شئ.

دينا العطار

أنهى شوكت عناقهما فجأة كما بدأه، مستمرا
أريج الماضي
بوضع يده خلف ظهر ولده يحثه على السير معه:

- يا بني انا لا أعاقبك.. لكني أريد أن اكسر هذا الحاجز الذي بنيتماه حول نفسيكما.. أنت وأختك.. أريد أن يذوب هذا الجليد الذي يتراكم بينكما.. لا أريد لكما أن تذوقا مرارة القسوة ببعدكما.. نصيحتي لك ألا تبتعد كثيرا حتى لا تصعب عليك العودة .. ولا تطيل البعد حتى لا تتعلم الجفاء.

دينا العطار

رد بمرح يمازح أبيه.. وقد تبدل حاله من
أريج الماضي
حال إلى حال بطرفة عين بل بعناق:

- منذ متى وأنا أعصي لك أمرا؟!

تضاحكا سويا، وألقى هلال بإحدى نكاته على مسامع أبيه، مما جعل شوكت يضربه بيده على مؤخرة رأسه، وهو يقهقه:

- لا فائدة تُرجى منك.. ولا أمل في اصلاحك.. ستظل مهرج العائلة ما حييت.

صمت قليلا ثم عاد ليكمل:

- اخبرني بشأنك انت وأهلة.. هل الامور بينكما على ما يرام؟

دينا العطار

- لا تقلق أبي.. كما أن أهلة تحبني

أريج الماضي

كثيرا.. وهذا ما لا يخفى على أحد

- وماذا عنك أنت؟

- لا شئ.. وكي أكون صريح معك.. شخصيتها بالنسبة إليَّ مقبولة

- فقط مقبولة؟!

- أجل.. لا استطيع تجاوز الأامر بعد أبي.

قال الأب بتمني:

- ستتجاوزه.. كن على يقين من ذلك

.....

دينا العطار

أن تتحول السيدة إجلال من القبول أو على أقل تقدير بدايات القبول إلى الرفض التام، هذا ما لم تضعه أريج في حسبانها، فبعد عودة يوسف إلى شقته بدلا من فيلا ابيه، تبدلت تبدلت معاملتها لها، الاتهام بعينيها أنها سبب بعد ولديها عنها لا تكف عن ملاحقتها به، لا تواريه ولا تخفف من حدته، وماذا عليها أن تفعل؟!.

أريج الماضي

إذا هرب أحد أبنائها قبيل عقد قرانه، فما ذنبها هي؟!، وإذا ترك الاخر المنزل اعتراضا على وجودها فيه، فأين تذهب هي؟!، والسؤال

دينا العطار

الأهم هل تستطيع أن تطلب هي منزلا خاصا بها؟

أريج الماضي

بالطبع لا، فحتى أبسط حقوقها لا تستطيع التفكير به، لا التلميح، فهي المتهمة في نظر الجميع، بل المذنبة.

في ذاك مجتمع، هي سبب كل شئ حدث، ويحدث، وسوف يحدث. هي من جعلت هلال يعترض طريقها، هي من حثته على حمل السلاح معه أينما ذهب والتلويح به، هي من جعلته يتشاجر مع أخيها، هي من أوعزت إليه إطلاق الرصاص يقصد به أخيها، هي من

دينا العطار

جعلت الرصاصة تخطئه وتصيب يحيى، وفي
أريج الماضي
النهاية هي من قتلت يحيى.

لذا عليها كل الواجبات، ولا حقوق لها على الإطلاق، ولا تملك من أمرها شيئا، عليها أن تعيش معهم كالهواء لا يشعرن بها أحد.

تعلم هي ما كانت تخطو نحوه، وتعلم أيضا أن الوضع معقد، لذا لم تتوقع لحب، لكنها لم تتوقع أيضا قبح الشعور بالإهانة، التي تشعر بها الآن. أن تُستقبل بشكل حسن، وتُعامل بلطف منذ البداية، ثم يتبدل الوضع وتُهان بهذا القدر، أن تشعر بالرفض والنبذ، فهذا لا يحتمل
دينا العطار
على الإطلاق.

فكم تبعث الطمأنينة في النفس، والدفء في
أريج الماضي
الروح كلمة تُقال، وكم تورث الكآبة في الوجدان، والحزن في القلب، نظرة تُرمى.

واليوم ولأول مرة منذ خطت بقدميها هذا المنزل، يخلو إلا منها. أجل، هي بمفردها الآن، ذهب الجميع لاسترضاء الإبن الغاضب، تُرى هل سيعود معهم؟، وإذا فعل، ماذا عليها أن تفعل، وكيف تتعامل؟!.

دينا العطار

داخل شقة يوسف، كان الجميع جلوس

أريج الماضي

بغرفة الاستقبال، حين تحدث شهاب:

- هيا يا يوسف.. استعد حتى تعود معنا للمنزل الليلة

بهدوء درب نفسه عليه منذ علم بقدومهم:

- لا.. لن أعود.. أرجوك أبي.. اتركني على راحتي

سأله أبيه مباشرة:

- وهل يوجد ما يقيد راحتك هناك؟!

نظر يوسف لأخيه مؤمن المتابع الحديث بصمت، قبل رده قائلا:

دينا العطار

- لن أدعي أن كل شئ على ما يرام.. فما حدث مؤخرا.. أثر عليّ كثيرا.. لذا اعذرني لن اعود لمنزل أُهنت فيه

أجاب الأب بثبات وقوة يدحض اتهام ولده:

- اسمعني جيدا يا يوسف.. ذاك المنزل الذي تتحدث عنه هو منزلك.. ومهما حدث سيظل منزلك

صمت قليلا يمعن النظر لتعبيرات وجه إبنه، ثم أكمل:

- لن أقول أن ما حدث بيني وبينك هو سوء تفاهم.. أو اختلاف وجهات

أريج الماضي
دينا الحفار

نظر.. إنما هو تقديم لمصلحتك على
أريج الماضي
ارادتك.. وهذا ما سيفعله أي أب يرى إبنه يسعى لإيزاء نفسه.. كما إنني بحاجتك إلى جانبي يا يوسف..

زفر بشدة ثم أنهى حديثه متسائلا:

- فهل سترد حاجة أبيك؟!.

قالت أمه:

- أما أنا فلن أمكث في منزل لست فيه يا يوسف.. سوف أنتقل للعيش معك هنا.. إذا لم تعد معنا.

دينا العطار

رد يوسف باستياء من الضغط اذي يمارس عليه:

أريج الماضي

- هذا منزلك يا أمي

تدخل مؤمن هو الأخر قائلا:

- لم يكن عليك أن تترك منزلك يا يوسف.. فاذا كان على أحد أن يترك المنزل.. سيكون أنا.. لا أنت.

الآن وجد متنفس لغضبه من ضغطهم:

- أي هراء تتفوه به!

أجاب مؤمن بتصميم:

دينا العطار

- ليس هراء.. بل سأضعه قيد التنفيذ

أريج الماضي

منذ الغد.. بل منذ الليلة.

قال الأب بحزم واقرار بما سيحدث:

- يكفي هذا.. لن يترك أي منكما المنزل.. أريدكم جميعا حولي.. استأنس بوجودكم.

تناظرا يوسف ومؤمن، يكبتا انفعالاتهما أمام أبيهما بشق الأنفس، قال يوسف:

- أعدك يا أبي سوف أعود.. لكن ليس الآن

رد الأب يؤنبه:

دينا العطار

- يبدو أنني غاليت في طلبي..

أريج الماضي

وطلبت ما لا تطيق

ثم أتبع لومه لإبنه:

- ألا تطيق العيش مع والديك يا يوسف؟!.

كان لوقع كلمات أباه الأخيرة على نفسه عظيم الأثر، فهدأ هياج قلبه. أما الأم فاخفضت جفنيها تخفي دموع احتجزتها بين أهدابها. وسرعة أنفاس مؤمن أفشت تأثره هو الأخر بما قيل. لكن من حسمت الأمر، بعد طول صمت، كانت زوجة يوسف قائلة:

دينا العطار

- سأذهب لتجهيز الحقائب

أريج الماضي

أنهت كلماتها وهي تتحرك للداخل لتنفيذ ما قالت، أما يوسف فلم يعقب، وقد رفعت عنه الحرج.

.....

مر من الوقت اسبوعان، كانت فيهما بين شقي الرحى، عدم تقبل حماتها والذي أصبح صارخ، وغلظتها في التعامل، والتجاهل التام من يوسف وزوجته، كأن لا وجود لها مطلقا، ولا حتى بالقاء التحية، وبين هذا وذاك آثرت

دينا العطار

الانسحاب، لتصبح غرفتها هي حصنها المنيع
أريج الماضي
الذي تلوذ إليه فرارا من الجميع.

اليوم سيأتي إليها أخيها إمام وزوجته، كل ما تأمله، أن تنتهي الزيارة على خير ودون مشاحنات.

بالفعل حضر إمام وفريدة التي استقبلها الجميع بود واشتياق، سحبت اجلال فريدة من يدها تجلسها جوارها، بدأت حديثها معها:

- كيف حالك بنيتي؟
- بخير لا تقلقي يا خالة

ألحت اجلال في السؤال:
دينا العطار

- وزوجك كيف يتعامل معك؟

أريج الماضي

أخبرتها:

- لست في حالة تسمح لي بالحكم على أفعاله.. فلا زلت مشتتة التفكير.. وألمي على يحيى لا يخبو.. مهما حاولت.

صمتت قليلا تنظم أنفاسها الثائرة ثم أردفت:

- اخبريني.. كيف حال زوجة خالي "هبة الله"

اجابتها في حزن:

- سافرت إلى السعودية مع يوسف.. ثم رفضت العودة معه.. تريد ان تظل

دنيا العطا

هناك بعض الوقت.. تقول أن الجو هناك يلائمها.. فما أن تنتهي من منسك عمرة ليحيى حتى تبدأ في أخرى.. هكذا باتت حياتها هناك.

أريج الماضي

بألم وصوت متحشرج:

- آآآآآه يا يحيى.. لقد مات غدرا.. لا استطيع التوقف عن التفكير فيه لحظة.

عقبت إجلال بحنو:

- سوف تعتادين حبيبتي.. فقط اعط نفسك الفرصة لذلك.. فقد خلق الله الانسان من النسيان.. فمهما ولد الألم كبيرا لابد

ديانا مطر

وأن يأتي اليوم الذي يخبو ويخفت فيه..

أريج الماضي

تماما كالنار المشتعلة.. تأكل نفسها حتى تنطفئ وتستحال لرماد يظل ملتهبا لبعض الوقت ثم ما يلبث حتى يصير غبار بارد، ثم يتناثر في الأفق فلا يبق له أثر.. وهكذا سيكون يحيى في نفسك سوف يصير ظل وخيال باهت جدا حتى تكادي لا تشعرين به.

اغتاظت بشدة مما تتفوه به زوجة خالها، فهي لا تريد نسيانه، فقالت تغير مسار الحوار:

- أريج.. هكذا أسمها أليس كذلك

دينا العطار

قالت إجلال:

- أجل.. ما بها؟

- لا أعلم كيف وافق مؤمن على الاقتران بها.. وهي من كانت ترافق أخي هلال.. ويعلم الله من قبله أيضا!.

إجلال بغضب:

- ماذا بك يا فريدة.. كيف لك أن تتحدثي عنها هكذا.. في النهاية هي اخت زوجك وزوجة إبني.. وهذا أمر واقع على الجميع.. برأيك يا فريدة لم وافقت أنا؟

نظرت إليها فريدة بتركيز تنتظر أن تخبرها، فقالت:

أريج الماضي

- الأمر كبير يا فريدة.. بل أكبر مما تتخيلين.. هل ترغبين أن يتقاتل أبناء خالك وأخوتها مع أخوتك.. أم نتفادى كل سيل من الدماء.. ونرتقي ونرتفع فوق الثأر ونعفو.. أم ماذا تعتقدين بالضبط؟!

ارتشفت قليلا من كوب المشروب أمامها، ثم أردفت:

دينا العطار

- كل ما أوغر صدري نحوها.. هو

ضيق يوسف وغضبه.. وتشدد أبيه نحوه بسببها.

ورغم كل ما اخبرت به فريده لتقنعها وتقنع نسها معها، إلا أن كلمات فريدة لاقت أثرا عميقا لديها.

.....

في ركن أخر كان يدور حوار مختلف بين إمام ومؤمن الذي يقاسم أريج الأريكة بتملك، قال إمام:

- ما كل هذا الصمت يا مؤمن؟

أريج الماضي

بالتأكيد أنت لا تفكر في الرفض!

رد مؤمن:

- ولم لا أرفض!

- لأنه شئ بديهي أن تعمل أريج

معترضا قال مؤمن:

- ولماذا لا تطلب هي؟! ولماذا لم تخبرني قبلا.. أم انتظرت حضور محاميها أولا

أنهى جملته وهو يتوجه ببصره إليها، يسألها الجواب، تلك الصامته منذ بداية حديثه مع

أخيها، نظرت إليهما تباعا ثم استقر نظرها
أريج الماضي
على زوجها وهي تقول بخفوت:

- لا أريد أن أبدأ في العمل.. على الاقل في الوقت الحالي

قال إمام بدهشة وقد أحرجته بشدة:

- لم يكن هذا رأيك من قبل.. أنسيتي كم فكرنا وخططنا لانشاء المركز الطبي الخاص بنا.. أنسيتي طموحنا.. أم ماذا؟!

بصدق شديد ونبرة مختنقة ردت:

دينا العطار

- يبدو أنك انت من نسيت كيف

أريج الماضي

أصبحنا الآن.. ركائز كثيرة قد تغيرت في حياتنا يا إمام

كلماتها زادت من عصبيته ليرد:

- لا تخلطي الأمور ببعضها يا أريج.. ما دخل هذا بذاك.. كما أنك تتباعدين عنا كثيرا.. ليس فقط الآن بل منذ فترة طويلة.. وكلما سنحت لك الفرصة تبتعدين أكثر.. حتى بت أشعر وكأنك أخرى لا أعرفها.. ولا اخفيكي قولا كنت أعلم ردك مسبقا

دينا العطار

ردت بحدة هي الأخرى:

أريج الماضي

- لم كل هذا؟! كل ما أقوله لك أنني لا أريد ان أعمل..

تحكم بنفسه جازا على اسنانه قائلا:

- معك.. اكملي .. هيا قوليها.. لا أريد أ، أعمل معك.. صدقيني كنت اعلم.. فقط أردت التأكد.. وها أنا قد فعلت.

قال مؤمن:

- ما مشكلتك يا رجل.. اهدأ قليلا.. ليس هكذا تحل الأمور

دينا العطار

- احتفظ بحلولك لنفسك .. لقد انتهى

أريج الماضي

الأمر.. ما أريد معرفته حقا.. لماذا؟!

ونظر إليها ينتظر جواب يعلم يقينا أنه لن يحصل عليه.

قالت تبرر:

- كل ما في الأمر أنني لا أرغب في العمل.. وإن أردت يوما سوف أعمل مع مؤمن

هذه المرة كان مؤمن من نظر إليها في شك وريبة، فهو لم يعرض عليها شئ كهذا، ولن يعرضه يوما، وكيف يفعل ومجالها مختلف

دينا العطار

كليا عن أعمالهم إلا من مزرعة نباتات طبية
أريج الماضي
في الصعيد. ويوسف الذي لا يطيق مكانا تتواجد هي فيه، أتريد أن تتسبب في كارثة تلك الفتاة. لذا قال يحسم منهيا النقاش في هذا الأمر:

- لا يزال الوقت باكرا على النقاش في أمر كهذا

حينها استقام إمام في عنف وهو يصيح في زوجته أن تستعد:

- هيا يا فريدة .. يكفي هذا لقد تأخر الوقت بالفعل.

دينا العطار

نظرت فريدة لزوجة خالها:

أريج الماضي

- ما الذي أغضبه بهذا الشكل؟!..

لقد سهونا عنهم

في هذه الأثناء كان يوسف وأبيه قد انتهيا من بعض الاعمال العالقة بغرفة المكتب، زحين خرجا ليرحبا بفريدة، سمعا صياح إمام الغاضب، فتوجها إليه أولا، وقد علا الاستنكار قسمات وجه يوسف، الذي استبق أبيه قائلا في عدائية ونفور:

- ماذا يحدث هنا؟!

دينا العطار

انتفض مؤمن واقفا وعيناه تنطقان رجاءً قبل لسانه ضاغطا حروف كلماته:

أريج الماضي

- لا شئ يا يوسف.. ألن تسلّم على ضيوفنا

نظر يوسف لمؤمن شاملا إياه من أسفله لأعلاه، ثم ترك المكان كله متجها نحو الدرج صاعدا لجناحه الخاص.

أغلق مؤمن عينيه في حرج بالغ، في حين قال أبيه مرحبا وهو يمد يده يصافح إمام:

- أهلا إمام.. كيف حالك يا بني.. وكيف هو أبيك؟

دينا العطار

صافحه إمام قائلا:

أريج الماضي

- أهلا بك عماه.. الحمد لله جميعنا بخير

قال شهاب:

- لماذا تقف هكذا .. هيا اقعد لا زال الوقت باكرا

- في وقت لاحق .. أما الآن فعلينا الرحيل

صافح شهاب فريدة مقبلا إياها فوق جبينها، أما مؤمن فرافقهما إلى الخارج، وظل ينظر في أثرهما حتى اختفت سيارتهما تماما عن

ديانا العطار

ناظريه، وعندما عاد للداخل وجد أريج قد
أريج الماضي
عادت لحجرتهما، فلحق بها هو الأخر تاركا والديه بمفردهما يتحدثان.

دخل صافقا الباب خلفه بشدة، وجدها تجلس أمام المرآه ويبدو الشرود عليها بوضوح، ففزعت من صوت انغلاق الباب، قال مباشرة:

- أريد سببا واضحا لطلب أخيك هذا.. وما الذي قلته أنتِ أيضا؟! ومن ذا الذي سيسمح لكِ بأن تخطي بقدميك للشركة حتى كزائرة لا أن تعملي بها!.

بصبر أوشك على النفاد:

دينا العطار

– كنت أعلم أنك سوف تشك ان لي يد بالأمر، لذا أعطيته الجواب أمامك وبشكل صريح.

أريج الماضي

ضيق عينيه قليلا، وبشك لم يحاول حتى اخفاؤه:

– إذا صدقتك.. فما الذي قلته بشأن العمل بالشركة معنا.. إن لم يكن هذا يؤدي لذاك!.

زفرت بحدة تحاول التحلى بما تبقى لديها من تعقل قبل أن تجيبه فأبى صوتها إلا أن يخرج متهكما:

دينا العطار

- وهل تراني ذهبت .. إن فعلت ذلك لك أن تطردني

أريج الماضي

قالتها وهي تمعن النظر في عمق عينيه، تلومه وتعنفه على سوء ظنه بها، ثم استرسلت:

- ولن أغضب حينها

لم تنتظر منه رد، فتوجهت نحو فراشهما، وتمددت عليه في اشارة منها لانتهاء النقاش عند هذا الحد.

أما هو فلا يعرف لغضبه سببا، منها أم لأجلها، الجميع ضدها، حتى هو يشعر أحيانا أنه ضدها، لا ينكر، لديه الكثير من المشاعر

دينا العطار

السلبية تجاهها، بالكاد يكبتها، تفكك أواصر
أريج الماضي
عائلته كان بسببها، فسخ خطبته كان بسببها، التشتت الذي يعيش فيه الآن أيضا بسببها، أحمد الذي انقطعت أخباره منذ أعلمه بزواجه منها، وسفره أيضا كان بسببها، زواج أخته بهلال كان بسببها، وهلال نفسه وحبه لها يغضبه وبشدة.

هز رأسه في قنوط، من فرط تفكيره الذي وعلى ما يبدو سوف يودي به إلى الجحيم في القريب العاجل.

.....

دينا العطار

وفي سيارة إمام، كان الجو مشحون أيضا، وملبد بالغيوم، سألها فجأة:

أريج الماضي

- فيم كنتما تتحدثان أنت وزوجة خالك جعلكما تنزويان بعيدا عنا هكذا؟!

نظرت له بدهشة، تود أن تجيبه بما يليق حقا، لكنها ردت بتهذيب:

- لا شئ كانت تحدثني عن زوجة خالي هبة، فابتعدنا عنكم قليلا مراعاة لك

استطاعت جذب فضوله، فسألها مرة أخرى:

- ما بها؟!

دينا العطار

- لا شئ، سافرت مع يوسف

أريج الماضي

لتعتمر، ثم رفضت العودة

زفر بشدة على ذكرها لإسم يوسف، وتجهمت ملامحه قليلا:

- يوسف ذاك، يوما ما سأريه مقامه

اغضبها كلامه بشدة فقالت بغيظ:

- وما به يوسف؟! هو ملتزم بطلب أبيه منه بعدم التدخل أو التعرض لأي منكما أنت أو هلال

استدارت بوجهها تنظر للجهة الاخرى في اشارة منها على انتهاء الحوار بينهما، حتى

قال ما جعلها تستدير له وقد احمر وجهها واتسعت عيناها عن أخرهما:

أريج الماضي

- انت ساذجة بما يكفي.. ولا تنظرين سوى تحت قدميكي فقط، من برأيك قاتل أخاكِ رياض؟!

صرخت به بشدة:

- أنت كاذب.. أنت وعائلتك هم القتلة.. أنتم من قتلتم أخي..

ثم أمرته بهياج:

- اوقف السيارة.. فلن أعود معك..

دينا العطار

لم يستجب لها وقد صمت أذنيه من
أريج الماضي
صرخها، فهددته:

- سألقي بنفسي إن لم توقفها

وقبل شروعها في فتح الباب جهتها، كان قد احكم اغلاقه آليا، فأخذت تصرخ به وحاولت الامساك بالمقود، فحاول السيطرة على كلتا يديها ليقيدهما، افقدته تركيزه وهي تقاتله باستماته، فكادت تنحدر السيارة بهما أكثر من مرة، وتلقيا سباب من سيارة أخرى كادت تصطدم بسيارتهما، فضغط مكابح السيارة بشدة ولولا حزام الأمان لكانا التصقا في الزجاج
دينا العطار
الأماي وتهشم فوقهما، هدر بها أمرا ان تكف

عما تفعل، فلم تستجب، لم تدع له مفر من
أريج الماضي
افقادها وعيها، مال بجذعه قليلا يثبت رأسها وهي تحاول الإفلات منه بكل قوتها، أخيرا سيطر عليها ضاغطا على شريان بعنقها جعلها تفقد وعيها تماما في أقل من نصف دقيقة.

.....

اليوم سوف تصل أهلة من الصعيد، لذا فالسيدة إجلال بنفسها في المطبخ، وتلك ليست عادتها، لكن أن يتعلق الأمر بمجيئ أهلة فلابد من خرق العادات، أعدت معظم الأكلات
دينا العطار
المفضلة لديها، واستعدت لاستقبال غاليتها.

وعلى قدر الاشتياق واللهفة والقلق عليها

أريج الماضي

كان عناقهما، وأخيرا حررت إبنتها من بين ذراعيها، لتكمل ترحيبها بهلال، ثم صافحت زهرة وقد تملكتها الحيرة والدهشة الشديدة.

فما لم تضعه في حسبانها قط، هو مغادرة زهرة لبيتها في الصعيد، وتأتي بمثل تلك الحقيبة الضخمة، والذي على ما يبدو أنها تحوي جميع مستلزماتها، مهلا إنها ليست حقيبة واحدة، بل إثنتان، حمل مؤمن واحدة والأخرى حملها هلال.

إذا من الواضح أنها قررت أن تمكث هنا

دينا العطار

في بيت أخيها وليس مع إبنها هلال، ترى ما

الذي حدث؟! والأفكار في عقلها تحولت لسؤال
أريج الماضي
على لسان زوجها لأخته:

- ماذا حدث؟!

كان شهاب قد خرج من باب الفيلا خلف زوجته، ليستقبل إبنته وزوجها حين رأى أخته زهرة والحقيبتان، ورغم معرفته بما بدر منها في حق زوجها ومغادرتها المنزل بهذا الشكل، إلا أن معرفته لا تمنع سؤالها، وليسمع منها قبل اخبارها بمكالمة زوجها.

.....

دينا العطار

تحلق الجميع حول المائدة إلاها ومؤمن، اعتذر مؤمن بلطف آخذا إياها ليتناولا غدائهما بالخارج.

أريج الماضي

أما هلال فكان يحترق شوقا لرؤياها، عكس أهلة التي كانت تحترق غيرة عليه، وخاصة وهي تعرف سبب اضطراب خلجات نفس زوجها وتململه الذي أثار حفيظة أباها واخاها يوسف.

قام مؤمن بإخراج حقائب أخته وزوجها من سيارته، قبل مغادرته، ووضعها بسيارة يوسف الذي بدوره سيقوم بايصالهما لمنزلهما بعد

دينا العطار

الغداء، لذا انتفض يوسف فجأة من مقعده وهو يقول:

أريج الماضي

- هيا يا أهلة أنتي وهلال استعدا حتى اوصلكما.. فيبدو أن هلال متعب كثيرا ويريد أن يستريح

رد هلال بلهفة غير واعي للضيق البادي علة وجوه الباقيين ولا مكترث بتحفز يوسف ضده قابضا على قبضتيه بشدة:

- سأنتظر مؤمن .. لأن الحقائب بسيارته

دينا العطار

رد يوسف وهو يتجه للخارج، قاطعا عليه الطريق:

أريج الماضي

- الحقائب بسيارتي.. نقلها مؤمن قبل مغادرته.

غادر الزوجان مع يوسف، وظلت زهرة مع أخيها وزوجته، التي تركتهما وذهبت لتتفقد زوجة يوسف "ثراء"، والتي يبدو عليها الارهاق بوضوح.

داخل جناح يوسف ثراء كانت تسأل زوجة ابنها الممددة أمامها على الفراش وقد تجلى اصفرار بشرتها:

دينا العطار

- ما بك حبيبتي؟

أريج الماضي

ردت وهي تحاول السيطرة على غثيانها الذي بات لا يفارقها:

- تعالي ماما.. لا تقلقي.. أنا بخير

بعد حسبة بسيطة، استرجعت خلالها امتعاضها من الطعام، والرغبة في القئ، والاجهاد المستمر مع رغبتها في النوم لأوقات طويلة، فسألتها وهي تضيق عينيها وتنظر إليها مباشرة:

- أنتِ حامل، أليس كذلك؟!

مع شعور بالندم أجابتها:

دينا العطار

- أنا آسفة ماما.. لكن تلك رغبة

أريج الماضي

يوسف.. أنا لم أكن أرغب في اخفاء..

أشارت لها حماتها بيدها لتصمت، حاولت الاعتدال لتجلس، فاعادتها حماتها مرة أخرى بكلتا يديها دون أن تنطق معها بكلمة، فامسكت بكف حماتها تقبله ثم حاولت التبرير بصوت واهن:

- لا نريدها أن تعلم.. على الأقل حتى يستقر وضع الجنين.. فكما تعلمين الشهور الأولى مقلقة

دينا العطار

خرجت كلمات حماتها عاتبة وموبخة في آن:

أريج الماضي

- مثلك تماما في هذا المنزل.. هي كذلك.. أنتِ زوجة إبني وهي أيضا كذلك.. أنتِ أخفيت حملك عن الجميع وليس عنها فقط.. وإن فعلت هي ذات يوم فلن ألومها.. وإن فعل مؤمن المثل مع يوسف أيضا لن ألومه..

وقبل أن تغادر إجلال الجناح، ظهرت حفيدتها "إباء" عند غرفة أبويها، ولا زالت معالم النوم على محياها، قالت الطفلة:

دينا العطار

- أريد أن أشرب يا ماما

أريج الماضي

أجابتها جدتها:

- تعالي حبيبتي.. لأعطيكي الماء

أخذت الطفلة واتجهت بها نحو المطبخ، فجناح إبنها عبارة عن شقة صغيرة منعزلة وذات خصوصية عن باقي الفيلا، هكذا أراده وعدله يوسف بعدما ألح عليه أبيه للانتقال والعيش معه بعد زواجه.

.....

استبق شهاب أخته بالحديث:

- والآن اخبريني.. ماذا هناك؟!

تبرمت من اسلوبه الفظ، مطت شقتيها

أريج الماضي

قليلا، قبل قولها:

- لا شئ.. تعبت وأريد أن استريح قليلا.. فهل الراحة شئ علىّ كثير؟!

مستنكرا صاح بها:

- الراحة.. ممم.. ممّ؟!

عصبيتها جعلتها ترد بفظاظة:

- من كل شئ

وعددت:

- لقد مات إبن أخي.. ولحقه إبن زوجي.. وتزوجت إبنتي من إبن طليقي

دينا العطار

رغما عني.. ولا أخفيك سرا إبني هو من تسبب هذه الفوضى.. ولا أستطيع حتى لومه.. فهذا حصاد ما زرعته أنا به، واشتعلت ثيابي بما أوقدته بعقله من نار

أريج الماضي

وزفرت بيأس ثم عادت تصرح له بالمزيد:

- أما زوجي فلا يبالي بي

وحبست كبريائها دموع قهرها، فما تلفظت به ليس بالهين على من مثلها، وما هو إلا قطرة في محيط مما تشعر به وخاصة تجاه زوجها.

بشئ من التفكير، دون تعاطف رد عليها:

- كل هذا يزيد من إدانتك فيما حدث.. ولا يستدعي تركك لمنزلك.. أم هناك في الأمور ما خفي؟!

أريج الماضي

أجابته تنهي النقاش فما لديها لا يمكن البوح به:

- إن ضاق علىّ بيتك يا شهاب.. فبيت أخي يوسف يسعني

في حزم آمر غير عابئ بعمر من يحدثها ولا وضعها:

- لا تعبثي معي.. واحترسي لكلامك.. فلست في مزاج يسمح لي

وينا العطار

بالصبر عليكي كثيرا.. خاصة وأنتِ في عمرك هذا.. لذا احترمي عمرك وتحدثي بعقلانية..

أريج الماضي

أغلق عينيه قليلا محاولا مراعاتها ثم أكمل:

- لا أريد أن أعرف الخلاف الذي بينكما.. والذي يبدو أنه ليس وليد موقف بعينه.. ربما تراكمات كثيرة عبر الزمن

ثم نظر إليها ليسبر أغوارها ويربكها، يعطيها انطباع أنه يعرف أكثر مما قالت وربما منذ زمن طويل علها تبوح بسرها والذي فشل على مر السنون في معرفته أو تخمينه:

دينا العطار

- لكن اليس الوقت متأخرا كثيرا على غضبتك هذه

اهتزت حدقتاها قليلا وهي تجيبه:

- كلا.. هذا هو وقتها.. لقد أخطأت منذ البداية بزواجي منه

تعجب من قولها:

- أيضا.. ندمك هذا متأخر جدا.. لقد حذرتك منه بشدة.. لكن إصرارك حينها كان عجيب.. خاصة وأنه لم يكن قد مر على انفصالك عن حامد إلا قليلا.

تبرمت قائلة فليست هي من توضع في موقف كهذا:

أريج الماضي

- أتذكرني.. أم تؤنبني؟!

صحح لها:

- بل أحاول إعادتك لرشدك

غاضبة ردت:

- أنا راشدة بما يكفي.. كي استطيع تسيير شئون حياتي.. لذا شكرا على محاولتك لكني لست بحاجتها

بصدق قال، وقد يأس منها حد يأس إبليس من رحمة ربه:

دينا العطار

- أتمنى ألا تندمي.. فرغم رشدك

أريج الماضي

الذي تدعين.. إلا أنك لا زلت لا تعرفينه جيدا حتى بعد عشرتك له لسنوات طوال.. اصعدي الآن لغرفة أهلة لترتاحي.. ولنا حديث أخر فيما بعد.

استقامت منصرفة وعندما وصلت لباب الغرفة استدارت تخبره:

- لن أعود.. هذا قرار اتخذته.. ولا سبيل للتراجع عنه ولا حتى النقاش فيه

ألقت عليه قرارها وخرجت مسرعة تهرول لئلا يلحق بها على الأقل الآن.

دينا العطار

.....

في المطعم العائم على إحدى ضفاف النيل، كان يجلس مؤمن تقابله أريج يتناولان غدائهما، حين قال فجأة:

- اخبريني أريج .. ماذا حدث يوم قُتل يحيى؟

رفعت رأسها له تجيبه مباشرة باجابتها التي اعدتها مسبقا لتوقعها أن يسألها في أيما وقت:

- لا شئ أكثر مما تعرف أنت

قال بإصرار:

- وما أدراكي بما أعرفه.. كما أنني أريد أن أسمع منكِ

أريج الماضي

- حينها طلب مني إمام العودة للمنزل .. وفعلت.. لذا لم أر شيئا .. لأخبرك إياه

ارتشف قليلا من الكوب الموضوع أمامه، ثم عاود الحاحه:

- اخبريني إذا بما حدث قبل الشجار

علمت أنه لن يتركها دون أن يسمع منها هي، فاذعنت له مضطرة:

دينا العطار

- كان يعلم أني أعمل كمتدربة في

أريج الماضي

صيدلية هناك.. قريبة من مكان الحادث..

وكان أخي إمام قد ذهب ليقابل الدكتور يحيى –رحمه الله– بشأن تطور حالة ساقي وكانت معه التقارير الطبية والتي فقدها أثناء المشاجرة، كان قد اتفق معي أنه سينتظرني بعد مناوبتي بالصيدلية في ذات الشارع الذي حدث فيه الشجار..

صمت قليلا تستجمع شجاعتها، ثم أكملت بتلعثم:

دينا العطار

- ف..ف.. رآني حينها أسير

أريج الماضي

وحدي.. وكان قد تقدم لخطبتي اكثر من مرة..

تعالت انفاسها قليلا وهي تردف:

- ورفضه أبي

قاطعها:

- وأنتِ .. ما كان رأيك به؟

ردت دون تفكير تدفع التهمة عنها:

- لا يجوز

باستفهام ودهشه:

دينا العطار

- ماذا؟!

انتبهت لما تلفظت به، فاستدركت نفسها
أريج الماضي
سريعا:

- اقصد أنه يصغرني سنا.. نحو عامين .. وهذا سببا كافيا عندنا في الصعيد لرفضه

بابتسامته المتهكمة المعهودة:

- يبدو أن سببك الكافي هذا .. لم يكن كافيا بالنسبة له .. كما أنني أعرف أن والده كان موافقا.. والدليل تكرار طلبه.. كما ان والده كان يتغزل بك في المطار.. أم تراك نسيتي

دينا العطار

نظر إليها بإمعان، ثم عاود يحثها:

أريج الماضي

- اكملي

ابتلعت ريقها بصعوبة تحاول ألا تُظهر ارتعاشة يديها أسفل الطاولة قبل أن تكمل:

- لا شئ.. حاول التحدث إلي.. رآه إمام

لا يعلم لم؟!، ربما لأنه رجل، ولا يحبذ أبدا أن تتحدث زوجته عن غيره حتى وإن سألها ذلك!.

لكن ما سر شعورة بتلك الحراة التي تملكت من صدره، شئ أشبه بغصون يابسة جافة

وحادة تحكم التفافها حول قلبه. والإيحاء
أريج الماضي
النفسي جعله يشعر بالاعراض على هيئة انقباضة شديدة في صدره وشعور بالظمأ يكاد يفتك بخلايا جسده.

ورسالة وصلتها عبر هاتفها أوقفت الدم في عروقها واحتقن الدم في وجهها بشكل جعله يأخذ الهاتف من يدها ينظر فيه، ليقرأ "وحشتيني" وذيل المرسل رسالته بتوقيعه "حبيبك".

والظمأ للماء أصبح شره للدماء، واللون الأحمر يلون خلفية عقله وعينيه.

دينا العطار

وتبع الرسالة صوت مكالمة واردة، فنظر
أريج الماضي
مؤمن لأريج، فقالت بثبات انفعالي أخذت تدرب نفسها عليه شهور طويلة:

- من؟

بمشقة سيطر على نفسه قائلا:

- رقم مجهول

بثقة واعتزار بالنفس:

- رد أنت

بابتسامة جانبية خفيفة:

- لو كنت أشك بك ما تزوجتك..

دينا العطار
عندما رأيتك عرفتك في الحال.. قبلها كنت

قررت أن أردك لأبيك بعد هدوء الوضع..

أريج الماضي

لكن بعدما عرفت أنها أنت نفس فتاة الحادث.. بدلت رأيي.

كان رنين الهاتف قد انقطع عندما سألته وقد غزا وجهها للاحمرار مرة أخرى لكن هذه المرة خجلا:

- لماذا؟!

تعجب من قولها:

- لم أفهم لماذا ماذا؟!

أوضحت له:

دينا العطار

- أقصد أنك لا تعرفني ولا تعرف

أريج الماضي

عني شئ..

وجف حلقها وهي تكمل:

- لا قبل ولا بعد حادث السيارة ولا حتى بعد يحيى!

ابتسم بشرود:

- ومن قال أني لا أعرف عنك شئ؟!

ثم أردف يسرد لها وهو يتذكر كيف عرف عنها ما يعرف:

- أجل مرور وقت طويل على الحادث جعلني لا أتذكرك عندما ذكر

أسمك مرة أمامي وأبي يعلمنا عن
أريج الماضي
الاتفاق.. ويحكي لنا عما حدث أثناء الجلسة.. ولم أتذكر كذلك أباك في الحال مثلما تذكرني هو.. إلا أنني عندما رأيتك عرفتك.. وأثناء عقد القران تحديدا صدمني الإسم كشخص فاقد ذاكرته وعادت إليه فجأة دون مقدمات

نظر لصفحة المياه قليلا ثم عاود يكمل نصوت هادئ وكأن عودة الذكريات له، بمثابة منحة ربانية لتهدئ من روعه وتخرجه من جحيمه:

دينا العطار

- بعد الحادث كنت طلبت من عمتي

أريج الماضي

ألا تأتي بذكر ما حدث لأحد.. لذا لم يعلم أحد عنه.. ولا حتى زوجها كما أخبرتني.. ولا تسألي لماذا لم تخبره لأني لا أعلم.. حتى إنها فضلت الاتصال بي دونه.. وكما تعلمين كان معي بياناتك من بطاقة الجامعة.. فطلبت من رياض –رحمه الله– أن يأتيني بكافة المعلومات عنك.. مبررا أني أريد خطبتك..

ابتسم بحالمية ثم نظر أخذ يمعن النظر إليها مكملا:

دينا العطار

- وفي غضون يومين جاءني بكل

أريج الماضي

التفاصيل عنك.. فأخت زوجته تصغرك بعام واحد في نفس كليتك.. وهكذا عرفت عن أخلاقك الكثير والكثير.. ليس فقط داخل البلدة بل وخارجها أيضا عندما تسقط كل الادعاءات أمام الأهل.. وتنتفي كل الأسباب.. وتصبح الحرية غير محدودة أو مقيدة بجغرافية المكان وعاداته.. حينها تسقط كل الأقنعة والمبادئ الزائفة التي تقيدك وتجبرك على الانقياد لها.. بل والمحافظة عليها والدفاع عنها.. وتطفو

دينا العطار

قناعاتك الشخصية بعيدا عن كل هيمنة أو

أريج الماضي

سيطرة قبلية.. هويتك أنتِ لا غيرك

اخفضت ناظريها خجلا، فمد يده يرفعها عنها:

– رأسك دائما مرفوع هكذا دوما أريدك.

غشت الدموع عينيها فاغمضتهما ثم عاودت فتحهما مرة أخرى تحاول كبح جماحها دون جدوى فاخذت بعض المحارم الورقية تجفف وجهها.

دينا العطار

أما مؤمن فتركها قليلا لتضبط انفعالات
أريج الماضي
يعلم جيدا أنها لا تريد له أن يراها.

قالت فجأة:

- ولم تلك المعاملة الجافة أحيانا؟!

باعتذار أجابها وابتسامة حزينة تزين محياه:

- صدقيني رغما عني.. النفس أمارة بالسوء.. والشك رفيق الانسان.. وأنا بشر أضعف احيانا.. وتنفلت اعصابي أخرى.. ثم تعاود نفسي اللوامة بتأنيبي ولومي كل فجر كنتِ تخرجين فيه للشرفة تصلين فيها وتحرصين على صلاتك.. بينما أنا كنت

دينا العطار

ولا زلت اضبط المنبه لإيقاظي قبيل الشروق مباشرة.. كنتِ تتهجدين أنتِ حيث يخلو الجو من أنفاس المنافقين..

أريج الماضي

اخذت ابتسامته في الاتساع شيئا فشيئا وهو يقول:

- ورغم أنك كنتي تزعجيني كثيرا بايقاظي قبل وقتي إلا أنني أعدت اكتشافك في تلك الدقائق الثمينة.. فلا يمكن لمن تحافظ على صلاتها في وقتها.. أن تتجرأ على الله وتسيء الأدب معه –سبحانه وتعالى–.

دينا العطار

تحشرج صوتها وقد ألجمتها الصدمة مما

أريج الماضي

تسمع، فمد يديه يلامس بشرة كفيها برفق، يشد من أزرها، أخذ ينظر لموضع يديه على ظهر يديها قليلا قبل أن يجيبها بما تريد معرفته قبل حتى أن تسأل:

- وقبل أن تسألي.. أخبرك كل هذا الآن بالتحديد.. لأني قرأت الزعر في عينيك من عمتي وما تنتويه.. وتلك عينة بسيطة..

ونظر نحو الهاتف، ثم عاود النظر إليها يؤكد لها:

دينا العطار

- أجل.. تلك أفعالها هي.. وأنا احفظها عن ظهر قلب.. إبنها عنيف ولن يسعفه تفكيره بشئ كهذا..

أريج الماضي

واعترف بغضب:

- ولن يفعل شئ يمكن أن يؤذيكي

أخذ نفسا عميقا عله يهدأ ولو قليلا مما يعتمل بصدره من تمزق، استأنف بعد قليل بعتاب طفيف:

- هالني الخوف على محياكِ..

وهكذا شئ يضرب رجولتي في مقتل.. كيف ألا تأمني على نفسك وأنت معي وفي

دينا الصغير

عصمتي وداخل بيتي!. أريدك تأمني جانبي وأن تعلمي أني لا أشك بكِ.. ولن أقبلها على نفسي ما حييت.. ولا أريد لتلك الأفعال أن تهز كيانك هكذا ولا حتى شعرة واحدة منك.. هل تفهمينني؟

أريج الماضي

هزت رأسها بالإيجاب غير قادرة على النطق بتاتا، عندها صدح رنين الهاتف مرة أخرى بنفس الرقم المجهول، ناولها الهاتف يحثها على الرد:

- ردي.. ولا تخافي ما دمت بجانبك

دينا العطار

أومأت برأسها بالنفي تلك المرة قائلة بصوت
أريج الماضي
ضعيف متأثر من فيض مشاعر تختبرها لأول مرة، لأول مرة في حياتها تعرف معنى الاحتواء:

- رد أنت.. ما دام رقم غير مسجل

أجاب:

- مرحبا.. من معي؟

وصله صوت أنثوي عبر الهاتف:

- ألو.. أريد أريج

مد يده بالهاتف لأريج، فأخذته منه وفتحت مكبر الصوت أمام ناظريه ثم ردت:
دينا العطار

- السلام عليكم .. أنا أريج.. من أريج الماضي تتحدث؟

قال الصوت المجهول مباشرة دون رد التحية:

- كيف لبنت تيـــــــــــــت مثلك أن تترك إبن الأصول وتتزوج ذاك الخروف..

وقبل أن يتمكن مؤمن من اغلاق الهاتف سمعا سباب لم ولن يسمعا مثله يوما.

أخرج مؤمن شريحة الهاتف واحتفظ بها معه، ثم وضعه فوق الطاولة مرة أخرى:

دنيا العطار

– سوف أجلب لك شريحة أخرى

أريج الماضي

سوف تكون بيني وبينك فقط.. وإذا أردت مهاتفة والديك أو أخاك سوف يكون من هاتفي.. أو عبر الخطوط الأرضية.. حتى أجد حلا لذاك الأمر.

.....

تحاول الاستيقاظ من فترة، وكلما حاولت فتح عيناها، تشعر بثقل جفنيها، فتعيدهما لسيرتهما الأأولى مستسلمة للخدر الذي يسري في خلايا جسدها دونا عن خلايا عقلها.

دينا العطار

عقلها الذي لا ينفك بأخذها في رحلات لا
أريج الماضي
تفقه منها شيئا بين دهاليزه، ها هي أخيرا بدأت تدرك ما يريها إياه، ثعبان كبير يقترب ويقترب، لقد دنا منها سيهاجمها، لا، لا، تحاول الصرخ ، سوف يلدغها، لسانها معقود تحاول النطق، لا تستطيع، تناديه بقلبها، إمام، فهل يستجيب؟! تشعر به يلامس بشرتها، لدغها، في ذات اللحظة تحاول الصراخ تستنجد بإمام، لا صوت، تحاول مرة أخرى بكل ما أوتيت من قوة وعزم:

- إمـــــــــــــــــــام

دينا العطار

صدح صوتها، وانتشر صراخها في اركان
أريج الماضي
الشقة بأكملها، حتى كاد أن يسكب عبوة العصير داخل الثلاجة وهو ممسك بها، رمي بها بسرعة، وهرول إليها ليرى ما بها، دخل عليها الغرفة فوجدها تخفي وجهها بكلتا يديها وتهتز للأمام والخلف بشدة، جاورها على الفراش وأمسك بكلتها يديها ينزلهما عن وجهها:

- لا تخافي

ملامسته لكفيها جعلها تنتفض وتزيد من اهتزاز جسدها، أمعن النظر لوجهها فوجده غارقا في العرق وقد ابتلت ياقة منامتها، حتى
دينا العطار
باطن كفيها يشعر بهما رطبتان.

اقترب منها مربتا على ظهرها باحدى يديه
أريج الماضي
وبالاخري ظلت كفيها قابعين، بعد قليل استشعر منها الهدوء فقال:

- كابوس.. كانت حالتك تحتاج لمهدأ..

نظرت له بتوهان، وعينان جاحظتان قليلا ووجه لا زال أثر الاحتقان لم يخفت عليه بعد، فأوضح لها:

- أقصد أمس.. كنتي متعبة.. فحقنتك بمصل مهدأ.. وما تشعرين به من

دينا العطار

تشوش أو خمول أو حتى هلوسة فتلك

أريج الماضي

أعراض عرضية وسرعان ما ستزول

بدأت تعي ما يقول، إذا فحالتها تلك بسبب شئ ما حقنها به، يا له من وغد. تريد سبه، لكنها ببساطة لا تستطيع تحريك شفة واحدة، ناهيك عن شفتين مطبقتين بلاصق شديد الالتصاق، ولسان تشعر به بثقل السحاب قبيل المطر، وأسنان تشعر بها كقضبان حديدية لا تستطيع زحزحتها حتى، وحلق جاف كالأرض القاحلة لا كالصحراء المقفرة أو أشد.

وتلك الصحراء تجسدت أمامها حقيقة، أم

دينا العطار

هي من انتقلت لها!، تحديدا لا تعلم.

قدميها تؤلمانها من السير، وتشعر بالعطش
أريج الماضي
الشديد، وها هي قد شارفت على الوصول لتلك البئر، خطوة والثانية، وعند الثالث، ما هذا؟!

لقد تحولت البئر إلى بالوعة، والعطش يكاد يفتك بها.

ما هذا الصوت، إنه يقترب، أكثر، فأكثر، ظلت تدور حول نفسها علها ترى من أين يأتي ذلك الصوت، أخيرا تبينت كنهه، إنه صوت كلب، لا إنها تخافهم بشدة، والصوت يقترب، ومن بعيد ظهر الكلب يعدو نحوها، حاولت الركض، فتحولت البالوعة لسلسلة، هي تعرف
دينا العطار
تلك السلسة، من أخرجها من الكتاب، هي

تجزم أنها سلسلة درس شرارة الحرامي، أجل
أريج الماضي
هي سلسلة الحداد، تشعر بحرارتها تكويها وتحرق قدميها، تحاول الصراخ من الألم، لا صوت لها، لقد تذكرت لقد ذهب صوتها، فجأة ظهر الكلب وهجم عليها، يعضها:

- آآآآآآآآآآآآهـــــــــــــــه

صراخها أرعبه عليها، ما بها، فأخذ يحاول السيطرة على ارتجافتها ممسكا بعضديها بكلتا يديه، دون فائدة، فاحتواها بين ذراعيه، يهدهدها كالطفل في مهده، حتى هدأت تماما، وراحت في ثبات عميق، ودخلت إلى جحيمها
دينا العطار
مرة أخرى.

من بعيد ترى ظل لشخص، بدأ يقترب
أريج الماضي
نحوها، ومع الحركة اتضح أنهما ظلان لرجلين، كانا منطبقين على بعضهما، اقتربا أكثر منها، ابتسامة ندية ظهرت على محياها وقد تبينتهما يحيى وهلال معا منسجمان، اقتربا منها أكثر بادلها يحيى بسمتها، وعندما نظرت لهلال تبتسم له هو الاخر، فضحك قائلا:

- هدية زفافك غاليتي.. لحظة واحدة سأخرجها لك

ومد يده بجيبه، فأخرج صندوق مغلف، فضه بنفسه عن غلافه وفتحه لها، اقترب
دينا العطار
يقدمه لها، دنا منها واعطاها الصندوق نظرت

داخله فوجدت مسدس، وفي لمح البصر وقبل
أريج الماضي
حتى ظهور ملامح الدهشة عليها رأت يحيى مسجيا على الأرض سابحا في دمائه، جرت نحوه تصرخ فيه ، تستجديه، فلم تسمع سوى صدى ضحكات أخيها، استدارت في لوعة فلم تجده، استدارت مرة أخرى ليحيى تناديه، فلم تجده أيضا، رأت فتاة لم تتبين من هي، لكن هاتف ما داخلها يعلمها أنها أريج، ركضت نحوها لخنقها، فأختفتفجأة كما ظهرت، وظهر لها يحيى بابتسامته المعهوده ومكان إصابته لا يزال ينزف ويقطر دما، وجواره كان هلال، وما أن خطت نحوه خطوة واحدة حتى انشقت
دينا الوطار

الأرض عنه هو وهلال، ابتلعتهما ثم استوت
أريج الماضي
مرة أخرى ليظهر مكانهما إمام ينظر إليها مبتسما مثلما كان يفعل يحيى تماما.

وقبل محاولتها الصراخ، شعرت وكأن دلو من الماء المثلج ينسكب فوقها، ففتحت عينيها بارهاق وضعف، فوجدت نفسها مضجعة داخل المغطس، وينهمر عليها الماء ممن كل جانب، حاولت الجلوس، لكن إمام أعادها للاستلقاء مرة أخرى، قائلا بنبرة تبدو قلقه أو هكذا وصلتها:

- لا تخافي من الانزلاق.. أنا جوارك
دينا العطار
ادعمك

كلماته أراحتها، لا تعلم أكانت كلماته تلك
أريج الماضي
حقيقية أم لا.. وما هي فيه الآن حقيقة أم خيال؟!.

.....

بعد عدة ساعات انخفضت حرارة فريدة بشكل ملحوظ، واستقرت حالتها، لم يبرح إمام مكانه أثناء تلك الساعات، وبينما كان منهمكا في استبدال كمادات ساقيها وساعديها، اهتزت أهدابها قليلا، نظر لها فلاحظ تلك الذبذبات. احضر مقعد جوار الفراش ليستقر عليه حينما
دينا العطار

تستفيق، بعدما كان يتصرف باريحية اثناء
أريج الماضي
غفوتها، كان يستلقي جوارها كلما انتهى من ابدال الكمادات. رنين هاتفها قطع تأمله لها، فبحث عنه حتى انتهى الرنين ولم يجده، وعندما رن مرة أخرى وجد حقيبتها ملقاة باهمال تكاد تختفي تحت أريكة في أحد جوانب الغرف، تذكر أنه خلعها من حول كتفها وألقاها باهمال، من الجيد إنها تعلقها حول كتفها بشكل مائل دائما، وإلا لكانت في السيارة الآن.

فتح الحقيبة فصدح صوت الرنين معلنا عن وصول صوت النغمة لأعلى مستوياتها، وجد

دينا العطار

اسم والدتها يزين الشاشة فزفر بارهاق، حقا!،
أريج الماضي
هذا ما كان ينقصه الآن!.

رد عليها ملقيا التحية مرحبا بها:

- السلام عليكم

تجاهلت رد تحيته قائلة بتقزز وصله وكأنه يراها أمامه رأي العين:

- أين فريدة؟ ولماذا تجيب أنت على هاتفها الخاص؟!

بتهذيب وبصبر طبيب أجابها متجاهلا إسلوبها الفج في الحديث إليه:

- فريدة نائمة الآن

دينا العطار

انهت المكالمة دون تعقيب، واخذت تسبه وأبيه وعائلته.

أريج الماضي

.....

وفي ذات الوقت كانت أريج تتهم مؤمن المستقر بانتشاء جوارها بمقعد الطائرة، غير مصدقه ما فعله خلال الساعات القليلة الماضية، فالطائرة الوحيدة المتجهة للصعيد في الوقت الحالي سوف تهبط في مطار الأقصر، ومن الأقصر سوف يتجها إلى أسيوط، فكرة مجنونة هكذا ظنتها هي، أما هو فكان يجنبها الكثير، بعدما بدأت عمته في شن

دينا العطار

الحرب ضدها مبكرا جدًا، لذا أراد أ، يربك
أريج الماضي
عمته باختفائهما، ويعيد شحن طاقة زوجته.

.....

أما هلال وأهلة فكانا حكاية أخرى، ففي حين يسعى مؤمن لتجنيب زوجته أي مواجهة في الوقت الحالي، كان هلال يشحذ كل همته وأفكاره، كيف يواجه فريدة وفي ذت الوقت يوجه ضربة قاضية لإمام.

في حين كانت أهلة قد انتهت من تفريغ الحقائب وتنظيمها داخل خزانة الملابس لكليهما، وعندما انتهت اتجهت نحو المطبخ
دينا العطار

لتعد وجبة خفيفة، نادته ليساعدها في تنظيم
أريج الماضي
طاولة الطعام.

نداؤها اخرجه من شرور أفكاره، فلبى ندائها مساعدا، وكانت تلك سابقة لم تحدث من قبل وجب الاحتفال بها.

وحين بدءا في تناول الطعام سألته:

- ماذا قررت بشأن العمل مع أبي؟

ابتلع ما بفمه من بقايا طعام ممررا لسانه حول أسنانه وجانبي فمه، ثم قال:

- لم أقرر بعد.. لكني أميل للقبول

تهللت أساريرها:
دينا العطار

- وهذا ما كنت أتمناه حقا.. لا أعلم

أريج الماضي

لماذا كنت ترفض.. فنصيب عمتي في الشركة والمصنع ليس بالقليل.. ومن المؤكد أنه زاد بعد وفاة يحيى.. أي أنك من الملاك ولن تكون موظفا كما تظن.

لمعت عيناه بشدة، كيف غفل عن نصيب والدته، لم يفكر سابقا في الأمر، والآن بعدما نبهته أهلة لابد وأن يأخذ تفكيره لاتجاه أخر. سوف يكون لمؤمن ندا بند وليس مجرد موظفا لدى خاله وأبنائه.

.....

دينا العطار

وصلا بدون سابق إعلام لأحد، وبعد رحلة مرهقة للغاية فبعدما وصلا الأقصر ارتدا عائدين لأسيوط، ليتهما لحقا بالقطار فاتهما على أقل من ربع ساعة.

أريج الماضي

الترحيب الشديد من حامد كان أكثر من كافي لمؤمن ليشعر أنه بالفعل مرحب به، أما ما أثار حفيظته حقا هو ما شعر به من جفاء السيدة عالية في معاملتها لإبنتها، ألم تشتاق إليها كما أشتاقت والدته لأهلة، لم يرهق نفسه في التفكير كثيرا وأرجع ذلك ربما لعدم موافقتها على زواجها منه، ومن كان موافقا!.

دينا العطار

أخيرا استغرقا في النوم، بعد وجبة دسمة

أريج الماضي

أصر حامد على اعدادها احتفاءًا بهما واحضر ولديه الأخرين وأسرتيهما.

بعد تناول الطعام رفض مؤمن بتهذيب أن يمكثا في غرفة أريج مع حامد بعدما علم من أريج بوجود مكان مخصص كإستراحة ومضيفة في الطابق السفلي.

وبعد تجهيز المضيفة إنتقلا إليها في الحال، فقد بلغ منهما الارهاق مل مبلغ.

وفي صبيحة اليوم التالي استيقظ مؤمن في نشاط وحيوية، بينما كانت أريج تغط في نوم

دينا العطار

عميق لم تنال مثله منذ انتقلت من بيت أبيها، تركها ريثما يغتسل ويتوضأ، أيقظها لتصلي الصبح معه، فأخذت تفرك عينيها بظاهر كفيها وتتثاءب، انتقلت إليه عدوى التثاؤب فضحكا معا، وقامت متكاسلة تستعد لقضاء صلاتها الفائتة.

أريج الماضي

صليا معا، ثم صعدا لشقة أبيها، استقبلهما الأب بابتسامة بشوش ودعاهما لتناول الفطور، دخلت أريج غرفتها أولا واستبدلت ملابسها ثم لحقت بمؤمن وأبيها عند المائدة. وعندما انتهيا من تناول فطورهما على عجلة منهما، قاما ليتجولا قليلا في المحافظة.

دينا العطار

أخذ مؤمن مفتاح سيارة حامد بعد إلحاح
أريج الماضي
شديد من حامد ليأخذها، كانت جولة أكثر من رائعة أشرك مؤمن خلالها أريج في اختياره لملابسه وعطوره وأحذيته. بينما لم يترك لها العنان لاختيار ما يعجبها، اختار لها ما يناسبها وأعجبه هو، اعترضت كثيرا على احضاره كل تلك الأشياء متعللة بوجود غرفتها في بيت أبيها كاملة دون نقصان، إلا أنه رفض إرتدائها أيا من حاجياتها القديمة فلا زالت عروس ووجب عليه تدليلها.

تناولا غدائهما في أحد المطاعم الشهيرة، ثم
دينا العطار
استمرا في جولتهما حتى قاربت الشمس على

الرحيل. صليا المغرب في مسجد على الطريق
أريج الماضي
أثناء عودتهما إلى البلدة.

وصلا منهكين من التجول، فتحت أريج باب المنزل الدلخلي بمفتاحها الخاص ليدخل مؤمن حاملا معه مشترواتهما لهذا اليوم.

استدعاهما حامد ليتناولا العشاء معه، وأثناء ذلك قالت عالية فجأة في محاولة لكسر حاجز الصمت المحيط بهم:

- هل تذوقت الطعام من يد أريج؟

رد مبتسما:

- ليس بعد

دينا العطار

ادعت السعور بالاحباط:

أريج الماضي

- لقد حرصت على تعليمها الطبخ وإدارة جميع الشئون المنزلية منذ صغرها.. رغم وجود الخادمات في البيت، عليك تذوق طعامها وسوف تدعو لي

مجاملا عقب:

- أكيد.. أنا أدعو لكِ منذ الآن، يكفي أنكِ من أنجبتها

تغضنت ملامحها، ذكرها بما تحاول جاهدة أن تتغافل عنه وتتناساه، لتتعامل بشكل طبيعي، فبعد أزمة أريج الصحية وتباعدها عن

دينا العطار

الجميع بشكل ملحوظ، أصبحت تشك بعلمها
أريج الماضي
بالأمر.

بل هي مستيقنه أنها تعلم، فرغم أن حادثتها كانت في المدينة، إلا أنهاتعلم أن أريج سمعت حوارها حامد، وهذا سرها الصغير الذي لا يعلم حامد عنه شئ.

فبعدما تمالكت نفسها وخرجت من غرفتها وجدت ميدالية المفاتيح خاصتها والتي قد أهدتها لها ذات يوم قابعة في الزاوية جوار الغرفة، يبدو أنها لم تنتبه لانفلاتها من يدها، ومن كانت ستنتبه في موقف كهذا.

دينا العطار

لقد اطلعت على سرها مع حامد، سمعتها

أريج الماضي

وهي تعلن لحامد عما تكنه لها ونواياها تجاهها ومحاولتها الاستيلاء على إرثها من أبيها أكرم بزعم أنها ابنتهما هي وحامد.

ومنذ ذلك الحين وهي لا تستطيع مواجهتها، بعدما تعرت حقيقتها أمامها، وتباعدت هي الأخري، وكفت عن ادعاء دور الأم الحنون. وكأنه ميثاق غير معلن بينهما ألا يعلم أحد عن سرهما هذا شئ.

أخرجها حامد من شرودها بنبرته العميقة ذات المغزى الواضح لها:

دينا العطار

- جزاكِ الله عنا جميعا كل خير يا عالية

أريج الماضي

همت بالحديث إلى أريج، إلا أن مؤمن سبقها قائلا:

- لكن أريج لا تشبهك .. ولا تشبه أبيها.. من تشبه يا ترى؟!

أنهى سؤاله ناظرا لأريج المتابعة للحوار بكامل تركيزها، والتي اضطربت قليلا بعدما ألقى سؤاله على مسامعهم، بدأ الشحوب يغزو وجهها وقد أثلجت يديها فجأة.

دينا العطار

في حين تولى حامد مهمة الرد على مؤمن

أريج الماضي

بدلا من زوجته التي ابتسمت بحزن تجلى بوضوح عليها وفي داخلها لو كانت أريج ابنتها حقا:

- أريج تشبه إلى حد كبير جدتها.. والدتي أنا.. رحمها الله

ثم وجه دفة الحديث ليأخذ محنى أخر:

ما هو تخصصك تحديدا يا مؤمن؟

رد مؤمن بآلية:

درست إدراة الأعمال في الجامعة الأمريكية بالقاهرة

دينا العطار

قال حامد بتقدير:

أريج الماضي

- من الجيد أن يكون مجال عملك هو نفس تخصصك الدقيق

ابتسم مؤمن متذكرا:

- لقد أضعت عام دراسي كامل لأختار هذا التخصص

تعجبت أريج:

- حقا!.. كيف؟!

- أمضيت عام كامل في كلية طب القصر العيني... حينا علمت أني لن أستطع الصمود أو الاستمرار

دينا العطار

نظر نحو أريج فرآها توليه كامل تركيزها
أريج الماضي
وانتباهها، تستمع إليه بانصات شديد، فلاحت له ذكرى ذاك العام، فأكمل مبتسما:

- كنت كلما شرعت في تناول الطعام أرى عليه البيكتريا والفطريات رأي العين، أو يقفز لمخيلتي منظر الموتى في المشرحة ورائحة الفورمالين تخنقني، ناهيك عن غسيل يداي، فكنت أغسل كل دقيقتين تقريبا أو أقل حتى كدت أصاب بالوسواس القهري.. فعلمت أني لن أصلح لتلك المهنة.. فأختصرت الطريق ودرست إدارة
دينا العطار
الأعمال.. والتي كنت أعلم أنه مهما طال

بي الزمن سأتحول إليها.. إن لم يكن مع أبي ففي الطب وإدارة المستشفيات.

أريج الماضي

تنهد معقبا:

- ففي النهاية اخترت أبي

ندت عن أريج ابتسامة رقيقة، وهي ترتكز بساعديها على المائدة وتضع كفها أسفل فكها قائلة بحالمية:

- رائع

وجه بصره إليها يشاكسها:

- أعلم أني رائع.. شكرا لكِ

دينا العطار

خجلت من نبرته، فاعتدلت قليلا في مقعدها

أريج الماضي

وأجلت صوتها:

- أقصد تفكيرك

تذمر مدعيا شعوره بالاحباط:

- وأنا من اعتقدت أنك تقصدينني

أسبل حامد عيناه مبتسما في رضا، وقد هدأ وجيب قلبه وسكن قليلا، أما مؤمن فقد أجاد إيصال رسالته لحامد، إبنته في يد أمينة، مصانه وفي رعايته شخصيا.

أما عالية فكان وجهها لا ينبئ بشئ.

دينا العطار

وهكذا كانا الزوجان يتعرفان على بعضهما البعض ببطء وهدوء دون تعجل.

أريج الماضي

.....

ببطء شديد بدأت تستعيد وعيها، حركت بؤبؤي عيناها يمنة ويسارا تحت جفنيها المنغلقين، ثم حركت إحدى يديها بضعف ووضعتها فوق جبينها تتحسسه، حاولت فتح عينيها فانفرجت اجفانها في استجابة بطيئة.

رآهما عينان مرهقتان حزينتان، زائغتان، وقد انفرجتا أخيرا بعد انتظار يوم كامل بليلتان، قال في محاول لتنبيهها لوجوده:

دينا العطار

- حمدا لله على سلامتك

أريج الماضي

أجابت بوهن:

- شكرا

لم تستسيغ تمددها أمامه هكذا، فحاولت النهوض، أسرع إليها يساعدها ويضبط وضعية الوسائد خلفها، فرفضت ناهرة إياه بنزق:

- ابتعد.. لا حاجة لي ليدك

استجاب زافرا بشدة، دون أن ينطق ببنت شفة، متمهلا عليها حتى أقصى حد يستطيعه.

خرج ليجلب لها الحساء التي أعدها ممنذ قليل، فاستوقفته قبيل الباب:

دينا العطار

- آســـــــــــــفة.. لم أقصد

أريج الماضي

قالتها بارهاق ظهر جليا على صوتها.

استدار يواجهها متحكما بصعوبة في عضلات وجهه النافرة غضبا صامتا، وقال متقبلا اعتذارها:

- لا عليك.. أنا أقدر الوضع

قالت:

- صداع شديد يفتك برأسي

قالت جملتها وهي تضغط بكلتا يديها على جانبي رأسها بشدة.

دينا العطار

- سأجلب لك مسكن .. لكن بعد

أريج الماضي

تناولك الحساء

انصاعت له صاغرة، مستسلمة اضطررا لهدنة قصيرة بينهما حالما تستعيد عافيتها.

تحدث يكسر حاجز الصمت أثناء تناولها طعامها:

- اتصلت بك والدتك .. واضطررت للرد عليها.. لئلا تقلق عليكِ.. أخبرتها أنك نائمة.

دينا العطار

لا تريد أن تزيد الطين بلة بينهما، لذا
أريج الماضي
اجابتها كانت على النقيض لما تحدث به نفسها:

- خيرا فعلت.. شكرا

صوت الجرس جعله يومئ لها برأسه متقبلا شكرها.. وخرج ليرى من بالباب!.

وما لم تستطيعه فريدة في الوقت الحالي، تأتي به أمها التي أزاحته عن الباب بخشونة، ودخلت دون دعوة.

دينا العطار

أما هو فتنحى جانبا كاتما غيظه من
أريج الماضي
زوجتته وأمها.. مصبرا نفسه: "مهلا.. مهلا يا إمام.. المزيد من الصبر لن يضيرك في شئ".

هتفت زهرة تنادي ابنتها:

- فريدة.. فريدة

احكم اغلاق الباب والتفت اليها مشيرا وهو يجيبها:

- فريدة في الغرفة عند ذاك الاتجاه

طرقت باب غرفة ابنتها مرة واحدة فقط قبل اقتحامها اياها، ففزعت من مظهر ابنتها

دينا العطار

وهتفت في لوعة وهي تنهب الخطوتين الباقيتين إليها:

أريج الماضي

- ماذا بك حبيبتي.. ماذا فعل لكِ؟!.

حاولت فريدة استجماع قوتها والظهور بمظهر أقل ضعفا وارهاقا مما تبدو، فأجلت صوتها:

- لا تقلقي أمي.. ارتفعت حراراتي قليلا.. وإمام لم يتركني لحظة واحدة من حينها.. سهر على راحتي وقام بتمريضي.. فلا تتحاملي عليه أمي.. أرجوكِ.

دينا العطار

ورغم غيظه من والدتها.. إلا أنه شاكر لها.. فلولاها ما كان سمع كلمات امتنانها تلك.

أريج الماضي

لا ينكر لقد بدأ يألف وجودها حوله، ويستأنس بها، لكن ما يؤرق مضجعه حقا هي، ماذا عنها؟!.

كان لا يزال واقفا عند مدخل الحجرة حين سمعها تحدثه أو تنبه والدتها لوجوده خلفها:

- شكرا إمام.. الحساء كانت رائعة

ثم أكملت باسمة:

- لكن عليك المرة القادمة ألا تنسى وضع قليل من الملح

دينا العطار

تقدم نحوها وأخذ الصينية الموضوع عليها
أريج الماضي
الأطباق الفارغة مجيبا بود:

- المرة القادمة عليك أنتِ

طريقته في الحديث أثارت استهجان والدتها، فقالت بتسلط وعدوانية:

- إبنتي ليست خادمتك

فرغ صبره على هذه السيدة، فرد عليها بقسوة:

- إذا كانت تلك نظرتك لمقام الزوجة.. فأنت تقللين من قيمتك ومقامك كزوجة وفي نظر زوجك.

دينا العطار

سارعت فريدة تقلل من حدة التوتر القائم:

أريج الماضي

- ليست كل من أعدت وجبة لزوجها باتت خادمته يا أمي

ثم وجهت نظرها لإمام تستعطفه وترجوه ألا يتمادى وهي تقول:

- أين مسكن الصداع.. رأسي يكاد ينفجر

وضع إمام الصينية على الكومود جوارها ثم فتح الجارور وأخرج شريط الاقراص المسكنة، ناولها إياه مع كوب من الماء، ثم أخذ الأطباق

دينا العطار

الفارغة وخرج مغلقا الباب خلفه في هدوء

مصطنع.

حدث ذلك تحت أنظار زهرة التي كانت تمط شفتيها في سخط وعدم رضا كبيرين.. وقد بدأ القلق يراودها عن مصير تلك الزيجة.

.....

عاد مؤمن وأريج من الصعيد بعد زيارة دامت ثلاثة أيام، شعرت خلالهم أريج أنها في حلم جميل لا تريد له نهاية، لن تنسى تلك الأيام ما حيت.

على العكس من إمام تماما، والذي قارب
أريج الماضي
على الانفجار والموت غيظا وقهرا، من تسلط زهرة والدة زوجته والتي لا تنفك تتصيد الأخطاء له أو تفتعلها.

لن ينسى أبدا دعوتها لهلال وزوجته دون إذنه، فوجئ بوجوده بمنزله عندما عاد من العمل ثالث يوم مجيئها، حينها استقبلته فريدة عند باب الشقة لتخبره بوجوده وترجوه ألا يحرجها مع أخيها وألا يفتعل المشاكل ويحسن استقباله، فدخل عليه غرفة الاستقبال ملقيا التحية باقتضاب ثم انصرف داعيا فريدة لتلحق
دينا العطار
به، وعندما دخلت عليه بادرته بأسف:

- أعلم أنك غاضب .. لكن ليس لي

أريج الماضي

ذنب في ذلك.. أمي هي من دعته.

قال يعاتبها:

- ولماذا لم تخبريني مبكرا.. ألا استحق دقيقة من وقتك عبر الهاتف لإبلاغي

وقبل أن يتلق الجواب منها كانت أمها تقتحم عليهما غرفته هاتفة به باستعلاء وصوت جهوري حتى يسمع هلال وزوجته اهانتها اياه:

دينا العطار

- هذا بيت إبنتي.. تستقبل فيه من شاءت .. ولن تأخذ منك الأذن لاستضافة أهلها في بيتها.

أريج الماضي

في تلك الأثناء قفزت فكرة في مخيلة هلال، فانتفض من مقعده وهو يقول لزوجته:

- سوف أخرج قليلا حتى تنتهي أمي من تقريع إمام.. وتجهيز الطعام

اندهشت أهلة من موقفه ذاك، وأجابته في حرج:

- لا تتركني وحدي هنا .. والآن في هذا الجو المتوتر.. ليتني لم آت معك

دينا العطار

قهقه في صوت خافت مجيبا إياها:

أريج الماضي

- لا تخافي.. أنت تتمتعين بحماية أمي شخصيا.. ولست مقصودة بشئ

لم يترك لها الفرصة لمعارضته وتركها محيدة محرجة وخرج آخذا معه ميدالية مفاتيح إمام، والتي كانت معلقة عند الباب فوق أحد المسامير المخصصة لذلك.

.....

ترفع إمام عن الرد على أم زوجته، ونظر لكليهما بعجز وقلة حيلة ثم تركهما ودخل

دينا العطار

الحمام الملحق بغرفته صافقا الباب خلفه بعنف.

أريج الماضي

ولن تكتشف زهرة يوما، ان بترفعه عن رد اهانتها، وعلو أخلاقه، جعل له نصيب من الاجلال والاكبار في قلب ابنتها، مغلقة العينين، جريحة الكرامة، دامية القلب.

لم تكن تتخيل في أعتى كوابيسها أن توجه أمها لها إهانة كتلك، أن تقتحم عليها غرفتها مع زوجها، وتسبهما، وفي حضور كل من هلال وأهلة، لهذا أمر شديد. والأدهي أن تشعر بكلمات أمها تدمي قلبها وتطعنها هي الاخرى.

دينا العطار

أمها التي لم تقيم لها وزنا، وقللت من شأنها أمام زوجها، أعلمتها الآن أنها وكرامتها خارج حساباتها، دائما ما كانت تكذب نفسها، والآن فقط أيقنت. فقد اهانتهما هي وزوجها، بكل بساطة، دون ذرة ندم أو حتى تفكير، وأمام أخيها وزوجته.

أريج الماضي

والآن فقط أيضا أدركت لماذا أختار يحيى إمام زوجا لها بديلا عنه.

.....

لن يترك لها منزله أبدا مهما فعلت، لذا حبس نفسه في غرفته حتى ينتهين السيدات

دينا العطار

من إعداد المائدة. أما هلال فقد هاتفته زوجته

أريج الماضي

تتعجله، فرد عليها:

- أهلة حبيبتي.. أنا أسفل البناية دقيقتين وأكون أمامك

وكلمة حبيبتي العفوية منه، جعلته تتيه في خيمة من المشاعر الوردية، التي تكنها له.. فذهبت لاستقباله عند مدخل الشقة، ولم تفطن لإستخدامه مفتاح الشقة للدخول دون قرع الجرس، وبوجه بشوش متألق وإبتسامة نابعة من القلب دنت منه هامسة:

دينا العطار

- كلمة حبيبتي منك.. لها مذاق خاص.. تشعرني بسعادة صافية تغمر قلبي

أريج الماضي

ثم أخذت نفسا عميقا قبل أن تكمل:

- وأنت أيضا حبيبي

تحلق الجميع حول المائدة بيضاوية الشكل، فجاء مقعد هلال مقابلا لإمام، يتوسطهما السيدة زهرة، وعلى الطرفين الأخرين تقابلتا فريدة وأهلة كل جوار زوجه.

والجو المشحون كان أكثر من كافي ليبتلع الجميع ألسنتهم، ويتناولوا الطعام في صمت،

لا صوت يعلو فوق صوت اصطكاك الشوك
أريج الماضي
والملاعق بالصحون.

وبعدما انتهوا من الغداء، ورُفعت الصحون عن المائدة، استقروا جميعا في حجرة الاستقبال لاحتساء الشاي.

في تلك الأثناء قام هلال من جوار أهلة متقدما ناحية فريدة القابعة جوار زوجها في صمت مطبق تعيد حساباتها، وتقسم بداخلها أن تكون زوجته الليلة، بعدما كان من أمها في حقه، واكرامه هو لأمها من أجلها.

دينا العطار

جثى هلال على ركبتيه أمامها وجذب رأسها
أريج الماضي
بكفيه مقبلا إياها على جبينها قبلة أودع فيها أسفه وندمه ومرارته على فقد إبن خاله هو الأخر، أوليس يحيى بإبن خاله مثلها.

حاولت تخليص وجهها من بين يديه، إلا أنه لم يسمح لها بذلك حتى استكانت مستسلمة، فتركها بارادتها هو وأخرج علبة مخملية من جيب سترته الداخلي وفتحها، ثم قدمها لها، لم تأخذها منه، فجذب هو كفها بإحدى يديه ووضع العلبة فيه قائلا:

- ألن تقبلي هدية أخاك

دينا العطار

أجابت بألم، وهي تجاهد ألا تترك العنان لدموعها:

أريج الماضي

- هديتك وصلت في وقت سابق

وهنا تدخلت الأم، تخطف العلبة من يد إبنتها غير المتمسكة بها، والقابعة بين راحتي يد هلال:

- أرني إياها

نظرت إليها بانبهار، ثم قالت عاتبة على هلال:

دينا العطار

- تذكرت أختك.. ونسيت أمك..

أريج الماضي

الإسوار رائع.. عليك باحضار مثليها.. واحدة لمن انجبتك والأخرى لزوجتك

نظر لأمه في امتنان:

- خاصتك بحوزتي يا أمي.. وأهلة أيضا.. ولن يظهرا إلا رأيت ذاك الإسوار يزين معصم Fairy

ثم غمز فريدة وهو يلكزها بخفة قائلا:

- أتذكرين يا Fairy؟

دينا العطار

ابتسامة باهتة هي كل ما حصل عليه منها،

أريج الماضي

وهو يذكرها بلقبها الذي كان يثير جنونها، تلك الجنية مدللة آل ماضـــــــي.

.....

وما حدث أمام عيني إمام جعله يشرد في أخته أريج وحالها، ويتساءل كيف يعاملونها، وكيف ستتمكن من العيش مع تلك المرأة الفترة المقبلة، بعدما علم من فريدة أنها جاءت من الصعيد ولا نية لديها للعودة قريبا.

دينا العطار

أخيرا تنفس الصعداء، بعدما انصرفت
أريج الماضي
المسماة بزهرة مع ولدها.. أجل هي زهرة، لكنها زهرة شوكية، مؤذية حد الألم.

.....

حاول هلال جاهدا أن يصطحب والدته معه، لكن أتاه صوتها من المقعد الخلفي للسيارة حادا كالشفرة:

- أنا عند أخي... في بيته

رد متبرما:

- لو تجيبيني بصراحة.. وتفصحي عن سبب تركك للمنزل من الأساس.. على

الأقل سوف يرتاح بالي.. وربما أجد لكِ
أريج الماضي
حلا

مطت شفتيها يسارا مستهزئة بولدها:

- ركز أنت في شؤونك الخاصة..

ودعني أنا أدبر أموري بنفسي

في النهاية أذعن لها، وأوصلها حتى فيلا خاله، دخل معها هو وأهلة لزيارة والديها.

وأثناء الزيارة حضر كل من مؤمن وأريج، وعندما وقعت عيناه على أريج فجأة دون سابق إنذار أو علم، ومضت عينيه وشعت ببريق عجيب، بينما اخفضت أريج نظرها أرضا،

فتقدم مؤمن قليلا ووقف أمامها يحجبها عنه، ألقى مؤمن تحية مقتضبة على الجمع وسحب زوجته منصرفا بها نحو غرفتهما.

أريج الماضي

.....

وإذا كانت عينا هلال شعت ببريق عجيب من الشوق، فعينا أمه كانتا تشعان حقدا وغلا وتوعدا.

أما أهلة فعيناها كانتا قصة أخرى، فبعدما عانقت السماء بكلمة، غارت تحت سابع أرض بنظرة. وماتت نبتة أمل كانت تكافح لتخرج من غلافها، وتشق سطح الأرض، فقط لتحيا.

دينا العطار

ليت حبها يشق قلبه، كما شق هو قلبها الآن وجعا. ولأول مرة مذ أعلنت عن موافقتها الأقتران به، تشعر أن قرارها ربما كان متسرعا.

حتى الآن لا تريد الاعتراف كليا لنفسها أنها كانت مخطئة، فعلى الأقل لو تزوجته انصياعا لقرار المجلس عندما شملها، وليس عن رغبة منها ورضى تام، لكانت الآن أقل ندما.

.....

أما مؤمن فبعدما قضى الأيام الماضية بصحبتها، إن لم يكن انسحب بها لكان أردى

أريج الماضي
دينا العطار

هلال قتيلا في الحال، بعدما كان منه في حقها سابقا، ونظرته التي شملتها منذ قليل.

نار تحرق أحشائه حيا. آآآه.. فقط، لو كان يعلم بوجوده، ما كانا دخلا لتحية والديه.

.....

في صبيحة اليوم التالي، اجتمعت العائلة حول المائدة كعادتها للإفطار، نزل مؤمن وأريج متشابكي الأيدي في إعلان صريح منه لعمته، أنها تحت حمايته.

قابلت عمته حركته تلك بتهكم ماطة شفتيها يسارا مصدرة صوتا ساخرا: "هئ" من فمها،

أريج الماضي
ديانا العطار

مما جعل بطنها المستديرة تهتز وهي تطلق ذلك الصوت.

أريج الماضي

رنين هاتف مؤمن أجبره على الابتعاد عن أريج بعدما أزاح لها مقعد المائدة واطمئن لاستقرارها عليه. وعندما دخل التراس المطل على حديقة الفيلا فتح الخط:

- أجل أمنية.. هل من جديد؟!

أجابته بلوم:

- القي التحية أولا مؤمن.. لا أريدك أن تطمئن عليّ حتى

- لا تؤاخديني.

دينا العطار

قالت:

أريج الماضي

- حسنا.. لا بأس.. أجل لدي جديد.. لقد حصلت على رقم هاتف زوجتك الجديد.. لا أعرف كيف.. لم تفصح لي.. ثم.....

وصمتت لم تستطع إكمال ما تريد.. فقال يحثها أن تكمل:

- ثم ماذا؟! أنا أسمعك جيدا

أجابته:

- استأجرت أحد المخبرين المختصين بقضايا

دينا العطار

وبترت عبارتها حياءًا، وعندما فهم ما ترمي إليه، حثها مجددا:

أريج الماضي

- حسنا.. اكملي
- اتفقت معه أن يوزع رقم هاتفها على المواقع والصفحات، وأن يعطيه لمن يريد

احتقن وجه مؤمن بشدة، حتى كاد أن يختنق جراء ما يسمع عن عمته، تلك الحية الرقطاء، والتي تسعى لتجنيد خطيبته السابقة ودفعها، للأخذ بثأرها والانتقام منه، والايقاع بزوجته.

دينا العطار

استفاق على صوت أمنية القلق وهي تهتف:

أريج الماضي

- مؤمن .. مؤمن.. هل تسمنعني.. مؤمن

أجابها بخفوت:

- أجل أمنية أسمعك.. أكملي

قالت:

- هذا كل شئ.. لا أعلم إذا ما كان هناك المزيد أم لا

سألها:

دينا العطار

- وأين دورك أنتِ؟!.

- دوري أ،ا أقوم به الآن.. حينما تعلمني يوجود زوجتك جوارك.. أتصل أنا بك

أريج الماضي

- حسنا.. شكرا أمنية.. مضطر أن أغلق معك الآن.. مع السلامة.

أغلق الهاتف، نادى أريج التي حضرت في الحال، فسألها:

- لمن أعطيتي رقم الهاتف الجديد

- أبي وإمام فقط .. كما قلت لي أنت.. ونبهت عليهما ألا يعطياه أحدا

.....

دينا العطار

وعلى مائدة الافطار سأل شهاب أخته يشاكسها قليلا:

أريج الماضي

- هل لازلتي تغارين يا زهرة.. بمجرد أن علمتي ان مؤمن في زيارة لحموه.. ذهبتي أنتي لزيارة فريدة.. وتمارسين دور الحماة على المسكين إمام

لم تستجب لمزحة أخيها:

- إبنتي كانت مريضة يا شهاب.. فريدة هي المسكينة.. لا أحد غيرها

لسانها السليط وحدة كلماتها كانت كفيلة بجعل شهاب يفقد الأمل في صلاح حال أخته

ديانا العطار

وتسلطها. وقيام يوسف عن المائدة، وترك
أريج الماضي
مؤمن لشوكته وشروده باحتمالية إمساكها لهاتف إمام دون علمه.

لم يبقى امامه سوى محاولته اقناع أبيه بالانتقال مؤقتا عن الفيلا، وإلا لن يأمن غدرها. وقبل أن ينهض هو وأبيه للحاق بيوسف، وجدوا هلال أمامهم ليرافق خاله للشركة كي يسلمه وظيفته الجديدة، التي لا يعلم عنها حتى الآن شيئا.

ترك مؤمن أريج لأمه وأوصاها عليها بشدة، وحذر أريج من الاقتراب من عمته، وأخذ
دينا العطار
شريحة الهاتف الجديدة أيضا منها.

بعد قليل فتحت أريج حساب الفيس بوك
أريج الماضي
الخاص بها، فوجدت طلبات إضافة من حسابات وهمية كثيرة جدا، ارتابت في الأمر، فأغلقت الهاتف دون تردد.

وعندما ارتفعت الشمس في السماء وزادت درجة الحرارة، تركت الحديقة ودخلت الفيلا لتستريح قليلا في غرفتها، ثم تبدأ في فرز الهدايا التي جلباها من جولاتهما في الصعيد.

قابلت زوجة يوسف أعلى الدرج، فابتسمت لها الأخيرة بفتور، حيتها أريج وأنصرفت لغرفتها.

دينا العطار

.....

أريج الماضي

وكما خططت تماما، والآن ليس عليها سوى الإسراع في التنفيذ، كي لا يستجد شيئا فتضيع خطتها هباءً. جردتها من كل وسائل التواصل مع العالم الخارجي، وبالاخص مؤمن وأخيها، فاصبحت كالأعزل الموضوع على خط الدفاع والمواجهة مع عدو شرس لئيم متخابث.

وكأرنب بري أمام صائد محترف بكل أسلحته. أكمل الصياد نصب شباكه، ففي البداية جعلت مؤمن ينزع شريحة هاتفها بنفسه، بمساعدة خطيبته السابقة، التائقة للتلذذ

دينا العطار

بيتعذيبه، ومن ثم استخرجت هي بديلا لها،

وبقليل جدا من المال لعامل شركة الاتصالات

أريج الماضي

تغاضى عن صورة البطاقة الشخصية، والآن الشريحة الجديدة مليئة بأرقام هواتف الكثيرات من الفتيات المسجلات في قضايا لدى الشرطة، سواء كانت بغاء أو تعاطي أو حتى اتجار بالمخدرات كلهم مزيج أكثر من كافي، وكذلك رقم أريج بحوزتهن الآن.

ومنذ قليل أتمت باقي مهمتها، وقد علمت للتو أن إذن الضبط والاحضار قد تم استصداره، والآن ليس عليها سوى الأنتظار بضع دقائق.

دينا العطار

.....

فجأة، وأثناء طريقه للشركة أضاء عقله أنها ربما أصبحت الآن بمفردها، حيث تذكر أن أمه أخبرته أن زوجة يوسف لديها موعد مع الطبيبة اليوم وسوف تذهب معها.

أريج الماضي

كيف لم ينتبه لذلك، أخذ يؤنب نفسه وهو يبحث عن أول منعطف للطريق.

.....

كانت تتثاءب وهي تحاول النهوض قليلا لتستند بظهرها إلى الفراش، عندما دخل عليها بوجهه البشوش الفرح، حاملا إليها الافطار حتى الفراش، وهو يقول ممازحا:

دينا العطار

- صباحية مباركة.. أيتها العروس الكسول

أريج الماضي

استوت جالسة ومدت يدها إليه تساعده في ضبط صينية الفطور على الفراش، ثم أجابته بابتسامة خجول وهي تشير نحو الطعام:

- سوف اعتاد هذا الدلال

قعد بحرص على الفراش حتى لا تهتز صينية الفطور، وقال:

- والدلال يليق بكِ كثيرا..

ثم أمسك يديها يقبلها، ثم أكمل:

دينا العطار

- وإذا لم تتدللي أنت ممن سوف

أريج الماضي

تتدلل

نظرت إليه بامتنان وبصوت خفيض:

- إمام أنا اعتذر نيابة عن أمي

تغضنت ملامحه في لمح البصر، وتعكر مزاجه، فزفر بشدة، وعاتبها:

- توقيت صائب لهكذا حديث يا فريدة.. على كل حال.. دعك من سيرتها الآن

لعنت غبائها لتطرقها لذاك الأمر الآن، فقالت باحراج:

دينا العطار

- فقط كنت اوضح موقفي.. فأنا..

شعر بتوترها فقاطع حديثها موضحا:

- لا عليك.. على كل حال أنت غير مسئولة عن تصرفات الأخرين.. وكل شخص مسئول عن تصرفاته هو فقط ..

ثم نظر إليها بتهديد مضيقا بين عينيه، وهو يدس بعض الطعام بفمها بالاجبار:

- والآن ليس عليك سوى الاهتمام بي أنا.. وحذاري أن تتحولي مرة أخرى يا فريدة.. فقد اكتفيت!.

غصت بالطعام من طريقته المضحكة في
أريج الماضي
الحديث، فرفع أحد حاجبيه محذرا، وهو يقضم بعض الطعام ضاحكا هو الأخر.

.....

عليه أن يسرع بالانتقال وإلا سوف تكون العواقب وخيمة، فعمته تتحين الفرص لأذيتها، ولن تمرر وجودها وحيدة الآن في الفيلا مرور الكرام. فزاد من سرعة سيارته متخطيا سيارة أبيه، ثم انعطف عند أول دوران قابله، عائدا للفيلا وهو يدعو ويبتهل ألا يكون قد تأخر.

دينا العطار

كان هلال يرافق خاله تاركا سيارته لوالدته

أريج الماضي

كما أرادت، فتعجب مما فعله مؤمن، وأمر شهاب سائقه أن يعود أدراجه خلف مؤمن، الذي لا يرد على هاتفه، مما أثار قلق أبيه بشدة، فلابد وأن يكون الأمر جلل حتى يتجاهل مؤمن اتصالات أبيه.

.....

اقتحمت قوات الأمن الفيلا، في ذات اللحظة التي دخل فيها مؤمن كالإعصار متقدما نحوهم قائلا:

- ماذا يحدث هنا بالضبط؟!

دينا العطار

دخل شهاب وهلال الفيلا على صوت
أريج الماضي
الضابط:

- معنا إذن تفتيش واحضار للمدعوة أريج حامد

استبقهم مؤمن نحو غرفته لينبه أريج، وجدها في الشرفة بكامل حجابها.

انهت قوات الشرطة عملها، وقامت بتفتيش المنزل بأكمله حتى الحديقة لم تنجو هي الأخرى من التفتيش، ثم اصطحبت القوات أريج بعدما كاد مؤمن أن يشتبك مع الضابط حينما أراد أن ترافقه أريج في سيارة الشرطة.
دينا العطار

بالأخير وبعد مكالمتين حادتي اللهجة

أريج الماضي

إحداهما من لواء صديق شخصي للسيد شهاب، والأخرى كانت من محافظ أسيوط شخصيا بعدما هاتف هلال أبيه، اضطر الضابط مرغما على الموافقة لمرافقته أريج في سيارة شهاب، قاد هلال بنفسه وجواره كان الضابط، أما أريج فكانت تتوسط شهاب ومؤمن الذي كان يربت على كتفها في محاولة لتهدئة جسدها المرتجف تحت يديه.

.....

ما أن اختفت أريج مع الشرطة حتى هاتفت

دينا العطار

زهرة إبنتها فريدة:

- صباح الخير فيري.. أين زوجك

أريج الماضي

ألقت فريدة نظرة على النائم جوارها بسلام وردت بنعاس:

- صباح الخير ماما.. لماذا تسألين عن إمام؟!

بانتشاء لاحظته فريده في صوت والدتها أجابتها:

- ولماذا لا اسأل عن زوج إبنتي وأخا من أدخلت الشرطة لبيت أخي

تقافزت ضربات قلب فريدة وتوترت خلاياها وهي تستمع لوالدتها، وبدهشه شديده ردت:

- أريج .. لماذا؟!

بشماته:

- لا أعرف حتى الآن.. لكن قبضت عليها

ما أن اغلقت الاتصال مع والدتها حتى سمعته يسألها بتكاسل:

- ما بها أريج؟!

نظرت إليه باشفاق، فشعر بقبضة باردة تلتف حول قلبه قبل أن تخبره:

- الشرطة أخذتها

قفز من الفراش يرتدي ملابسه، وفي لمح البصر كان يلتقط مفاتيحه وباليد الأخرى يضغط أزرار الهاتف ليتصل بمؤمن، وهو يقول قبل أن يختفي عن ناظريها كالشبح:

أريج الماضي

- لا تتحركي من المنزل مهما حدث.

.....

كان مؤمن يساعد أريج للخروج من السيارة حين رن هاتفه، ساعد أريج على الاعتدال ثم رفع الهاتف ليجيب، لم يكد يفتح فاه حتى وصله صوت إمام متلاشي الصبر:

- أين أريج؟

دينا العطار

بصوت ثابت كصاحبه قوي أجاب:

أريج الماضي

- معي

بغضب الكون صرخ إمام:

- أين؟

زفر مؤمن بشدة:

- في القسم

ثم أسرع يكمل:

- وقبل أن تنطق بأي شئ لا أعلم حتى الآن ما الخطب.. وافيني في قسم "_____" .. ورجاءً لا تخبر والدك حتى نتبين ما الأمر

دينا العطار

رد إمام بتهديد:

أريج الماضي

- في أحلامك يا مؤمن.. أنت لم تكن على قدر الأمانة التي أمنك إياها والدي،...

عند هذا الحد طفح بمؤمن الكيل، فأغلق الهاتف قبل أن يكمل إمام باقي وعيده، وليفعل ما يشاء، لا يهمه الآن سوى أريج وما ينتظرها بالداخل.

.....

اتصل إمام بأبيه ليخبره، وليعلم الجميع أن لأريج عائلة -تسد عين الشمس- تحميها،

دينا العطار

ظهر قوي تستند إليه، وأنها ليست بمفردها أبدا، ومن أراد بها سوء فليواجههم أولا.

أريج الماضي

رآها تقف جوار مؤمن الذي يحاول بدوره تهدئتها، وقد احتقن وجهها بشدة، وما أن وصل إليها حتى رفع يد مؤمن عنها بعنف، وحاوطها بذراعيه يفرض حمايته عليها.

كاد مؤمن أن يشتبك مع إمام لولا تدخل شهاب والمحامي ليفصلا بينهما، نهر شهاب إبنه، فلا المكان ولا الزمان يسمحا لما يفتعلانه معا، ونظر حوله ليرى أين هلال، فلم يجده، اختفى، أو بالأحرى، تبخر هلال في غمضة عين، حين استقبل مكالمة أبيه بعدد وصولهم

دينا العطار

للقسم بلحظات، انسحب لينفذ ما أمره به أبيه، بعدما استطاع شوكت تأخير التحقيق معها قليلا.

أريج الماضي

بالفعل خلال دقائق، كان هلال يوجه أمه وجها لوجه، يبلغها رسالة أبيه:

- أبي يبلغك أن تنهي تلك المهزلة بمعرفتك أنتِ، ويبلغك أيضا أنه ليس أمامك سوى ساعتين، أو أقل حتى يصل هو.. وإلا....

ثم صمت قليلا قبل أن يكمل:

دينا العطار

- صدقا أمي.. تركها لي معلقة هكذا

أريج الماضي

.. لكني سمعت نبرة غريبة عليه.. لم اسمعها منه قبل ذلك أبدا.. أقسم لك ورغم كل ما اعرفه من حب يخصني به.. إلا إنني لا أجرؤ ولا أريد أن أوصله لهذا الحد

اقشعر هلال وهو يتخيل غضب أبيه المخيف، وما ينتظر والدته، إذ أكملت ما بدأته للنهاية، واستطرد يسألها بحزن عميق توغل لنفسه حتى أرهقها:

- لماذا تحقدين عليها هكذا أمي؟!.

دينا العطار

قالت بغل تمكن منها حتى سيطر على كل أفعالها وانفعالاتها:

أريج الماضي

- لإنها إبنة حامد .. وسأظل أكرهها ما حييت

ضيق عينيه مندهشا من كم الغل الذي يحرك أمه:

- حامد.. طليقكِ

تفاجأت زهرة من معرفته بزواجها السابق من حامد، نظر إليها باستخفاف وهو يكمل:

دينا العطار

- لا تتفاجئ كثيرا هكذا.. أنتِ

أريج الماضي

تعلمين أني أعلم.. دعك من هذا الآن..

هيا.. حلى تلك الكارثة.. رجاءً

ببرود قاتل ردت:

- للأسف هلال .. لا أعلم عما تتحدث.. ماذا تقصد تحديدا هلال؟!

قال من خلف أسنانه وهو يجز عليها حتى كاد أن يهشمها:

- أمـــــــــي

ابتزته بابتسامه لعوب:

- بشروطي

دينا العطار

ولاحت بارقة أمل فتشبث بها:

أريج الماضي

- شروطك وأوامرك مجابة

باستخفاف:

- اعرفها أولا

بنفاد صبر:

- لن نختلف أمي.. عقدي معك على بياض.. اسطري ما شئتِ

وبنظرة ذات مغزى اكمل:

- هدفنا واحد.. اعدك لن تمكث معه كثيرا.. وبعدها سينهار كل شئ تباعا.. كحبات العقد تماما حين تنفرط

دينا العطار

لمعت عيناها بشر ونشوة لمجرد سماعها

أريج الماضي

وعد هلال:

- لطالما كنت وستظل إبني المفضل

رفعت هاتفها تضغط أزراره وهي تبتعد عن مجال رؤية هلال.. جاء صوت محدثها يخبرها:

- كل شئ يسير على ما يرام سيدتي.. دخلت للضابط منذ قليل

سألته:

- الشهود هل تعرفوا عليها؟

دينا العطار

- لم يطلبهم بعد.. سوف يتعرفون

أريج الماضي

عليها بكل سهولة لقد أريتهم صورتها.. لقد كنتي سخية جدا سيدتي.. وتم ضبطهم في حالة تلبس.. لكن الحقيبة لم أعثر عليها لا في المكان الذي اخبرتني به ولا في أي مكان أخر.. تلك الحقيبة مهمة جدا لانها تحوي شريحة الهاتف التي تحمل رقمها ومسجل بها أرقاه هواتفهم وكذلك المخدرات

- دعك من الحقيبة الآن.. واستمع إلىَّ جيدا.. أريدك أن تخبرهم أن ينكروا معرفتهم بها

دينا العطار

بفضول سألها:

- لماذا سيدتي.. كل شئ يجري كما

أريج الماضي

خططتي له تماما

بتأفف وقلة صبر أمرته:

- افعل ما أمرك به دون جدال

فأمتثل لأوامرها طالما لن تمس جيبه.

ومن محضر الاستدلال ووفق اعترافات من تم القبض عليهم، وجه الضابط المختص لأريج تهمة إدارة بيت للبغي، حينها جحظت عينا أريج بشدة، ففي أعتى كوابيسها لم تكن لتتصور أو حتى يعبر طائف بخيالها مهما جمح أن تتهم يوما باتهام كهذا، وايقنت ان لم

يظهر لها انياب فسوف يتم افتراسها بشهية مفتوحة، ودون ذرة ندم واحدة، وقررت أن تكون من الضواري هى الأخرى، أخرجها صوت الضابط من ذهولها وأفكارها:

أريج الماضي

- ما قولك فيما نسب إليكِ سيدة أريج

اشتد ضيق صدرها حتى كاد ان ينفجر من بين أضلعها متناثرا لشظايا، وضرب الألم معدتها بقوة، فحاولت التماسك قليلا، أشار لها الضابط بالجلوس مشفقا عليها، وبعدما استقرت على المقعد أمامه، أجابت بصوت متحشرج :

دينا العطار

- انكر

أريج الماضي

كلمة واحدة هي كل ما استطاعت قوله، وصمتت تحاول السيطرة على ارتجافة جسدها واهتزار ساقيها متجاهلة ألم معدتها دون جدوي.

أمر الضابط باحضار المتهمين واحدا تلو الأخر فرادى، بدأ بالفتيات، فانكرن معرفتهن بها، كذلك فعل مرافقيهن، وهكذا غيّر الجميع أعترافاتهم، وتضاربت الأقوال الجديدة، مما اضطر الضابط إلى الإفراج عنها دون ضمانات واحالة المتهمين الاخرين إلى النيابة،

دينا العطار

وأغلق المحضر في ساعته وتاريخه.

كانت إحدى ساقي أريج لا زالت داخل غرفة
أريج الماضي
الضابط والأخرى بالخارج حين سقطت مغشيا عليها، ارتطمت رأسها بشدة في إطار الباب قبل ان ترتطم مرة اخرى بالأرضية الصلبة حيث تكومت عند قدمي العسكري بالخارج.

هرول إليها مؤمن جزعا عليها، في حين قد استبقه إمام ما أن لمح المحامي يفتح الباب، رأى ترنحها خلفه بالداخل وهي تحاول الثبات حتى تخرج.

حمل إمام رأسها لتستقر على ساقه وهو يصرخ بمؤمن أن يحضر السيارة أمام القسم
دينا العطار
بسرعة، وهرع الجميع لاسعافها وافاقتها، فجلب

المحامي كوب ماء، فأخذه منه شهاب لينثر
أريج الماضي
منه على وجهها، أما إمام فكان يمسج جبهتها تارة، وتارة أخرى يفرقع عليها بعدما يكور ويقبض اصبعيه الابهام والوسطى معا دون استجابة منها، حاول تفقد انفاسها المتلاشية، حاول ايجاد أي نبض أو أي معلم من معالم الحياة بها، رفع قدميها بمساعدة شهاب قليلا، كانت كالخرقة البالية بين يديه، لا حياة فيها.

وفي المشفى كادا مؤمن وإمام أن يشتبكا أكثر من مرة، لولا وجود شهاب الذي كان يحول بينهما في كل مرة.

دينا العطار

خرج الطبيب من غرفة الفحص، ليوضح بعملية بحته:

أريج الماضي

- لا داعي للقلق.. صدمه خفيفة.. نتيجة ضغط عصبي.. كل المطلوب الابتعاد عن الانفعال والمؤثرات السيئة.. تستطيع الخروج بمجرد انتهاء المحلول.

انصرف الطبيب تاركا خلفه مؤمن وإمام يستبقا الباب للوصول إليها، بينما يحوقل السيد شهاب من تصرفاتهما غير المنضبطة.

.....

دينا العطار

نزلت المفاجأة كالصاعقة على رأسيهما

أريج الماضي

بعدما رفضت أريج إرتداء حجابها للخروج من المشفى، واصرت على كشف شعرها. ومن كانا يتشاجران ولا يطيقان بعضهما منذ قليل، اصبحا يؤازران بعضهما البعض في محاولة لاقناعها بالعدول عما تنتويه.

ومن كانت كالوردة الذابلة منذ ساعات، علا صوتها على أخيها وزوجها في آن واحد:

- هذا القرار يخصني وحدي.. ولا شأن لكما به.. وخاصة أنت يا مؤمن

دينا العطار

جن جنونه من كلماتها، فاليد التي كانت تشد عضدها برفق اشتدت عليها حتى كادت تحطم عظامها، واليد الاخرى في غفلة منه ارتفعت حتى كادت أن تهوى على وجنتها، لولا تربص إمام له كالفهد، فاستقرت كف مؤمن بين يدي إمام في ذات اللحظة التي هدر فيها السيد شهاب بمؤمن:

أريج الماضي

- مؤمن.. هل جننت

رد مؤمن غاضبا بعدما خلص يده من إمام بقوة غاشمة كادت أن تطرح إمام للخلف عدة خطوات:

دينا العطار

- هي من جنت.. لن تخرج دون حجابها

أريج الماضي

ردت بعنف هى الأخرى لتزيد من اشتعاله:

- سأخرج

في حين قال إمام بعدما استعاد توازنه وهو ينفس حرارة بل نار من أنفهبصوت مرتفع:

- منذ الآن.. لا شأن لك بها

بسخرية لاذعة رد مؤمن:

- إذا شأن من!

زعق بهما السيد شهاب:

دينا العطار

- كفى

صرخته منعتهما من الاسترسال بالتراشق

أريج الماضي

بالكلمات، فأمرهما ان ينتظراه خارجا، حاول إمام الرفض، فنظرت له أريج بأن يفعل، خرج بعد أن نظر لمؤمن شزرا بطرف عينيه، فرمقه مؤمن باستخفاف، وظلا هكذا ينظران لبعضهما البعض في تحدي بممر المشفى حتى خرج السيد شهاب وخلفه أريج تلف حجابها حول عنقها، تركة شعرها حرا طليقا حولها، استشاط مؤمن غضبا منها ومن أبيه، أما إمام فقد اكتفى بنظرة حزينها وجهها إليها في صمت.

دينا العطار

.....

الصدفة جعلتهم يلتقوا جميعا عند بوابة فيلا

أريج الماضي

آل شهاب، أسرع حامد نحو ابنته يحتضنها في شوق ولهفة، بينما تصافح شوكت وشهاب، ثم مد شوكت يده مصافحا مؤمن ثم إمام الذي صافحه على مضض.

تركت أريج عناق والدها ببرود جم وهي تقول:

- حمدا لله على سلامتك أبي

طوقها واضعا بسراه على كتفها، وباليمنى صافح شهاب بود، وقد ابتهجت خلاياه لرؤيتها

دينا العطار

تقف على قدميها سالمة معافاة، خص أذنيها بحديثه عن والدتها:

أريج الماضي

- والدتك لم تستطع القدوم.. لم يكن هناك سوى مقعد واحد شاغرا

والابتسامة الباهته التي بالكاد نجحت في رسمها لاستقبال أباها تحولت لغصة مريرة، ولكم تمنت أمومتها حقا، لقد كانت أم رائعة فيما مضى، قبل مواجهتها الدامية مع أبيها، وتصريحه بنيته في أن يخصها بإرث أكرم كاملا، ورفضها حينذاك، وتخليها عن دورها كأم لها، ومنذ ذلك الحين وتبدل كل شئ، شئ كُسر بداخل كلتاهما ولا سبيل لإصلاحه.

دينا العطار

سؤال أبيها المستنكر أخرجها من ضجيج أفكارها:

أريج الماضي

- أين حجابك؟!

ببساطة ردت:

- خلعته

همهم قليلا قبل أن يجيبها بخيبة أمل:

- لقد خذلتيني أريج

وكانت تلك أول مرة تسمع أسمها مجردا دون تدليل.

لم تعقب لكنها أفلتت نفسها من بين يديه واستبقته لتلحق بمؤمن، دخلا معا الفيلا، وكما

دينا العطار

أرادت صعد معها لحجرتهما، اصطحبته
أريج الماضي
للحمام ثم طلبت منه الوقوف على حافة المغطس ومد يده داخل فتحة تهوية السخان، أخرج حقيبة يد، لم يرها قبلا، سألها بتوجس:

- ما هذه؟!

خرجت من الحمام دون أن ترد، لحقها، وقبل أن يعيد سؤاله قالت:

- افتحها أولا

قعدا متقابلين فوق فراشهما، فتح الحقيبة تحت أنظارها وفرغها من محتوياتها على الفراش بينهما، كانت تحوي مرآه، وقلم أحمر

شفاه، وعدة دولارات، نظر إيها باندهاش، وقبل أن يعقب قالت:

أريج الماضي

- افتح الجيب السري

وجد شريحة هاتف ممغنطة، أخذت منه الحقيبة ونظرت داخلها تفتشها بناظريها بإمعان، اشارت لثقب داخلها:

- انظر.. هناك جزء ممزق من البطانة الداخلية

اخذها منها مرة أخرى، ادخل يده يسحب القماش، وبسهولة شديدة دون مجهود، كالخرقة

دينا العطار

البالية، تمزقت البطانه في يده، تبادلا النظرات
أريج الماضي
في صمت.

بدا له أنه لن يستطع لومها يوما إذ لم تطعه وتثق به. والسؤال الذي يلح عليه الآن، هل فقدت إيمانها به، هي في عقر داره ومع ذلك لم يستطع حمايتها، حتى وهي داخل غرفتهما غير آمنه:

- عمتي؟!

وكان إقرار أكثر منه سؤال، لكنها أجابت:

- أجل.. لمحتها صدفة.. فتوجست منها خيفة.. وتملك الشك قلبي.. أخذت

رينا العطار

افتش الغرفة لوقت طويل حتى عثرت على

أريج الماضي

تلك الحقيبة.. دستها بين أغراضي.. علمت أنها تدبر لمكيدة.. فاخفيتها داخل هواية السخان كما رأيت.. خوفي مما قد تقدم عليه.. جعلني أحذر منها وأحاول وضعها في مكان لا يتوقعه أحد.

زفرت بشدة قبل أن تسأله:

- ماذا ستفعل الآن؟!

بصدق أجابها وهو يزم شفتيه:

- لا أعلم

دينا العطار

أمسك هاتفه وفتح غطائه ثم أخرج شريحته

أريج الماضي

ووضع الشريحة التي وجدها بالحقيبة ثم أعاد تشغيله، رن على هاتفه فظهر رقم أريج الذي سحبه منها، أخذ يقلب في الأرقام المسجلة، فوجد معظمها مسماة بكنيات وألقاب خارجة عن الآداب العامة، فتح التطبيقات، وليته لم يفعل، محادثات وصور وأشياء أخرى وألفاظ يندى لها الجبين، ولأول مرة ينطق بسباب لا يعلم من أين حواه قاموس مفرداته، والأدهى في حضور زوجته!.

أما هي فتجاهلت ما لفظه للتو وهي تخبره:

دينا العطار

- أما أنا فأعلم ما عليّ فعله.. لن

أريج الماضي

أمكث هنا لحظة واحدة بعد الآن

أغلق الهاتف ووضعه جانبا، يشحذ كل انتباهه لها بعدما تفوهت به، عبس قائلا:

- أعيدي ما قلته للتو

بعزم واصرار شديدين:

- لن أبقى هنا.. سوف أغادر مع أبي

خذلته مع أول مشكلة تواجههما معا، فكلبش ذراعيها بكلتا يديه وأخذ يهزها بقسوة هادرا:

دينا العطار

– أنتِ لن تتحركي قيد أنملة من المنزل.. وحجابك لن أسمح لك بالتخلي عنه .. لن اتجاوز عصيانك لي بالمشفى بعد.. فلا تتمادي

أريج الماضي

حاولت أن تفلت منه مرارا ولم تستطع، كان متشبثا بها لدرجة أنه عندما أفلتها بإرادته كانت تهتز لا إراديا كالأرجوحة.

تركها وذهب ليرى من بالباب، وجدها الخادمة التي ما أن رأت هيئته تلعثمت:

– سي.. سيدتي... تر.. تريدكما بالأسفل .. حا.. حا.. حالا

دينا العطار

صفق الباب بوجهها حتى كاد أن يهشمه، دون أن يكلف نفسه عناء الرد عليها، عاد للقابعة بالداخل تريد هجره:

أريج الماضي

- هيا.. ضعي حجابك .. لنهبط معا

كانت تتفحص احمرار ذراعيها وعلامات الألم تتجلى على معالم وجهها، تركت ما تفعل ونظرت إليه شزرا:

- أهذا كل ما تستطيعه.. الاستقواء عليّ!

وبدأت تبكي بمرارة وحرقة.

جريحة هي.. يعلم

دينا العطار

مدماة الكرامة.. يدرك ذلك

أريج الماضي

إنما ما لم يتوقعه أن ينعكس رد فعلها على نفسها.. أن تفقد إيمانها.. أن تتزعزع ثوابتها في الحياة.. هذا ما لا يجد له تفسير.

احضر حجاب أخر غير الذي تلفه حول عنقها، وضعه على رأسها جبرا رغم مقاومتها، وصوت والدته هذه المرة تزامن مع طرقها على باب حجرته، فاضطر لإفساح المجال لتدخل، فيما أمرته بالإنصراف ليتركهما بمفردهما، فرفض:

دينا العطار

- لا داعي .. كنا على وشك النزول

أريج الماضي

.. هيا بنا جميعا

نزعت أريج الحجاب وألقته أرضا بعنف، رآها وهي ترمي به، فتوعدها بشررات خرجت من عينيه مباشرة لحدقتيها التي تتحداه باصرار وصخب تلألأ بهما.

رآها أباها مرة أخرى دون حجابها وفي وجود هلال وشوكت وزهرة ويوسف الذي حضر لتوه، عاتبتها عيناه قبل لسانه حينما انفرد بها:

- أين ابنتي؟!

ردت هازئة:

دينا العطار

- توارت بالتراب

أريج الماضي

بصبر :

- لماذا؟

بكبرياء :

- أتسألني؟!

- أجل اسألك.. وأنتظر الجواب.. أين الخطأ.. بك .. أم إني لم أجيد تحصينك ضد صفعات الحياة.. فزللتي مع أول صفعة.. ثم إنك لست وحدك.. جميعنا معك ونساندك

قاطعته:

دينا العطار

- لكن الشخصان الأهم تركاني وحدي

أريج الماضي

نظر إليها بتوجس مستفهما:

- ماذا تعني بكلامك هذا؟!

عيناها تبوحان ولسانها يرفض:

- لا شئ

شتتته وأربكته بل أثارت مخاوفه، شك في المعنى الخفي خلف كلماتها، فلاحت صورة زوجته بوضوح في مخيلته وسؤال كبير يومض بعقله:

- ترى هل...؟!

دينا العطار

ولم لا فمنذ الحادث تغيرت وانغلقت على نفسها داخل شرنقة ولم تسمح لأحد باختراقها من حينها، في البداية ظن أن سبب تغيرها هو الاكتئاب الذي اصابها منذ الحادث، ومع الوقت اعتاد عليها بنسختها الجديدة واكتئابها الملازم لها رغم جهوده المضنية لإخراجها من الحالة التي تلبستها.

أريج الماضي

والآن ومع كلماتها بدأ يشك، والشك لا يتمثل سوى في زوجه المصون، وحسابها سيكون عسير إن صح تخمينه.

أنهى حديثه معها إلى حين:

دينا العطار

- لنا حديث طويل فيما بعد، أما الآن

أريج الماضي

فستعودين معي .. ولا أريد أي اعتراض

اومأت له موافقة.

في ذات الوقت كان شوكت وشهاب وزهرة معا في غرفة الأخيرة، وصوتها يملئ الغرفة وهي تقول في تحدي:

- وهل كل مصيبة تحدث في هذا الكون لي فيها يد، وما يعنيني أنا إذا ما كانت أو كانت.

فيما كان مؤمن ووالدته في غرفة المعيشة انضم إليهما يوسف الذي طالب مؤمن بتفسير

دنيا الأعطار

منطقي لما يحدث، فأوجز له مؤمن ما حدث
أريج الماضي
متغافلا عما أرته أريج إياه حتى حين.

.....

وفي غرفة الاستقبال كانت أريج تتوسط أبيها وأخيها، متجاهلة مؤمن الذي استشاط غضبا ورمقها بلوم وعتاب تجاهلته، اتخذ المقعد جوار أبيها ليكون قريب منها، فيما بدأ أبيه الترحيب بالجمع، أما زهرة فلم يهتز لها طرف، وهي توجه سهام عينيها نحو أريج، التي ارتبكت بشدة من تهديد زهرة الصريح لها، رفعت يمناها بتوتر لترجع بعض خصلات
دينا العطار
متمردة خلف أذنها، فلمحت زهرة علامة بنية

اللون تغطي أذنها بالكامل، صدمت زهرة
أريج الماضي
ورفعت يدها لا إراديا تتلمس أذنها هى الأخرى فوق حجابها، وارتعاشه خفيفة سرت بيدها وانتقلت لقلبها، ولأول مرة تلاحظ لون عينيها المشابه لحد كبير للون عين شوكت، إنجذاب هلال غير الطبيعي لها، توقيت ولادتها، وفاة وليدها، وأخيرا تلك الوحمة التي تزين أذنها مثلها تماما.

غاصت في أفكارها منعزلة تماما عما يدور حولها، تذكرت يوم ولادتها، فقدت وعيها عقب وضعها لوليدها مباشرة ولم تره، أصيبت بتسمم
دينا العطار
حمل وتعسرت الولادة، كانت تعد من الأموات،

وحين تحسنت حالتها واستعادة وعيها، كان
أريج الماضي
صغيرها يلفظ أنفاسه الأخيرة في الحضانة، لم تكتملا رئتاه ولم يصمد، لم تكحل عينيها برؤيته ولو لمرة واحدة فقط، حينها كانت من القسوة ألا تتأثر بموته؛ الذي كان فيه خلاصها، وخروجها من مأزق نسب الطفل وزواجها من حامد، فموته سهل طلاقها فيما بعد، وهكذا انتهت الأزمة بلا رجعة، وولت تلك الأيام.

لا يمكن أن تكون صدفة أن تشاركها تلك الفتاة ذات الشامة، حتى إبنتها لم ترثها منها،

دينا العطار

فلم ترثها إبنة طليقها والذي لا يربطها به أي
أريج الماضي
صلة قرابة.

والسؤال الأهم الآن هل أنجبت صبي أم فتاة؟! يا لسخرية القدر، باتت لا تعلم ماذا أنجبت، هل أخفى حامد عنها نوع مولودها وسرقه منها، لئلا يتنازعا عليه، باعتباره لأخيه أكرم!.

دخلت في دوامة شرود، استفاقت منها على زعقة مؤمن وهو ينتفض من مقعده:

- لن تذهبي معهما.. لن أسمح لكِ

انتفض إمام بدوره متحديا:

دينا العطار

- إمنعها إن استطعت

أريج الماضي

كانا متحفزين كالديوك المتصارعة، وقف يوسف ليفصل بينهما، محاولا أن يفض العراك آخذا مؤمن ليبعده في أحد الأركان، فيما اقترب شوكت من حامد يحاول اقناعه بالعدول عن قراره، في حين توجه شهاب ناحية أريج يحثها على التراجع عن ذهابها.

فجأة سكن الجميع، وكأن على رؤوسهم الطير، حين تدخلت زهرة كالعادة، فشوشت أذهانهم، حاول شوكت إزاحة يديها المتشبثة بياقة حامد، المفاجأة أربكت الجميع، فحولتهم

دينا العطار

لتماثيل من شمع، إلا شوكت حافظ على صفاء

ذهنه كعادته، فنجح في الفصل بينها وبين

حامد الذي ساعده في السيطرة على نوبة هياجها غير المبررة، كانت تصرخ بهستيريا وهي تسبه:

- صبي أم فتاة؟! ماذا أنجبت يا حقير؟! .. أريج ابنتي!.

حاول شوكت تكميم فمها دون جدوى، كانت تقاتل بشراسة وتقاومه بإصرار عجيب وقد احمرت عيناها حتى بدتا كلون الدم:

- انجبت فتاة.. وليس صبي أليس كذلك؟ أريج ابنتي أنا.. سرقت إبنتي يا حرامي

أريج الماضي

اعتلت الصدمة الوجوه، حتى شوكت كف عن محاولة السيطرة علي حركتها لثوانٍ معدودات، قبل أن يستعيد رباطة جأشه بمهارة عالية وسرعة، بدا له انها لن تصمت حتى تتسبب في فضيحة، فقيد حركتها بكلتا يديه، انتبه يوسف لما يحاول شوكت فعله فاقترب يساعده لإدخالها غرفتها، فيما كانت لا تزال تقاوم بإصرار وعزيمة، صاحت وهي تقاوم الاختناق:

دينا العطار

- اعترف يا حامد.. ليست ابنتك..

أريج الماضي

صارحني يا حامد.. أكرم برئ.. شوووك

كانت تلك أخر كلماتها قبل أن يضربها شوكت برأسه على جبهتها صارخا بها:

- اخرسي

تلاشت أخر حروف هذيانها -كما اعتقدوا- مع سيلان لعابها، ضغطت على أسنانها بشدة وتشنج جسدها، وتصلبت فجأة قبل أن تنهار أرضا مغشيا عليها، وبشق الأنفس منع يوسف ارتطامها بالأرض بقسوة نتيجة إرتدادها للخلف عدة خطوات بالكاد منع نفسه من السقوط معها

دينا العطار

تحت أعين هلال الذي حضر لتوه بعدما قضى
أريج الماضي
عدة مشاوير لأبيه، لم يكن الغرض منها سوى إبعاده عن المشهد.

وتكورت المعنية بالأمر فاقدة لأنفاسها مرة أخرى خلال ساعات قليلة، جثى حامد على ركبتيه يحاول اسعافها ضاغطا على قلبها، بينما رفع مؤمن رأسها بيد ويضرب بالأخرى على وجنتيها بخفة دون أدنى استجابة، فحملها سريعا نحو السيارة التي سبقه لها إمام وضعها في المقعد الخلفي برفق ثم إندس جوارها، فيما اتخذ حامد المقعد الأمامي جوار إمام، كان
دينا العطار

وجهها قد تحول للون الأزرق عندما وصلوا بها للمشفى.

أريج الماضي

أزمة تنفسية حادة، تطلبت وضعها على جهاز تنفس. أخذ يهمس لها طوال فترة بقاؤه في العناية جوارها:

- أنتِ إبنتي أنا.. أقسم لك... أنتِ إبنتي أنا..

أما زهرة فشخصها الطبيب بأنه "تشنج هستيري" موصيا بسرعة عرضها على طبيب نفسية وعصبية قبل تطور حالتها والتي قد

دينا العطار

تصل حد الشلل الهستيري أو العمى وربما
أريج الماضي
فقدان للذاكرة.

.....

كانت الأفكار تعصف بهم ويلفهم الشرود في دوامات متتالية لا نهاية لها، شهاب ملامحه منقبضة، وزوجته شاخصه ببصرها بعيدا في اللا شئ، شوكت متجهم عابس بشدة، يوسف مذهول، وهلال الذي حضر على اعتراف أمه الهستيري بأمومتها لأريج، كيف؟! سوف يجن حتما، والاحتمال المنطقي الوحيد أن أمه كانت تهذي، لكن ماذا لو صح ما
دينا العطار

قالت؟!، لكن كيف وأباه تقدم لخطبتها له من
أريج الماضي
حامد يوما؟!.

هذيانها لا ينتهي، هكذا تعامل الجميع مع ما تفوهت به، هذيان، كلمتان لا تنفك ترددهما ثم تغيب في هلاوسها مرة بعد مرة:

- صبي.. فتاة.. شوكت.. بنت.. شوكت

تعاملوا جميعا مع ما تنطق به، على أنهما كلمتان منفصلتان، عداه، هو الوحيد الذي تعامل على أنها جملة مفيدة، واضحة تماما، كالشمس.

دينا العطار

.....

أريج الماضي

مر يومان، استقرت خلالهما حالة أريج وخرجت من العناية لغرفة عادية، كانت لا تزال تسبح في غيبوبتها، حين تناهى إلى مسامعها صوت مألوف يناديها بإبنتي، غمرها ضباب لذيذ، فغابت معه، حينما عادت ثانية ميزت تلك المرة: "أنتِ إبنتي أنا" ، حاولت فتح عينيها، فأبى جفنيها أن يفترقا، حاولت تحريك يديها، إلا إنها كانت متحجرة الخلايا متضخمة كفيل مصنوع من العاج، حاولت فتح فمها فانفرجت شفتيها ثم عادتا وانطبقتا مرة أخرى، استجمعت كل قوتها، وبمجهود جبار حاولت

دينا العطار

فتح عينيها، كانت حدقتاها تهتزان كالبندول
أريج الماضي
أسفل جفنيها الملتصقين، على حين غرة فتحتهما، فانقشع الظلام أخيرا، أخذت ترمش عدة مرات حتى اعتادت على ضوء الغرفة، فثبتت عينيها على سقف الغرفة تنظر للفراغ، لم تستجب لهتاف أبيها الفرح بعودتها ولا لمؤمن الذي تشبث بكفها الحرة بين يديه يقبلها، ثم تركها لاستدعاء الطبيب.

.....

الواقع أم الخيال: في الواقع هي غير أكيدة من كون أريج إبنتها، أما الخيال فهيئ لها كل
دينا العطار
ما تمنته يوما ولم تحظى به، شوكت دون

زوجة أخرى وبالطبع دون أبناء، هلال وفريدة
أريج الماضي
وياللعجب كانت معهما أريج تتأبط ذراع شوكت، كم بدت أعينهما متشابة إلى حد بعيد، كانت أقرب إليه من هلال وفريدة، وحين فتحت ذراعيها تمدها نحو أريج تدعوها لعناقها، وجدت نفسها وحيدة تماما، مسحت المكان بعينيها، فوجدت ممر طويل يحوي أربع حجرات، تقدمت نحو الأولى وفتحتها، وجدت شوكت يوليها ظهره، وينظر من نافذة بمنتصف جدارها المقابل للباب، تركته وذهبت للأخرى، فتحتها فكان بها هلال وعيناه تنزفان دما، كأنه دم يحيى، كان ينظر لإنعكاس
دينا الاعطار

صورته في مرآه مكسورة تتوسط الجدار المقابل
أريج الماضي
للباب، أغلقت عليه الباب، وتوجهت للغرفة المجاورة، فرأت فريدة ترتدي ثوب زفاف رائع، لكنه مُطعم بفوارغ طلقات رصاص، كانت تبحث عن تاجها لتضعه، نظرت حولها فوجدته على طاولة تتوسط الجدار المقابل للباب، مدت يدها لتأخده، فانغرست يدها وتلطخت بالدماء، فتاج العروس مصنوع من الشوك، تقدمت نحو الغرفة الأخيرة، عبست وهي ترى طفل يحبو، بل طفلة، لا إنه صبي، لم تسطتع التمييز، وجدته أو وجدتها تحبو نحو الجدار المقابل للباب، الذي تحول بدوره إلى

حوت كبير التقمه في الحال، ثم تحول الحوت
أريج الماضي
إلى مقبرة ذات جناحين عظيمين، أخذت تطير ببطئ وتقترب منها شيئا فشئ حتى أصبحت أمامها مباشرة، فتحولت لنعش طائر، طرفت بعينيها مرة والثانية وعندما ارتد إليها طرفها في الثالثة كانت أريج أمامها وقد أختفى النعش، أغمضت عينيها مرة أخرى وعندما فتحتها اختفت هى الأخرى كأن لم تكن.

صرخة مدوية كانت دلالة صحوها وعودتها لدنيا الوعي، كان شوكت بالشرفة حين سمعها، دخل للغرفة، فوجدها تتفصد عرقا شاخصة

دينا العطار

ببصرها وتحملق في جدار الغرفة بتركيز
أريج الماضي
شديد، بنظرة متهكمة ونبرة ساخرة:

- أتحلمين بكوابيس مثل البشر الطبيعين .. تؤ تؤ.. هكذا سوف تغيرين نظرتي عنك

كلمات زوجها جعلتها عدائية مع أخيها الذي حضر على إثر صرختها:

- حمدا لله على سلامتك.. لقد أقلقتينا عليكِ

بفظاظه ردت:

- لا داعي للقلق .. أنا بخير

كادت أن تجرح يدها وهي تحاول نزع الكانيولا، فساعدها شهاب في نزعها وهو يكتم ضيقه، وتركها لتستريح.

أريج الماضي

مفاجأة اكتشافها لاحتمال وجود إبنة لها زلزلتها، والآن تحاول أن تسترد توازنها، وتلتقط أنفاسها، حتى تستطيع المواجهة واسترداد حقها المسلوب، فعدو كحامد ليس بالهين أبدا، لذا اغلقت عينيها وتمددت في فراشها في إشارة واضحة لشوكت بالصمت.

.....

- من أنا؟!

دينا العطار

كان هذا سؤال أريج لحامد، عندما استعادت وعيها بالكامل.

بيقين وثقة مع شبح ابتسامة لاحت على ثغره:

- أنتِ إبنتي.. وأي شئ غير ذلك تخاريف

ربما لن تجتمع الثلاث مرة أخرى – الصراحة ، والشجاعة، والمواجهة – لذا استغلت الفرصة ودون أن تأبه لوجود مؤمن:

- حتى وإن سمعتك بنفسي؟!

وصح حدسه، هي تعرف شئ، لذا وبكل
أريج الماضي
هدوء العالم استوضح منها:

- ماذا سمعتِ بالتحديد؟!

تحشرج صوتها قليلا وهي تنظر إلى مؤمن ثم حولت بصرها إليه قائلة بخفوت:

- سمعتها تتشاجر معك بسببي.. كانت تتحدث عن إرث.. وعم.. أو بابا أكرم..

اخفضت بصرها، لا تستطيع مواجهته وهي تنطقها لغيره، ثم أكملت:

دينا العطار

- يوم الحادث.. وخرجت أنت ..

أريج الماضي

كنت خلفك تماما.. لو استدرت لرأيتني.. فخرجت أيضا خلفك .. كنت شاردة لا أرى أمامي.. ووقع الحادث

أقصر طريق هو المباشر، واتبعه معها:

- ربما سمعتي شيئا لست متأكدا من كنهه.. لكني متأكد أنكِ فهمتي خطأ.. أنتِ إبنتي.. وإرثك سوف تحصلين عليه كاملا حسب الشرع بعد وفاتي

قاطعته بلهفة:

- اطال الله عمرك يا أبي

دينا العطار

أشار إليها بأن تصمت، ثم أكمل:

أريج الماضي

- ما دمتي تشكين في نسبكِ إليَّ.. فما قولك حينما أقول لك إنني مستعد لإجراء تحليل الحامض النووي DNA.. ولنرى نتيجة التحليل

نظرت إليه في شك وقالت:

- أنا أيضا استطيع أن أجلب لك نتيجة تحليل ينسبني لأنجلينا جولي أو ربما الأميرة ديانا إن شئت

بغضب زجرها:

- لا تنسبي نفسك لغيري.. أفهمتي

ثم ثبت نظره عليها بإصرار، وبكل قوة العالم:

أريج الماضي

- تستطعين أخذ العينات وإجراء التحليل بنفسك يا دكتورة، وفي المكان الذي تريدين، وسأرسل عينة لفرنسا إن اردت.. أما أنا فلا أحتاج لتحليل ليؤكد لي ما أنا منه أكيد.. أنتِ إبنتنا أنا وأمك

انسابت كلماته تنزع عنها الثقة التي كانت تتحدث بها، فاهتزت حدقتاها بشدة، وهاجمتها نوبة صداع، جعلتها تمسك رأسها بكلتا يديها، وفي طرفة عين كان مؤمن من جهة وأبيها من

دينا العطار

الجهة الأخرى يساعدنها على التمدد في

الفراش، ومن ثم ذهب مؤمن لاستدعاء الطبيب.

أريج الماضي

.....

وفي عتمة الليل، على نور بدر خجول اكتمل في بهاء، استغل دياب سفر أبيه، ليكمل أول عملية حفر بعد وفاة أخيه، زعق بصوته الجهوري:

- مرزوق

كجني المصباح، ظهر مرزوق من العدم ملبيا النداء:

- أوامر جنابك

دينا العطار

سأله:

أريج الماضي

- كم عامل أحضرت؟

أجابه:

- خمسة رجال.. ورجالنا عشرة

لم يكد يكمل عبارته حتى سمعا أحد العمال وهو يهرول نحوهما ويصيح لاهثا:

- ظهرت التباشير يا دياب بيه

دخل دياب المنزل حيث يعمل الرجال بجد كخلية نحل.

انتهت أعمال التنقيب، وتم نقل المساخيط

دينا العطار

-كما يسمونها- إلى المخازن بسلام، تحت

رعاية دياب وشريكه الذي حضر منذ قليل،
أريج الماضي
هاتفه دياب بعدما شارف الرجال على فتح المقبرة، وعندما انتهى دياب من تأمين المخازن، عاد وشريكه إلى مكان الحفر قبل أن يباشر الرجال ردم المكان، اطمئنا على خلو المقبرة من مقتنياتها، وفي غضون ثوان معدودات كان الرجال يطوقون الشريك ويقيدونه، أمسكه دياب من تلابيبه هادرا به:

- جاء وقت الحساب.. الدم بالدم.. والبادي أظلم

توهجت عيناه بالعنف والغل وهو يصرخ
دينا العطار
بشراسه:

- فك قيدي.. وواجهني رجلا لرجل

أريج الماضي

قهقه دياب ضاربا كفا بكف:

- ها أنا ذا أفعل.. ووجها لوجه.. لم أطعنك في ظهرك.. واتخلص منك في حادث مدبر.. واتسبب في قتل أخاك.. وكدت أموت وولده.. ولم أتخفى خلف لثام وأثير الفتنة بين العائلات، وأضرم النيران بين ثلاث منهم.. ليضيع دم أخي بينهم.. وفي الطريق لمسعاك قتلت حفيد حامد.. لماذا.. لماذا لم تواجهني وجها لوجه.. لماذا غدرت.. ألم نقتسم كل شئ

دينا العطار

مناصفة.. أم أن الرياسة تعجبك أكثر..

واليوم أيضا ان لم اسبقك لسبقتني أنت..

أريج الماضي

ففي لعبتنا تلك البقاء للأسرع.. ورغم ان الغدر والخسة من طباعك إلا انه يظل مقامك لدي كبير يا صديقي اللدود.. ودفنك سيكون ملوكي.. وعلى طريقة الملوك.

.....

في صبيحة اليوم التالي، كانت أريج أفضل حالا، وكذلك زهرة رغم الارهاق البادي عليها من كثرة تفكيرها، حتى أثناء غفوتها، لم يكف عقلها عن العمل، استدارت على جانبها الأخر

دينا العطار

لتواجه الراقد جوارها ويوليها ظهره، أيقظته:

- شوكت.. شوكت

أريج الماضي

التفت إليها مجيبا:

- ماذا تريدين

دون مواربة أخبرته:

- أريج

اضجع مسندا رأسه على الفراش خلفه:

- هه

تنفست بعمق ثم أمسكت أذنها تريه الشامة بها وهي تقول:

دينا العطار

- أنظر لتلك الوحمة بأذني.. أريج

أريج الماضي

تملك مثلها تماما.. كما أن عيناها تشبهان عيناك لحد كبير.. لذا...

صمتت قليلا تستجمع شجاعتها، وتهدأ وجيب قلبها ثم استرسلت:

- لذا يبدو إنني أنجبت فتاة.. وليس صبي.. كما يبدو أيضا أنها على قيد الحياة .. ولم يمت كما اوهمنا حامد

تقطعت انفاسها، فصمتت مرة أخرى تستمد قوتها وتغزيها من حقدها على حامد:

دينا العطار

- كانت بنت .. سرقها منا حامد

أريج الماضي

ونسبها لنفسه وزوجته.. لقد سرقنا حامد

قهقه بشدة وهو يضرب كفا بكف قائلا بعبث:

- يبدو أنك جننتي يا إمرأة.. أم تلك لعبة جديدة

شعت مقلتيها بلهيب من نار:

- أنا أتحدث جديا يا شوكت.. فكر معي.. أعلن حمل زوجته في نفس توقيت زواجي منه.. كان قد خطط وقرر وبدأ في

دينا العطار

التنفيذ.. حينما عرض عليّ الزواج.. كلما فكرت في الأمر أجده منطقيا.

أريج الماضي

اختفت السخرية من ملامحه واحتلت مكانها الجدية الشديده، وسؤال استنكاري كل ما لفظه وببطئ وتدبر:

- هل يمكنه أن يفعل؟! فعلا!.. هل فعل؟!.

استغرق في التفكر ثم بدا وكأنه يكلم نفسه:

- لو سلمنا بصحة كلامك.. هذا معناه.. إنها إبنة أخيه أكرم.. وليبرئ ذمة أخيه نسبها لنفسه.. وما الضير في ذلك!

ديانا عطار

قالت:

أريج الماضي

- لكنها.. إبنـ

قاطعها بحدة:

- إبنتكِ.. أعلم

عبست قائلة بخفوت:

- وأنت

هجم عليها يكمم فمها زاعقا بها بشراسه:

- اخرسي.. تلك فضيحة.. جريمة

حررت نفسها من قيده:

- لن اترك إبنتي لذاك الحرامي

بلهجة تقطر سما قال:

دينا العطار

- ذاك الحرامي جنبك عار كان

أريج الماضي

سيلازم سيرتك أنت وعائلتك أبد الدهر..

ظنا منه أن الجنين لأخيه.. فما بالك لو علم الحقيقة

زعقت به:

- ومن تسبب به؟!

بجدية وبرود تسائل:

- من؟

بتهديد:

- سأفضحك

بكبرياء وغرور:

دينا العطار

- افعلي.. إن استطعتِ

أريج الماضي

قام من الفراش نافضا ثوبه ينظر إليها من علو قبل أن يوليها ظهره متجها نحو الحمام.

.....

أنهى مؤمن اجراءات خروج أريج من المشفى، أحس بحرج بالغ، فلم يحضر سوى أبيه لزيارة أريج، لذا وافق على خروجها من المشفى على موعد الطائرة مباشرة، فوجودها في بيت عائلتها سوف يحسن من حالتها.

سافر مؤمن معها وما أن وصلت حتى استقبلتها عالية بلهفة وشوق مصطنع، ساعدها

دينا العطار

مؤمن حتى استقرت وتمددت في فراشها، ذهبت والدتها وعادت بالطعام، ترك أريج لأمها وخرج يبحث عن والدها، فهناك لغز كبير عليه حله.

أريج الماضي

وفي مكتب حامد، استدار حامد حول المكتب متخذا مقعده، فيما يدعو مؤمن للقعود، ثم بدأ مباشرة:

- عمتك زهرة..كانت خطيبة أخي أكرم رحمه الله.. تم العقد.. وقبل زفافهما بأيام.. على طريق البلدة.. اعترضت شاحنة نقل ثقيل سيارة أكرم.. لم يكن وحيدا بسيارته للأسف.. قبلها بدقائق تعطلت

دينا العطار

سيارة عمك يوسف.. ويبدو أن اكرم رآه..

أريج الماضي

عثرنا على سيارة عمك متعطلة على الطريق.. توفيا الاثنان في الحال –رحمهما الله– بدا الحادث مدبر لكنا ولا الشرطة توصلنا لشئ إلى الآن

ارتشف حامد رشفتين متتاليتين من الكوب جواره على سطح المكتب، ثم أكمل:

– في ذلك الوقت كان هناك شاب رفضته عمتك قبل خطبتها لأخي، وبعد وفاة أكرم جدد العرض

أجلى صوته قليلا ثم أردف:

دينا العطار

- رسميا كانوا تجار سلاح

أريج الماضي

عبس مؤمن بشدة وحاول الكلام إلا أن حامد قاطعه:

- لا تقاطعني.. استمع ولا تتعجل بالحكم

تنحنح حامد واسترسل:

- الرخصة ومعاض السلاح واجهة رسمية.. نفوذ وسلطة وشراكات مع مسئولين كبار في الخفاء.. حياتهم لا تناسبكم على الاطلاق

صمت قليلا ينتقى كلماته بعناية:

رينا العطار

- لذا تدخلت أنا وطلبت الزواج

منها.. ووافق أباك.. وتم العقد رغم الحداد وتردي حالة جديك الصحية وقتها.. واشتريت أنا ووالدك عداوة تلك العائلة.. فالرفض في عرفهم عداوة

قال مؤمن بتعجب:

- وما سبب شك أريج في نسبها؟!

وعمتي لماذا تشك في وفاة جنينها؟!

بارهاق بدا في صوته:

- لا تتعجل

اغمض عينيه يريحهما قليلا ويدلك بينهما

أريج الماضي

في لطف:

- عقدنا القران وأخذت عمتك مباشرة لبيتي.. وقتها كان عملي في بور سعيد ولا بد لي من الاستقرار هناك فترة.. أخذتها معي وزوجتي أم أولادي.. نقلت معيشتي كلها هناك تلك الفترة.. راعيت أن يكون لكل منهما بيت منفصل عن الأخرى وبعيد

بددأ يبطئ في وتيرة حديثه ويتمهل كثيرا بين كل عبارة والأخرى:

دينا العطار

- حملت عمتك.. وكانت زوجتي

أريج الماضي

حامل قبلها

صمت قليلا، ليتذكر مؤمن ويعي حمل زوجته قبل زهرة، فيما احترم مؤمن صمته، وتركه حتي يكمل وحده:

- لم نترك لزهرة المجال للحزن على أخيها ولا حتى خطيبها السابق.. كانت حزينة معظم الوقت.. وزاد الأمر سوء مع تدهور حالة والديها.. فاجأها ألم المخاض في شهرها السابع.. وأنجبت ولد.. لم يكتمل نموه.. ومات.. لم تكن حالة عمتك

دينا العطار

بأفضل حالا.. دخلت في مشاكل تسمم

حمل مع ولادة مبكرة متعسرة.. وضعته
أريج الماضي
إدارة المستشفى في المشرحة.. كنت راغبا بدفنه في أرضه.. وسط أهله مع أجداده

تنهد بحزن وأكمل:

– وصل أباك بعد وفاة الطفل مباشرة.. رآه وحمله مقبلا إياه قبل وضعه في الثلاجة.. تركت والدك مع عمتك وذهبت لزوجتي.. كانت في أيام حملها الأخيرة.. بالفعل يومين ووضعت أريج.

زفر بشدة وصمت قليلا يستعيد ذكريات دفنت منذ سنوات طويلة:

دينا العطار

- حالة عمتك لم تتحسن سريعا ولم

أريج الماضي

اتمكن من العودة للصعيد لدفن المولود.. وقتها توفت زميلتي بالعمل كانت مريضة.. ولم أكن لأفوت دفنتها وهي وحيدة والديها وتجمعني بوالدها صداقة امتدت سنوات.. تركت أباك مع عمتك.. وذهبت لاستخراج تصريح الدفن وشهادة الوفاة.. ودفنت الصغير معها.

صمت ينظم أنفاسه المضطربة ثم أردف:

- فجأة شعرت عمتك أنها زوجة ثانية.. طلبت الانفصال.. وكما تزوجنا

دينا العطار

بهدوء أيضا انفصلنا.

تنهد حامد بتعب:

أريج الماضي

- هذا كل شئ

سأله مؤمن:

- أعلم أن عمتي تزوجت قبل شوكت.. لكن لماذا لم أعرفك أو اتذكرك كزوج لها

بهدوء أجابه:

- أجل.. كنت تعيش وأخوتك في القاهرة.. الصعيد بالنسة لكم نزهة.. لم أحضر لمنزلكم في القاهرة مطلقا.. زواجنا كان في مكتب المأذون وطلقتها غيبا.

باستغراب عقب مؤمن:

أريج الماضي

- ربما .. عمتي لما تدّعي أن أريج إبنتها؟!

عبس حامد قبل أن يرد بتهديد:

- هذا السؤال تحديدا توجهه لعمتك التي سأقتص لإبنتي منها

.....

- من أكون؟

كان هذا سؤال أريج لوالدتها، التي يا يزال صدى تهديد حامد لها بأذنيها، فقالت:

دينا العطار

- لا أفهم.. ماذا تعنين؟!

نظرت أريج في عمق عينيها:

أريج الماضي

- لقد سمعتكما

بسخرية:

- ماذا سمعتي؟!

بخفوت:

- أنتِ قلتي أنني لست إبنتك

ضحكت لتربكها:

- إذا إبنة من أنتِ؟!.. هل وجدتِ لكِ أما غيري؟!

بقهر والدمع تتلألأ بعينيها:

دينا العطار

- إبنة أكرم وزهرة.. لقد استخرجت

أريج الماضي

صورة لعقد الزواج

- وأكرم لم يتزوج .. كتب الكتاب فقط.. إذا كيف سينجب

سألتها:

- ولماذا تزوج أبي زهرة إذا؟!

بعصبية:

- ولماذا لم تسأليه هو عن ذلك؟!

هذا الموضوع يعصبني

- لكني أسالك أنت

بحدة أجابتها:

دينا العطار

- مصالح

أريج الماضي

صمتت قليلا ثم اردفت:

- مصالح كان سيضمنها زواج أكرم منها.. ولما مات أكرم تزوجها هو

- ولماذا طلقها

- هي طلبت

- وأنتِ؟!

- أم الأولاد

بشجن وشرود استرسلت:

- أين أذهب بثلاث أطفال حينها..

رفعت نظرها إليها وهي تكمل: دينا العطار

- وكنت حامل بك أيضا

أريج الماضي

بشك:

- حقا؟!

ودعتها عيناها قبل ذراعيها لعناق مشتاق، دون تردد، ولأول مرة منذ سنوات عدة تستجيب في الحال، كانت كالغريق الذي يتعلق بقشة، أغمضت عينيها تستمتع بحضن والدتها، الذي حرمت نفسها منه لسنوات، وكم تمنت أن لم تسمعهما، أما الأن فهي أرادت أن تستريح، أن تصدّق، فصدّقت.

دينا العطار

استغرقا في عناقهما حتى قاطعه مؤمن، قائلا بفكاهة يمازحهما:

أريج الماضي

- البكاء لمؤمن.. والاعناق لماما

.....

عاد مؤمن للقاهرة بعدما اطمئن على أريج في منزل والديها، سمع صوت أبيه يأتي من مكتبه، دخل على عبارة والده:

- هل جننتي.. لقد رأيت إبنك بنفسي وحملته.. لا تخلطي الأمور ببعضها.. وأجيبي دون تهرب.. كيف استطعتي فعل ذلك؟!

دينا العطار

ردت بجمود:

أريج الماضي

- لم أفعل شئ.. أنت تتهمني ظلما

نظر مؤمن في عمق عينيه:

- بلى فعلتي.. وخطيبتي السابقة تشهد عليكي

انتفضت زهرة واقفة كمن لسعتها أفعى.. لم يسمح لها بمقاطعته، وأخبرهم بما نقلته له خطيبته السابقة، كان يضع يديه بجيب بنطاله ويستند بمرفقه على الجدار جوار باب المكتب، فلم يتزحزح قيد أنملة منذ دخل المكتب وأغلق عليهم الباب.

دينا العطار

اتخذت زهرة مقعدها مرة أخرى جوار
أريج الماضي
شوكت، تجاهلت زهرة كل ما قاله مؤمن وسألته بلهفة واضحة رغم ما أخبرها به أخيها:

- كيف حالها؟ أريج كيف هى اليوم؟

بفظاظه تستحقها:

- وما شأنك أنت بحالها

ثم سألها:

- هل أحضر لك ما وجدناه بالحقيبة إياها.. كيف جرؤتِ

نظر إليها كل من شهاب وشوكت بصدمة مصطنعة، سألها شهاب بحدة مستنكرا:

- ماذا فعلتي؟!

أريج الماضي

انقبضت احشاؤها ألما، وصمتت لا تلوي على شئ، ولا تجد ما تبرأ به جانبها، فقال شوكت لمؤمن نيابة عنها:

- أنا أضمن لك ألا تتمادى.. وسوف تعود معي للصعيد

بامتعاض عاندت:

- لن أعود

بتهديد:

- سوف تعودين

دينا العطار

نظرت لأخيها تطلب عونه، فنظر إليها دون أن يعقب، وقد رفع عنها غطائه.

أريج الماضي

قامت بزيارة فريدة وهلال مع شوكت قبل عودتهما لأسيوط، وقد وعدهما هلال بقضاء شهر رمضان معهما في الصعيد.

بهدوء نسبي، مرت عدة أيام استعد الجميع خلالها لاستقبال الشهر المبارك، سافر مؤمن لإعادة أريج فأبت أن تعود معه، مكث هو معها عدة أيام، وبالاخير عادت معه.

استقبلتها حماتها بفتور اعتادته منها مؤخرا، صعدت مع مؤمن ليستريحا قليلا حتى موعد

دينا العطار

الغداء، دخلت للشرفة ريثما ينتهي مؤمن من
أريج الماضي
الاغتسال، وما أن نظرت ببصرها للأسفل حتى رأت الصغيرة ابنة يوسف تلعب بالكرة حول المسبح، قفزت منها الكرة لتستقر فوق سطح الماء، مدت الطفلة يدها لتلتقطها فسقطت في الماء، أخذت درجات السلم هرولة، إلتوت قدميها عند أخر درجتين، تحاملت على نفسها واستمرت في الركض، قفزت في الماء تبحث عنها، كانت المياه غير عميقة لكن الحوض واسع وملابسها تعيقها، لمحها يوسف الذي حضر للتو وهي تركض ناحية المسبح، لحقها
مينا العطار
على مهل، وحين وصل كانت قد وجدت

صغيرته، رأها تجذبها من تحت الماء تحاول
أريج الماضي
حملها، قفز بدوره في الحال أخذها منها، انتشلها من الماء ووضعها برفق على حافة الحوض، وبقفزة واحدة كان جوارها يحاول افاقتها، اقتربت أريج تحاول مساعدته، طلبت منه الاتصال بالاسعاف وجلب غطاء سميك، فيما بدأت هى اسعاف الصغيرة، حاولت فتح مجرى التنفس، وضعت إحدى يديها على جبينها والأخرى أسفل ذقنها، ثم رفعت رأسها بحذر، حاولت التحقق من وجود نبض، وعندما لم تستشعر أي نبض بدأت باجراء التنفس
دينا العطار
الصناعي، فباشرت بالنفخ في فمها ببطئ وهي

تراقب ارتفاع صدر الطفلة بعد النفخ، أخيرا
أريج الماضي
خرج الماء من صدر الصغيرة واستعادت انفاسها.

عاد يوسف بالغطاء ليدفئها، كاد صوت لهاثه يشق عنان السماء، فيما تحلق العاملين بالمنزل ووالدته حولهما، أمرهم يوسف بعنف أن ينصرفوا لاعمالهم وهو يحمل صغيرته بين يديه، أما زوجته فكانت تحاول أخذها منه وهي ترتجف من رأسها لأخمص قدميها، لم يتركها لها بل دفعها بمرفقه في صدرها كادت تقع لولا تشبثها بذراعه بكلتا يديها وهي ترجوه أن
دينا العطار
يطمئنها عليها.

وصلت الاسعاف، فوضعها يوسف برفق
أريج الماضي
وجلس جوارها بينما اقتحمت زوجته السيارة عنوة لترافقهما.

أما أريج فبعدما جففت جسدها، أخذها مؤمن ووالدته للمشفى وحضر شهاب بعدهما بقليل، فيما بعد عاد شهاب وزوجته للمنزل، بينما ظل مؤمن وأريج مع يوسف وزوجته حتى عادوا معا، وأثناء طريق العودة شكر يوسف أريج، فكانت تلك أول مرة يخصها بحديث.

هدأ الوضع نسبيا بعد عودة زهرة مع شوكت لمنزلهما، جاء شهر رمضان وحلت السكينة
دينا العطار
على الأنفس، ومر الشهر بسلام أو كاد أن

يمر لولا أن زلت فريدة أثناء زيارتها لهلال
أريج الماضي
وأخبرته عن نية إمام بشراء قطعة أرض لبناء مركز العلاج الطبيعي الخاص به، وبسذاجة منقطعة النظير أعملته عن موعد كتابة العقود.

وبالفعل سحب إمام المبلغ من المصرف يوم الاحد وأحضره للمنزل نظرا لإغلاق المصارف وبداية عطلة العيد بداية من مساء الاثنين المتمم لشهر رمضان وحتى يوم السبت من الاسبوع التالي.

ذهب هلال لزيارة أخته عصر الاثنين، رحبت به وأدخلته وهي تشاكسه:

دينا العطار

-أي ريح طيبة جاءت بك إلى هنا؟!

أريج الماضي

أجابها بود:

-كنت في البنك القريب من هنا.. وجئت لزيارتك.. كل عام وانتِ بخير

أجابته:

-وأنت بكل خير.. هل أنهيت عملك في البنك؟

-لا.. لقد علقت في الزحام وتأخرت.. الطريق يوم الوقفة لا يصلح لانجاز شئ

وافقته مؤكدة:

-أجل

دينا العطار

سألها:

أريج الماضي

-ما رأيك نسافر معا بعد الافطار؟

قالت:

-لن استطيع.. سوف اسافر مع إمام بالسيارة بعدما يعود من عند المحامي.

-إمام هذا له منطق خاص به وحده.. لماذا لا يؤجل العقود لبعد انقضاء الاجازة.. على كل حال لن يستطيع تسجيلها سوى يوم الأحد الاسبوع القادم.

أجابته:

دينا العطار

-مالك الأرض يريد المال الليلة.. حتى أن إمام حول المبلغ لدولارات لأجله كخدمة قبل العطلة

أريج الماضي

أجابها بسخرية:

-مممم طيب هذا الإمام

قالت باستياء:

-هلال.. أرجوك.. لا تسخر منه .. إنه زوجي

رد ببوادر غضب:

-أرجو ألا يأتي الوقت الذي تقولين فيه أنه زوجي ووالد ابني

دينا العطار

وكالناصح الأمين أردف:

أريج الماضي

-على الأقل ليس الآن.. حتى تستقر حياتكما معا.

حديثه أثار مخاوفها ونبهها إلى ما لم تضعه في حسبانها، مجرد الفكرة اصابتها بالغثيان، فهرعت نحو الحمام لتفرغ عصارة جوفها الفارغ، وتستمر في محاولتها للقئ فترة طويلة.

شردت امام المرآه لدقائق حتى جاءتها طرقات أخيها على الباب لتخرجها من ضجيج أفكاره، هندمت ملابسها وجففت وجهها ثم

دينا العطار

خرجت إليه، سألها بلهفة حقيقة فقد طال
أريج الماضي
مكوثها لأكثر من ثلث الساعة داخل الحمام:

-ما بك؟ هل استدعي طبيب؟

قالت باجهاد:

-لا داعي للقلق .. أنا بخير.. أنت تعرف معدتي عصبية كصاحبتها.

علق متهكما:

-وحديث لم يعجب صاحبتها

دافعت:

-ليس كذلك .. لكن.....

دينا العطار

قاطعها:

-تعالي معي لترتاحي بغرفتك ريثما اجلب

أريج الماضي

لك مضاد للقئ ومسكن من الصيدلية

حاولت الاعتراض لكنه أصر على جلب الدواء لها لتتناوله بعد الافطار حتى لا تشتد عليها معدتها أثناء السفر.

اصطحبها حتى غرفتها ودثرها جيدا في فراشها ثم سألها قبل يتركها ليجلب الدواء:

-هل مفاتيح الشقة معلقة عند الباب أم بحقيبتك

أجابته بضعف:

-عند الباب

دينا العطار

قبل جبينها سريعا ثم خرج من غرفتها، التقط غنيمته من جوار الباب منتشيا، إذن فلأمه ما أرادت، ففي اعتى أحلامه حتى لم يتوقع أن يتم مهمته بهذه السهولة ويحالفه الحظ هكذا، وكأن القدر يشجعه ويمهد له الطريق رضا بما يصنع.

أريج الماضي

عاد بعد قليل ومعه الأدوية، اخذتها منه شاكرة، فسألها:

-هل أظل معك حتى يعود إمام؟

أجابته بإرهاق:

دينا العطار

-لا داعي.. لقد تحسنت .. فقط طمني عليك

أريج الماضي

أنت وأهلة عندما تصلا.. لماذا لم تسافرا في النهار؟

-تأخرت في حجز التذاكر.. وبشق الأنفس وجدت تذكرتين في هذا الوقت

تنهدت مستنكرة:

-أنت دائما متأخر هكذا

وكأن القدر يسخر منه بتلك العبارة البسيطة البريئة والتي سوف يفهم معناها فيما بعد.

.....

دينا العطار

عاد إمام ليجدها تغط في نوم عميق أثار
أريج الماضي
دهشته، لقد اصبحت تنام لأوقات طويلة في الأونة الاخيرة، استيقظت على صوت ضجة عند خزانة الملابس، فتحت عينيها لتجده يبحث عن شئ ما بجنون، ازاح الملابس بعنف لتستقر تحت قدميه، افرغ الخزانة بالكامل والقي ما بها أرضا، فسألته بدهشة :

-ماذا تفعل عندك

لم يلتفت لها، ويداه لا تكف عن البحث بيو زوايا الخزانة الخزانة وهو يسألها:

دينا العطار

-هل نقلتي حقيبة الأموال من هنا.. كنت أضعها هنا.. ولا أجدها

أريج الماضي

على الفور ومض عقلها بصورة أخيها هلال، فجحظت عيناها ووضعت كلتا يديها على فمها، هاجمها الغثيان بشدة، فهرولت نحو الحمام تشعر بمعدتها سوف تقتلع من موضعها، بعد قليل تمالكت نفسها، وردت على القابع بالخارج يناديها بقلق:

-أنا بخير.. سأخرج حالا

انحنت تغسل وجهها ثم استقامت تنظر للمرآه وهي ترى قطرات المياه تتساقط على

دينا العطار

وجهها حدثتها نفسها" ألهذه الدرجة هنت عليك
أريج الماضي
يا هلال" مر بخيالها طيف من ذكرياتهما معا منذ طفولتهما ترآى لها كيف كان يدللها ويحميها، لقد كان مصدر حمايتها وأمانها، والآن بات مصدر فزعها وشقاؤها وحرمانها، وانتهى به الأمر بالقتل والسرقة، نحت كل أفكارها جانبا وتساءلت، ماذا ستفعلما إمام، وبم ستجيبه عن اختفاء المال، هل تظهر أخيها بمظهر اللص أمام إمام وعائلته أم تتكتم الأمر، آه كم تتمنى لو اكتشفت اختفاء الأموال قبل إمام، على الأقل كانت ستحاول ارجاعها أو تخبر والدها ليتصرف معه، لكن سبق
منا العطار

السيف العزل. لقد أضاع هلال كبرياؤها
أريج الماضي
وسمعة العائلة كذلك، لقد وصمهم بالعار، وعند تلك الخاطرة تحديدا انتفضت وهي تهز رأسها ترفض تلك الحقيقة وتكابر، لا لن تحني هامتها أبدا، لكن كيف؟!

شتتها وقطع أفكارها عودة إمام للنقر على الباب وسؤالها عن حالها، خرجت فتقدم منها يمسك يديها بقلق ومراعاه ضربتها في مقتل، وقبل ان يسألها عما بها، أذن المؤذن ليعلن عن حلول العيد وانتهاء الشهر الفضيل.

دينا العطار

أراحهاعلى الفراش وذهب لاحضار بعض التمر وكوبين من العصير، ناولها كوبها بابتسامة:

أريج الماضي

-كل عام وانت بخير معي

تركها ترتشف قليلا من مشروبها ثم سألها يطمئن عليها:

-كيف حالك الآن

أجابته بفتور:

-بخير

عاود سؤالها مرة أخرى عن الحقيبة:

-أين وضعتي الحقيبة

دينا العطار

لن تجعله ينال من أخيها مهما كان الثمن،

أريج الماضي

ولتتحمل هي عواقب فعلته صامته كما تحملتها سابقا، لكنها لن تسمح بالنيل من عائلتها مهما كلفها الأمر، لذا ردت ببرود:

-تبرعت بها

بصدمة:

-ماذا؟!

-أولست زوجي.. وأموالك هى أموالي.. ونحن في شهر الخير.. وفعلته عنا

دينا العطار

في هذه اللحظة بالتحديد، لم يكن سوى اللون الأحمر يزين خلفية عقله، هجم عليها يكبلها من عضديها يهزها بعنف:

أريج الماضي

-انطقي.. أين أموالي؟

ببرود جم قالت تستفزه:

-تؤ.. تؤ..تؤ.. لم أعهدك بخيلا يا إمام.. ماذا تعني بعض الأموال لمن هو مثلك ومثلي.. أنا أكيده أنك لن تبخل بها على بعض المحتاجين

كاد يجن من فرط انفعاله ولامبالاتها، ولأول مرة يفقد صبره عليها، وبكل الغل الذي يحمله

دينا العطار

لعائلتها ولها الآن، رفع كفه ليهوي بها على
أريج الماضي
وجنتيها، جعلها تشعر بصفير في أذنيها حتى ظنت أنها فقدت السمع، قاومت صوت الطنين المتعالي وقابلت هجومه عليها بشراسة وهي تدفعه عنها بعنف وقد طفح بها الكيل مما يحدث لها.

باغتته دفعتها فارتد خطوة للخلف مكنتها من الوقوف على قدميها، حركتها المفاجئة مع شدة الصفعة التي تلقتها منه جعلتا الغرفة تميد بها ودوار شديد يكتنفها، حاولت تجاهله إلا أنه تمكن منها فتهاوت أرضا وتكومت تحت
دينا العطار
قدميه.

نظر إليها بعجز وقلة حيلة، واغمض عينيه بإشمئزاز، لقد ظنها مختلفة عنهم، مظلومة وليست على شاكلتهم، وعاملها على هذا الأساس، لكن يبدو أن الأصل غلاب، ويسيطر في الأخير، فأحذر الجميلة في منبت الدمن.

أريج الماضي

يراها الآن النسخة المصغرة عن أمها وجبروتها، وقد آن الأوان ليتجرع جرعته، ويأخذ نصيبه من هذا الجبروت. تركها في اغماءتها، لم يحاول افاقتها، وظل يبعثر كل ما يقع في طريقه وهو يبحث عن الحقيبة في كل الأماكن التى من الممكن أن تكون أخفتها

دينا العطار

فيها دون جدوى حتى تأكد له أن الأموال ليست
أريج الماضي
بالمنزل، فترك المنزل صافقا الباب خلفه بعنف شديد اهتزت له الجدران.

ظل يجوب الشوارع وقد أخذت زخرفها وتزينت لاستقبال العيد، امتلئت الشوارع عن أخرها بالناس، كانت السعادة تملأ الوجوه احتفالا بالعيد، أما هو فكانت النيران تأكل جوفه، لقد خانته وهو من أحسن إليها، خذلته وقد راهن عليها، ويبقى السؤال الأهم لماذا؟

أيمكن أن يكون لهلال يد بالأمر؟!

هل هو من حرضها؟!

دينا العطار

حتما سوف يجن، ومض هاتفه بإسم
أريج الماضي
المحامي، ماذا يفعل، وبم يبرر لصاحب الأرض الذي ينتظر، وكيف يدبر الأمر؟!

أخلف موعده مع المحامي، بعدما حاول تدبير أي مبلغ يمكنه من كتابة العقد بلا جدوى، فقد دخلت البلاد في عطلة العيد والتي سوف تستمر خمسة أيام متواصلة، فنهاية أيام العيد سوف تتزامن مع عطلة نهاية الأسبوع، ولا أحد من معارفه يحتفظ بهكذا مبلغ أو جزء منه بمنزله.

عاد للمنزل بعدما انتصف الليل فلم يجدها،
دينا العطار
لقد رحلت، رحلت بعدما حطمت ثقته بها قبل

حتى أن تبنيها، فجأة تذكر كاميرا المراقبة
أريج الماضي
المثبته بسرية داخل أحد تجاويف دواية اللمبة الموضوعة أمام الباب من الخارج.

اتجه سريعا لجهاز الDVR ليسترجع أخر عدة ساعات حتى وصل لوقت دخول هلال ثم خروجه بعد فترة حاملا حقيبته، إذا لقد غدرت به وتآمرت مع أخيها ضده، وأخذا أمواله، وبعدما أتمت مهمتهما بنجاح تركت المنزل، تركته وحيدا، يرثي حاله وسذاجته، استغلت الفرصة التي سنحت لها وما أن أدار لها ظهره طعنته لتثأر وتقتص ممن لا ذنب له مثلها
دينا العطار
تماما.

لم يكد ينهي استبدال ملابسه بأخرى بيتيه

أريج الماضي

مريحة حتى ارتفع رنين جرس الباب، ليتفاجئ بلفيف من قوات الشرطة يقتحم الشقة، ويعيث الجنود بكل ما يعيق تقدمهم فسادًا، تدارك نفسه سريعا ونفض عنه توتر المفاجأة، سأل الضابط المسئول عما يحدث، في نفس الوقت الذي خرج به أحد الجنود قائلا:

-لم أجد شئ يا فندم

أمره الضابط

-فتشه

دينا العطار

ازدرد العسكري لعابه وابتلع توتره وهو يخرج
أريج الماضي
في غفلة عن الجميع لفافة كانت بحوزتها وأخذ يفتش إمام، وضعها في جيب بنطاله بخفة ومهارة وأخرج يده ثم عاود تفتيشه مرة أخرى صعودا وهبوطا واستخرجها أمام الضابط صائحا:

-وجدت هذه يا باشا

تقدم الضابط ناحية إمام وهو يتناول اللفافة من يد العسكري يتفحصها في ذات الوقت الذي خرج باقي العساكر ولم يجدوا شئ عدا اثنين كانا لا يزالان بغرفة النوم يبحثا فيها بجد عن
دينا العطار
أي شئ قد يرضي الباشا رئيسهما عنهما، دخل

عليهما الضابط فوجدهما منهمكان في تفتيش
أريج الماضي
الخزانة وقلب الفراش وشق المخدات والمرتبة وتحطيم كل ما تطاله أيديهما.

لم يسفر كل هذا الانتهاك عن شئ حتى وقع نظره على المشجب القائم بأحد الزوايا والذي لم تطاله يد العبث بعد، فأخذ يتبادل النظر للفافة بيده مرة وبين الملابس المعلقة أخرى ثم تقدم نحو المشجب بنفسه، مد يده نحو الملابس المعلقة وأخذ يفحصها ويرمي ما ينتهي منه تحت قدميه، حتى وصل لأخر قطعة، لم تكن ظاهرة من خلف الملابس
دينا العطار
الأخرى، كان عبارة عن بنطلون فضفاض،

متعدد الجيوب من النوع كارجو، لاحظ ثقل
أريج الماضي
البنطال وهو يحمله، أدخل يده بأحد الجيوب فأخرج رزمة من الدولارات، وأخرج من جيب أخر كيس بلاستيكي يحوي الكثير والكثير من الأقراص المخدرة والمحظور تداولها، وأخرج من جيب ثالث لفافة أكبر بكثير من التي وجدها العسكري.

ألقى نظرة انتصار نحو إمام الذي يراقب الوضع بذهول تام، وقد ألجمته المفاجأة وفقد أي قدرة لديه على النطق وقد قفزت صورة أريج في مخيلته وقد عايشت نفس المشهد وبنفس
دينا العطار
الأسلوب.

مظهر إمام وهو يغادر مع الشرطة جعل
أريج الماضي
حارس العقار يسارع في مهاتفة السيد حامد ليخبره، عساه يستطيع نجدة ولده سريعا.

ومؤمن هو الأقرب والأسرع، ولم يخيب ظنه، فعندما أخبره هرع سريعا لمركز الشرطة ومعه المحامي ليستطلع الأمر، وقد كان، وقبل أن يصل علم من مؤمن أن إمام حُجز على ذمة قضايا إتجار بالمخدرات وحيازة دولارات مزيفة، ولا مجال لإخراجه بسهولة في مثل تلك القضايا، سيظل قابع في الحجز الاحتياطي حتى يعرض على النيابة بعد العطلة، وكاد
دينا العطار
يجن فابنه سيظل بمحبسه ما يقارب الاسبوع.

وما أن استطاع رؤيته حتى غمره واحتضنه بشدة، لازمه طويلا وظل يربت على ظهره ليشد من أزره ويقويه:

أريج الماضي

-لا تحزن.. نحن معك

كانت تلك كلمات أخيه الذي أخذ دوره في احتضانه وهو يشد على عضده بقوة وصلابه.

في تلك الأثناء كانت فريدة قد وصلت لمحطة أسيوط، وجدت سائق أبيها في انتظارها بالخارج، استقلت السيارة معه، وبعد قليل كانت بين أحضان وقبلات أمها، وما أن استقرت بين ساعدي أبيها مقبلا جبينها حتى دخل هلال

دينا العطار

وأهلة، ليأخذا نصيبهما من قبلات واعناق زهرة

أريج الماضي

وشوكت، أما فريدة فبمجرد ما أن لمحت هلال حتى انسحبت نحو غرفتها بعد أن رحبت بأهلة، فهي لا ذنب لها.

لحظات وكان هلال يسأل فريدة بعدم لحق بها في غرفتها:

-كيف اتيتِ.. ولماذا لم تصافحيني.. هل اغضبتك في شئ؟!

وقفت أمامه تجابهه:

-يالبجاحتك !

ادعى الغضب:

دينا العطار

-فريدة إلزمي حدك.. ماذا هناك؟!

أريج الماضي

سألته مباشرة:

-أين الحقيبة

بجهل زائف:

-عن أي حقيبة تتحدثين.. هل تريدين حقيبة ملابسك من الأسفل؟

صرخت به:

-هلال .. لا تتظاهر بالجهل

ظل على موقفه:

-حقا لا أفهمك.. عن أي شئ تتحدثين

دينا العطار

بنفاد صبر اوضحت:

-حقيبة الأموال التي أخذتها من دولاب إمام

أريج الماضي

احتد عليها:

-لا اسمح لكي... هل تتهميني بالسرقة

-أنا لا اتهمك.. انا أكيدة

-شكرا لك يا ابنة أبي وأمي

بغيظ:

-هلال لا تدعي البراءة.. خاصة أمامي..

أعلم أنك أخذت الحقيبة

حاول استفزازها أكثر:

-وهل أنا بحاجة لأموال هذا النكرة

دينا العطار

بعفوية وصدق قالت:

-إمام ليس نكرة .. إمام طيب.. محترم..

أريج الماضي

وعلى خلق ودين

لوى شفتيه بتهكم كالنساء وسألها:

-ولماذا أأخذ أنا أموال هذا الخلوق؟!

وإذا لم تستطع أن تأخذ حق إمام منه أموالا، فسوف تقتص له شماته، وبالفعل نالت منه حين قالت:

-انت تعلم لماذا.. لكن على ما يبدو أنكم تأخرت قليلا

عبس:

-ماذا تقصدين؟!

دينا العطار

نظرت إليه بتشفي:

أريج الماضي

-لا أقصد شئ يا خالو

وكان لها ما ارادت، وبالفعل نالت منه، تحول العبوس لاتساع في العينين، وارتفاع في الحاجبين ذهولا، وما لبث حتى فطن للعبتها فقال يكذبها:

-انت تكذبين.. فقط تريدين إثارة غيظي

ثم صمت قليلا يسترجع حالة الغثيان والدوار الذي انتابها قبل عدة ساعات مضت، نظر إليها مصدوما، فلم يناله منها سوى ابتسامة باهته شامته، لا تخلو من بعض

دينا العطار

سخريته التي رمقها بها منذ قليل، وقد رُدت إليه في حينها.

أريج الماضي

تركها وخرج كالاعصار تاركا المنزل بأكمله غير قادر على مواجهة أحد، أو الاعتراف حتى لنفسه انه بالفعل قد فات الأوان، ففي عرف هلال كل الحلول متاحه حتى لو كان الاجهاض احدهما، ولو بالإكراه.

مرت أيام العطلة كالجحيم على البعض، وكالنعيم على البعض الأخر، فبالرغم من كلماتها المسمومة عن حملها، إلا أنها لم تنل منه، ولم تستطع تعكير صفو مزاجه، فعقله

دينا العطار

الملتو جاهز دائما بأحط وأقذر الحلول كصاحبها.

أريج الماضي

وقرر هو وأمه المداهنة قليلا، حتى يأتي الخبر اليقين عن مصير إمام، حيث ينتظران على احر من الجمر حجز القضية للمحاكمة بعد انقضاء تحقيقات النيابة معه، بعدما انتشر خبر حجزه أربعة أيام على ذمة التحقيقات، وها هو اليوم الرابع يكاد أن ينقضي وهى تبتهل أن تحجز القضية للمحاكمة مباشرة، فالمتهم قبض عليه في حالة تلبس ببعض المخدرات في جيب بنطاله، وبالكثير منها في جيوب بنطال أخر، ناهيك عن الأموال الزائفة التي اصر

دينا العطار

ولدها على وضعها وقد كلفتها الكثير، على
أريج الماضي
كل حال كل تلك التكلفة تحملها هو بالأخير، فأمواله غطت جميع المصروفات وزيادة ، وهذا جعلها تصرف ببزخ على كل معاونيها ومخبريها.

بعد انتهاء النيابة من مناظرة المتهم، لبسه، وشكله، وسنه، حضر الضابط أمام النيابة لسؤاله، وحين أخذ المحامي دوره سأله:

-من أين استخرجت قطعة مخدر الحشيش؟

أجاب الضابط:

-من الجيب

دينا العطار

-أيهما؟

أريج الماضي

-اليمين

-هل أنت متأكد؟

أجابه الضابط بثقة:

-بلى

فسأل وكيل النيابة المحامي:

-ماذا هناك يا أستاذ؟

أجابه المحامي بسؤال:

-هل ناظرت المتهم سيادتك؟

-نعم

دينا العطار

فسأله المحامي:

أريج الماضي

-هل وجدت جيب واحد أم اثنين في البنطال؟

ارتاب وكيل النيابة فسأله بشك:

-ماذا تقصد؟!

أجاب المحامي بثقة:

-لأنني عندما ناظرت المتهم لم أجد أي جيوب في بنطاله.. وسيادة الضابط يقول أنه استخرج اللفافة من جيبه اليمين.

برقت عينا وكيل النيابة وهو يقول للضابط بتأنيب يأمره:

دينا العطار

-رد على الاستاذ

أريج الماضي

صمت الضابط، فسأله المحامي:

-من حرز المضبوطات؟

أجاب الضابط:

-أنا

أكد وكيل النيابة على السؤال مرة أخري:

-متأكد؟

-نعم

قال المحامي:

-هلا قمت بعد المضبوطات أمامي

دينا العطار

قال وكيل النيابة وهو يناظره بخيبة ويشير

أريج الماضي

للمحامي بالصمت:

-النقود ناقصة مئتي دولار، والأقراص ناقصة خمسون قرص، وهو ما يغاير ما تم ضبطه واثباته في محضر الضبط.

لذا قرر وكيل النيابة اخلاء سبيل المتهم نظرا لعدم جدية التحريات وثبوت تناقض محضر التحريات بما هو مثبت في محضر الضبط.

وما أن خرج من مكتب وكيل النيابة حتى تلقفته أحضان أخته:

دينا العطار

-حمدا لله على سلامتك

أريج الماضي

فك حامد يد أريج عنه وهو يقول:

-اتركيه لي قليلا

عانقه والده ثم أخاه وصافحه مؤمن والمحامي وشهاب الذي قال:

-حمدا لله على سلامتك .. أزمة ومرت بسلام

رد إمام:

-الحمد لله.. شكرا

ومن الخلف جاء صوت تأخر كثيرا في الانضمام لهم، نظر إليه إمام ولم يرد عليه،

دينا العطار

لكنه مد كفه ليصافح يد شوكت الممدوده له،

أريج الماضي

فابتسم شوكت ممازحا:

-طالت غيبتك

قال إمام:

-أرجو ان تكون ابنتك قد ارتاحت بعدما فعلته هي وأخيها.. لم يكفيهما سرقتهما لأموالي.. بل استخدماها لأذيتي، ولولا أنها زوجتي ونحن لا نزج بنساؤنا وسيرتهم في المحاكم.. لكان لي تصرف أخر

دينا العطار

ذُهش شوكت من موقف إمام وكلامه، فما دخل فريده في الأمر، يمكن أن يشك بهلال، لكن فريده، هذا ما يرفضه:

أريج الماضي

-وما دخل فريده في الأمر

أيقن إمام أنها لم تخبر أحد بما حدث، فقال:

-يمكنك سؤالها بنفسك.. بالمناسبة طالما لا دخل لها بما حدث.. لماذا لم تأت لزيارتي أو معك الآن!.

ضيق شوكت بين عينيه وقد ارتاب في الأمر:

-ماذا تقصد يا إمام..

دينا العطار

ثم أكمل كاذبا:

-فريدة مريضة.. وأنا من منعتها من السفر معي

-ليس الآن.. المكان غير مناسب.. هيا بنا

وأشار بكلتا يديه ليخرج الجميع بعدما صافح شوكت كل الموجودين، وانتهى بأريج وأطال مصافحته ونظره لها حتى كاد مؤمن من ينفجر غيظا وغيرة، خاصة بعد تلك النظرة التي خصها بها، ما بال هذا الرجل وابنه!.

في مكتب أبيها كانت تقعد أمامه مطأطأة

أريج الماضي

الرأس بعدما انتهت من سرد ما حدث، أما عنه هو شوكت فقد احتبست الدماء في وجهه حتى صار كالجمر الملتهب رغم حديثه الهادئ إليها:

-لماذا لم تخبريني؟!

-ماذا أقول

-ما قلته للتو.. أن أخاكي لص.. سرق أموال زوجك.. واستخدمها لسجنه

بإرهاق جلي:

دينا العطار

-وماذا بعد.. أفضح أخي بنفسي.. وأحط من هامتك أمامهم.. ما حدث قد حدث.. وكان على أن أعلمه أن الأموال لن تعود.. لذا خطرت لي فكرة التبرع.

أريج الماضي

برفق قال شوكت يلومها مراعيا حالة الإعياء الواضحه أمامه:

-اخطأت يا فريدة.. كان عليك الرجوع إليّ منذ البداية.. على كل حال جهزي نفسك للرجوع لبيتك غدا.. واتركي لي الأمر

قالت باستياء ورفض:

-لا .. لن أعود

دينا العطار

اشتدت نبرته قليلا:

أريج الماضي

-لا تجادليني.. وافعلي ما أقوله لكِ دون نقاش

-لكن

قاطعها:

-بدون لكن .. هل لديك شك أني لا أعمل لصالحك

ردت بخفوت:

-لا

سألها مجددا:

دينا العطار

-هل تثقين في قراراتي

-كثيرا

أريج الماضي

سألها مرة أخرى:

-هل نظرتي لمرآتك مؤخرا

فاجئها بملاحظته فنظرت إليه بصدمة، وراوغها وهو يبتسم:

-تبدين حزينة.. باهتة.. أنتِ تفتقدين زوجك.. لقد اعتدتِ عليه

نظرت إليه بشك، ليس هذا ما كان يعنيه، لكن والدها هذا يحيرها كثيرا، بل يخيفها، إنه بئر لا قرار له.

تنهد مفكرا ثم قال:

دينا العطار

-سوف أجلب لم الاموال.. لتعيديها

أريج الماضي

لزوجك.. لأنك أخذتيها دون إذنه

ردت باعتراض:

-لن أعود.

حين ساءت الأوضاع من فريدة، تحسنت قليلا مع أريج، فبات يوسف يلقي عليها التحية حين يراها، وكذلك زوجته، وتبقى حماتها متذبذة فتارة تشعر بتقبلها وحبها، وتارة أخرى تصبح أشد كرها لها، ولدهشتها هي تعذرها، فالغائب قد طال غيابه، وقد انقطعت أخباره منذ غادر هاربا منها.

دينا العطار

وها هي سافرت مع إمام منذ وقت الإفراج عنه، وسيأتي مؤمن لاصطحابها في نهاية الأسبوع، لذا عليها استغلال وقتها وتنفيذ ما عزمت عليه قبل مغادرتها، ولم تتوقع أن تسنح لها الفرصة وتأتيها بهذه السرعة فها هي والسيدة عالية وجها لوجه وبمفرديهما، لذا كان السؤال المباغت من أريج:

أريج الماضي

-من أمي؟

وتقطع صوتها وهي تكمل برجاء:

-اريحيني

وتهدج أكثر مع همستها:

دينا العطار

-أرجوكِ

أريج الماضي

والمفاجأة أربكتها لكن اراحتها فردت:

-زهرة

وبمعاناة أكبر سألت بإصرار:

-وأبي؟

زمت شفتيها قليلا تفكر قبل أن تتخذ قرارها وتجيبها:

-أكرم

تناثرت قطرات دموعها وهي تخفض رأسها انكسارا ثم غادرت. كانت كالطفل الذي تعلم لتوه كيف يخطو أولى خطواته، تعثرت كثيرا

هنا العطاء

في كل ما قابلها في طريقها لغرفتها، وبشق الأنفس استطاعت الولوج لغرفتها فانهارت ارضا تنتحب بصمت.

أريج الماضي

.....

حاولت زهرة تقصي أخبار أريج، فعلمت بوجودها في بيت حامد، فأرسلت من يراقب المنزل، ولم تمكث كثيرا حتى أتاها خبر خروجها قاصدة أحد الأسواق، وحين وصلت زهرة كانت أريج قد شارفت على الانتهاء من جلب هدية تريد تقديمها لمؤمن في عيد مولده.

دينا العطار

تعمدت زهرة الاصطدام بها عند خروجها
أريج الماضي
من المتجر، وقعت حقيبة أريج أرضا، فانحنت تلتقطها، وعندما استقامت وجدت نفسها وجها لوجه مع زهرة، والتي كانت تبتسم لها باشتياق أثار ريبة أريج.

كانت زهرة أول من تحدثت:

-كيف حالك أريج؟

لم ترد عليها وهمت أن تتحرك لولا امسكتها زهرة من كتفها تمنعها

-انتظري أريد الحديث معك

بنفور شديد ردت أريج:
دينا العطار

-لا حديث بيننا

باصرار:

-لا .. يوجد حديث بيننا.. وحديث طويل.. طويل جدا.. وغاية في الأهمية

-يمكن أن يكون كذلك بالنسبة للكِ.. أما أنا فلا

بالفعل تركتها أريج واستدارت لتغادر حين تناهى لمسامعها:

-حتى لو قلت لكِ أن حامد ليس أباكي

تسمرت مكانها للحظات قبل أن تستدير لتقابلها مرة أخرى وبهدوء شديد وترو سألت متعجبة:

أريج الماضي

-ماذا؟!

بابتسامة طفيفة، وقد لاحظت عدم مفاجأتها أو تكذيبها:

-مثلما سمعتِ لتوك.. ويبدو أيضا أنك تعلمين.. لذا تعالي معي.. ولن تندمي.. فلن يجيبك سواي.

دينا العطار

بالفعل استطاعت جذب فضولها لتذهب معها، وحين استقرتا على مقعديهما في أحد المطاعم، بدأت زهرة حديثها:

أريج الماضي

-كما يبدو أنك تعلمين أني تزوجت حامد لفترة.. ثم انفصلنا.. وبعدها تزوجت شوكت

بانزعاج وضيق شديد قالت أريج:

-أين الجديد

بصبر ليس من شيمتها قالت:

-هل تعلمين قبل زواجي من حامد.. أني كنت زوجة أكرم أخيه

دينا العطار

أكملت أريج لها:

أريج الماضي

-وأني ابنتيكما أنتِ وأكرم.. أهذا كل ما لديكِ؟!

لا يهمها سوى أن تعلم بأمومتها هى لها، ما دون ذلك لا يهم الآن.

قاطعت أريج محاولة زهرة لترتيب أفكارها حين قالت:

-كل هذا مسرحية هزلية لا تعني لي شئ.. يبدو أنك تحاولين استخدام زواجك من عمي أكرم في لعبتك معي.. وهذا ما لن أسمح لكِ به

دينا العطار

ردت زهرة:

أريج الماضي

-إذا أنت لا تصدقين ما أقول

بتسلية ظهرت بعينيها قالت:

-لا

سألتها زهرة بتحفز:

-لا ماذا.. تصدقين أم لا

-لا.. لا أصدق

-وما الذي جاء بكِ معي

بهدوء استفزازي:

-لأسمعك

دينا العطار

-لماذا

-لأنكِ طلبتي

-ولماذا وافقتي على طلبي

-لأسمع ما لديكِ.. وما تحاولين التخطيط له

-إذا أنتِ لا تصدقين.. وماذا لو أثبت لكِ

-كيف؟!

-تحليل اثبات النسب

قهقهت أريج بصوت مكتوم، وعندما استدركت نفسها، وجدت زهرة تنظر إليها بغضب، لكنها تجاهلته وهي تقول:

-لن أريحك.. ولن يحدث.. فلتظلي تتلظي بشكك.. فهذا يمتعني كثيرا

أريج الماضي

تركتها وانصرفت، ولم تتح لها أي فرصة لحديث أخر.

كالنار في المرجل كانت زهرة، تمسكت بقشرة هدوءها لأخر لحظة ولم تفلح، يبدو أنها اختارت الطريقة الخطأ في التعامل معها، بل مع الموقف برمته. ويبدو أيضا أنه لن يفلح معها سوى الأجبار.

استندت زهرة على ظهر المقعد وقد اخذتها ذاكرتها بعيدا، حيث تشابك النسب من طرف

دينا العطار

النساء، فالجميع أقارب، فإن لم يكونو أبناء عمومة، فهم بكل تأكيد أبناء خالات، وهذا ما حدث بالفعل، فوالد زوجها شوكت أحب بنت خالته، كنه تزوج من بنت عمه، التي أنجب منها شوكت، وتزوجت حبيبته من والد حامد، إذا فحامد ابن بنت خالة والد شوكت، فكان من المفترض أن تكون أم حامد هي أم شوكت لكن الاعراف أبت عليهما.

أريج الماضي

وجاء أكرم ليكرر تلك القصة ويتزوج بمن يريدها شوكت، رغم زواجه وعلمه باستحالة موافقة أخيها شهاب بان تكون أخته زوجة ثانية، فأبى شوكت بأن تتكرر قصة أبيه،

دينا العطار

فأفسدها على أكرم لينتزعها منه، فعانده القدر

أريج الماضي

وأبي إلا أن يسخر منه كذلك، فانتزعها حامد منه وكانت من نصيبه، وقهقه القدر في سخرية وتحدي.

.....

كان مضطجع على فراشه يفكر فيما آلت إليه الأمور، ساءه أن تفعل به ما فعلت، للحظة ظن أنها سوف تصارحه بحقيقة ما يحدث معها، لم يطلب منها حل، لكن كل ما طلبه الصراحة.

دينا العطار

دخل عليه أباه، فاستقام واعتدل في جلسته

أريج الماضي

قائلا:

-تفضل أبي.. كيف حالك

استقر والده مقابله على الفراش:

-حالك أنت الذي لا يعجبني.. إلى متى ستظل تحبس نفسك في غرفتك هكذا

-وماذا علىّ أن أفعل

-تذهب لتجلب زوجتك.. وتكمل من حيث وقفت

دينا العطار

-هل ستستسلم من أول معركة لك معها...

أريج الماضي

إذا هى من ربحت من أول جولة..

وبالضربة القاضية كما يقولون

-لقد سرقتني هي وأخيها

-وأنت تساعده الآن في الوصول لمسعاه..

وجعلك تطلق أخته.. وبارادتك

-وماذا تريدني أن افعل

قال يستفزه:

-ابق مكانك هكذا.. شارد.. تائه

ثم أكمل يحفزه:

دينا العطار

-قم من كبوتك تلك .. قاوم.. حارب..

أريج الماضي

اجلب حقك

قال باصرار:

-لن أجلبها تلك اللعنة لبيتي مرة أخرى.. زواجي منها كان خطأ كبير.. وآن أوان تصحيحها

-اذهب وأجلب أموالك .. وتحدث معها.. واسمعها.. واتفقا معا.. لا تأخذ قرارك قبل لقياها.. ربما تجد عندها ما يريح بالك أو يغير رأيك

.....

دينا العطار

كان دياب يهندم ملابسه أمام المرآه حين صدح رنين هاتفه، نظر لشاشته فوجده رقم غير مسجل لديه، فأجاب ليقول الطرف الأخر:

أريج الماضي

-السيد دياب معي؟

-أجل.. من؟

-عملك الأسود

وانقطع الاتصال.

.....

دينا العطار

ذهب إمام لمنزل شوكت، كما اتفق مع أبيه، رحب به شوكت بحفاوة وجالسه قليلا حتى تحضر فريدة، بدأ شوكت بالحديث:

أريج الماضي

-علام تنوي؟

رد بجدية تامة:

-سوف استقر هنا في اسيوط.. سوف انقل عملي لهنا.. وابحث عن مكان جيد .. مبنى جاهز حتى أوفر وقت البناء في التجهيزات الأخرى.

-لكن القاهرة مجالها أوسع وفرصها أفضل

-وأسيوط أيضا لا بأس بها

دينا العطار

قالها منهيا الحوار في هذا الشأن، فهو لا يستسيغ حديث شوكت عن عمله، فليدعه وشأنه ويركز مع ابناءه اللصوص.

جاءت فريدة وهى تمسك بيدها حقيبة سوداء، استقرت جوار أبيها وتضع الحقيبة فوق الطاولة أمامها، اسندت ظهرها باسترخاء على مقعدها وهى تضع ساقا فوق أخرى، لامها أبيها:

-ألم تسلمي على زوجك!

بمراوغة ردت على أبيها وهى تنظر لزوجها الذي يبادلها النظر بضيق:

أريج الماضي
دينا العطار

-لا يا أبي.. لن أسلم عليه.. لتوه ما تذكر أن لديه زوجة تنتظره

أريج الماضي

قالتها بدلال غريب عليها، فأجابها إمام بانفعال واستنكار شديد:

-وهل أنا من طلبت منك ترك بيت زوجك ليلا دون حتى أن تكلفي نفسك عناء اخباره بمكالمة.. اقل من دقيقة.. أو حتى رسالة.. هل أنا من لم تذهب لزوجها في محبسه.. أم أنا من تسببت في كل هذا.. وبعد هذا كله لم أكلف خاطري للذهاب لبيت زوجي بعد خروجه من باب الواجب حتى والأصول.

دينا العطار

تركهما شوكت ليعاتبا بعضهما بحرية دون
أريج الماضي
تدخل، وذهب لمكتبه يتابع بعض الاعمال حتى ينتهيا.

اعتدلت في جلستها وهى تسمعه يجلدها بكلماته، يدينها، ويظهر مدى خطاؤها في حقه، فردت بتسلط فطري:

-إذا لماذا جئت؟

أطال النظر إليها قبل أن يرد بتهكم:

-لآخذ أموالي

أشارت بعينيها نحو الحقيبة وهي تقول:

-هاته أموالك .. خذها

دينا العطار

بقسوة رد عليها:

أريج الماضي

-وأين باقي حقي؟

تساءلت:

-أي حق هذا!

-حق اهانتي.. وسجني.. أكرمتك .. فطعنتني

-لم أطلب منك شئ.. ولم أعدك بشئ.. أنت من قدمت دون أن أطلب.. لذا لا تنتظر المقابل

-لقد ظننتك....

دينا العطار

لم تدعه يكمل جملته:

-لا تظن.. تلك أوهامك وحدك وأنا لا شأن لي بها

أريج الماضي

قال باحباط:

-عند حق.. تلك مشكلتي وأنا كفيل بها

لم يكد يكمل جملته حتى صدح صوت أبيها يهز أركان المنزل:

-لقد صبرت عليكي كثيرا.. وها أنتِ تستغلي حلمي عليك بشكل خاطئ

ثم أكمل موجها حديثه لإمام:

-زوجتك حامل.. وأمرها الآن بين يديك.. إما أن تعفو وتصطحبها معك.. أو تستعد

لتأخذ طفلك حين مولده.. فأمه غير جديرة به.

أريج الماضي

صرخت كاذبة:

-أبي.. أنا لست

-اخرسي.. لقد رأيت نتيجة التحليل بنفسي.. هل تظني أن عيني لا تتبعك في كل هفواتك قبل حركاتك.. زيارتك للمعمل وذهابك للطبيبة

قالت بإصراروتحدي:

-ابني لن يربيه سواي

بنبرة قوية متحكمة أمرها:

دينا العطار

-إذا اذهبي مع زوجك

كان إمام يتابع ما يحدث بصمت تام.. يشاهد تعريها أمام أبيها، ويرى إلى أي مدى وصل تشوه نفسها، ظل على صمته حتى ذكر أبيها أمر عودتها معه، هنا لم يستطع أن يستمر في صمته فقاطع حديث أبيها:

-أنا لا أريدها.. لقد أمنتها.. وخانتني.. خانت ثقتي بها.. ولن آمن على نفسي معها مرة ثانية

تدخلت لتزيد الطين بلة:

-أنا من لا تريدك.. لقد تزوجتك غصبا..

أريج الماضي

وعشت معك كرها.. وها أنا أحمل ابنك جبرا

لم يسكتها سوى صفعة أبيها التي نزلت كماء منهمر على قلب إمام، وكطعنة خنجر على قلبها:

-لقد اخفقت في تربية ابناء زهرة.

وهنا قال إمام موجها كلامه لشوكت متجاهلا وجودها تماما:

-سوف أجلب المأذون بعد ولادتها مباشرة.. أطلقها وآخذ ابني

دينا العطار

رد والدها ردا قاطعا بكلمة واحدة:

أريج الماضي

-حقك

وردت هى تجابهه:

-وحقي أيضا أن اجهض نفسي

ورد عليها إمام بجديه تامة:

-وحقي حينها أن اقتلك كما قتلتق ابني

أدلى بدلوه، ومد يده يأخذ حقيبة الأموال، ثم انصرف وتركها خلفه تسبه وتتوعده بألا تدعه يرى صغيرها.

.....

دينا العطار

أما أريج فأرادت قطع الشك باليقين، وألا تظل هكذا تعيش بين المطرقة والسندان، فدخلت حجرة أبيها في غفلة عن الجميع، واخذت بعض الشعيرات من مشط أبيها وكذلك فعلت مع أمها رغم تأكدها من أمرها، أما أبيها فأمره دائما ما يربكها، وكم تتمنى أن يكون أبيها بالفعل، كم تشتاق لضمته التي حرمت نفسها منها.

أريج الماضي

.....

أخذ إمام الأموال لكنه لم يأخذ حقه بعد من هلال، فأتفق حامد وشهاب على الاجتماع مع شوكت، وعارض إمام الاجتماع عند شوكت،

دينا العطار

وعارض هلال الحضور عند حامد، فاقترح
أريج الماضي
مؤمن بالتجمع في منزل العائلة هناك وتم الاتفاق، طلب مؤمن من أريج الإشراف على ترتيب وتجهيز المنزل لاستقبالهم، وما أن انتهت الفتيات من إعداد المنزل وتجهيز الطعام حتى حضر مؤمن بصحبة أبيه، انصرفت الفتيات ليعدن للمنزل ليساعدن سيدتهن عالية، ومكثت أريج مع زوجها، انقضى الليل وصباح اليوم التالي سريعا، وآن وقت الاجتماع، كان شوكت ومعه هلال وفريدة أول الوفود، ثم حضر حامد ومعه إمام، لم
دينا العطار
يتوقع أحد حضور زهرة التي علقت:

-لا يوجد أحد غريب.. المنزل لأخي وولده..

أريج الماضي

وهذا زوجي وابني.. والأخر زوج ابنتي ووالده

ونظرة زوجها تكفلت باخراسها وغلق فمها، فأمرها باللحاق بفريدة في الداخل. وما أن تلاقت عيناها مع عينا أريجحتى انتفض خافقها وهى ترى الأختين مجتمعتان، قالت تحاول فتح حوار:

-كيف حالك يا أريج

والأخرى تجاهلتها تماما، فعلقت فريدة ساخرة:

دينا العطار

-يبدو إنها لا تفهم سوى بالإشارة

أريج الماضي

تقاطعت نظرات الشابتين، نظرة مقيمة، وأخرى كارهة غاضبة، وقبل أن ترد أي منهما سمعن صوت هلال يزمجر بغضب:

-كاذب.. ليس لديك أي دليل.. وإلا لكنت قدمته للنيابة

اقتربن ثلاثتهن من باب المجلس يرهفن السمع، فسمعن إمام:

-أنت تعلم جيدا من هو الكاذب.. وهل أنا مثلك لأورط زوجتي مثلما ورطت أنت

دينا العطار

أختك.. وكما أنني لست ضعيف لألجأ

أريج الماضي

للحكومة لتجلب لي حقي

هاج هلال:

-ليس لك عندي أي حقوق.. وأختي سوف...

قاطعه أبيه بحدة وغلظة:

-هلال.. الزم الصمت قليلا

ثم وجه حديثه لإمام وحامد:

-هات ما عند يا إمام من قرائن

أخرج إمام هاتفه ووقف باحد أركان المجلس

مينا العطار

بحيث يتمكن الجميع من مشاهدة ما يعرض،

بالفعل رأى الجميع وقت دخول هلال ومن ثم خروجه بالحقيبة، ثم حضور إمام وخروجه بعد المغرب بقليل، ثم خروج فريدة، وبعدها حضور الملثم وفتحه للشقة بمفتاحها ودخولهثم خروجه بعد دقائق معدوده ثم وصول إمام بعد منتصف الليل ولحقه حضور الشرطة.

أريج الماضي

أغلق إمام الفيديو مع حضور الشرطة وهو يقول:

- بغض النظر عن التشابه الكبير بين الملثم وهلال، فتلك ليست قضيتي الآن.. هل لديك تفسير لوجود الحقيبة بحوزتك يا هلال

دينا العطار

جاء الرد من فريدة وهي تقتحم المجلس:

أريج الماضي

-لقد سبق وقلت لك أني تبرعت بالأموال.. ومن أوصل المال لمسئول الملجأ كان هلال.. ومعي إيصال التبرع إن اردت التأكد

جاء دور شوكت في الرد على ابنته:

-كيف تتصرفين في مال زوجك دون علمه وإذنه.. هل جننتي!

وضعت ناظريها في الأرض ولم ترد على أبيها، لقد فعلت ما أرادت، لقد منعت فضيحة أخيها وكفى، سأل حامد فريدة:

دينا العطار

-هل تعنين أن هلال أخذ الأموال بعلمك..

أريج الماضي

وأنك من اعطيته إياها

صمتت قليلا تفكر قبل أن تجيب:

-أجل.. أنا من اعطيته الأموال

-جيد

ثم وجه سؤاله هذه المرة لهلال:

-لماذا انكرت أنك أخذت الأموال إذا في البداية يا هلال.. لماذا لم تصرح أنك أخذتها من فريدة

أجابه هلال وهو ينظر لأخته:

دينا العطار

-هي من طلبت تكتم الأمر

علق حامد:

أريج الماضي

-وكيف كانت ستخفيه هي؟!

قال شهاب:

-فريدة .. لقد اخطأتي .. لا يحق لك التصرف في أموال زوجك دون موافقته

قال شوكت عنها:

-لذا تكفلت أنا بتلك الأموال عن ابنتي.. واعادتها لزوجها.. واستلمها إمام منها.

وعاد صوت فريدة مرة أخرى توجه كلامها لإمام:

دينا العطار

-وتبقى أن تسلمني ورقة طلاقي

جاءها الرد من أبيها:

أريج الماضي

-اخرسي.. وهيا اخرجي من هنا.. لم يعد لك حاجه

وهنا تقدمت زهرة للمجلس وهى تصيح:

-لا.. لن تخرج قبل أن ينفذ لها ما تريد.. هل سيغصبها على العيش معه دون إرادتها

ثم وجهت حديثها لإمام:

-وأنت هل تقبل ذلك

دينا العطار

ربت حامد على يد إمام يمنعه من الرد عليها، فيما تقدم مؤمن نحو عمته يحاول اخراجها بينما يحدثها شهاب:

أريج الماضي

-لا يصح ذلك يا زهرة.. لم نأت لمناقشة طلاق.. وشرط الصلح كان الزواج.. ولن يخل أحد الأطراف بهذا الشرط.. وإلا نُقض الصلح كله.. وعدنا للمربع صفر.

قالت بثورة:

-لا يهمني ما تقول.. ابنتي لا تريده

قاطعها مؤمن:

-وهل لا يهمك ايضا تقديم ابنك للمحاكمة

اجابه هلال بعنف وقد اقترب منه:

أريج الماضي

-مؤمن.. وما شأنك أنت!

توجه بكليته نحو هلال ولم يعد بينهما سوى خطوة واحدة:

-لم يكن لي شأن.. وبسببك وسبب تهورك اصبحت طرف في هذا الصلح.. ورغما عني.. ولن أسمح لك بافساد ما تم اصلاحه

علق هلال باستفزاز:

-لابد وأن تسعى بكل قوتك لإنجاح هذا الصلح.. فأنت من فزت بالجميلة

ديانا العطار

في لمح البصر كان مؤمن قد اقترب
أريج الماضي
الخطوة الباقية بينهما وأسدى له لكمة اطاحت به للخلف عدة خطوات، ولم يكد يستعيد توازنه حتى امسكه مؤمن من تلابيبه، وكأن التاريخ يعيد نفسه، ففي لحظة تهور استل هلال سلاحه وحرر صمام الأمان، واضعا اياه فوق جبين مؤمن، اقترب الجميع منهما وشوكت يعنف هلال الذي يقبض على المسدس بعنف شديد وهوس، لم يستطع شوكت نزعه منه، وشهاب يحاول أن ينحي مؤمن عن الفوهة، لم يعد لهلال جزء من وعيه، إلا عندما وقفت أريج أمام المسدس، وهى تمسكه بكلتا يديها
منال العطار

وتزيح مؤمن الذي رفض تماما تصرفها وهو يعنفها:

أريج الماضي

-لا دخل لكِ.. إذهبي من هنا

امسكها حامد يحاول ازاحة يدها عن السلاح:

-اسمعي كلام زوجك.. اتركي المسدس واخرجي

ثم وجه حديثه لإمام:

-خذها من هنا يا إمام

حاول إمام جذبها دون جدوى، كأنه جزء منها لا ينفصم، تجاهلت الجميع وقالت لهلال:

-عليك التجديد

أريج الماضي

نظر هلال إليها بتساؤل فأوضحت:

-لماذا تكرر نفسك في كل مرة وتقتل ابن خال لك.. التجديد مطلوب.. ومهم.. حتى لا تمل

بدا كأن لم يسمعها وهو يصرخ بها من بين انفاسه المتسارعة:

-اتركي المسدس

بادلته الصراخ وهي تحاول جذب المسدس نحو جبهتها، وإمام يحاول نزعه منهما بحركة عنيفة:

دينا العطار

-جدّد .. واقتلني .. هيا اقتلني.. اقتل اختك

أريج الماضي

هذه المرة

رد بعنف:

-بماذا تهذين أنتِ.. حتما لستِ اختي.. ولن تكوني يوما.. واتركي المسدس حتى لا انزعه منكِ عنوة قد تؤذيكي.

لم تستجب وقد فقدت تركيزها وسيطرتها:

-بل اختك.. ورغما عنك سأطل أختك.. كنت الوحيدة القادرة على الغاء هذا الاتفاق اللعين.. بتحريض من أبي ومباركته..

دينا العطار

لكني وافقت.. وافقت فقط لحمايتك..

أريج الماضي

لأخلصك مما اوقعت نفسك فيه بغبائك

ثم التفتت نحو زهرة تعنفها:

-ماذا تنتظري بعد.. انطقي .. تكلمي.. قولي له أني أخته.. قولي أنك تزوجتي أبي .. وانجبتني.. ثم تخليتي عني.. لتتزوجي أبيه.. هيا انطقي

كاد حامد أن يقاطعها، لولا شئ في نفسه، اراد أن يرى رد فعل زهرة، فرغم مرور السنون.. إلا أنه لا يصدق أن أخيه قد فعلها، فتركها لتكمل:

دينا العطار

-أم تريدين منى أن أقول لهم أنا.. انني ابنتك انتي واكرم.. وحين مات أكرم وأنت حامل منه قبل زفافكما.. تزوجتي أخيه حامد.. وتركتي إبنتك ليرعاها هو.. ليكون لها أبا.. وأما.. وعما.. وخالا.. ليكون لها كل شئ.. ليكون لها كل الحياة

أريج الماضي

نظرت لهلال الذاهل أمامها، وقد تركت السلاح، وأخفض هو يديه، ولا يزال يمسك بالسلاح، وأكملت تحدثها:

-لقد حرمتني من أخوتي.. حرمتني منك ومن فريدة.. هل ستعوضني عما حُرمت

دينا العطار

منه.. أم انك لا زلت تحبس نفسك في وضع لم تخلق له.

أريج الماضي

وقع المسدس من يده، وهو ينظر لها بذهول وقد انعقد لسانه، من هول ما يسمع عن أمه، وصمتوا جميعا ونظروا لزهرة وحامد، لملمت زهرة نفسها، ولم تجد افضل من هذا الوقت لتنتزع ابنتها من حامد، على أقل تقدير تأخذ حقها هي فيها، فزواجها من أكرم كان صحيح،لم ينقصه سوى الاشهار، لذا قالت:

-لقد خدعني حامد.. وأدّع وفاتك زورا

دينا العطار

أخذت نفس عميق وهي تنظر لحامد ثم اردفت:

أريج الماضي

-من الواضح أنك خططت لكل شئ منذ البداية

سألها بهدوء جم:

-ماذا تقصدي بالتحديد.. علام خططت؟!

ردت بكره شديد:

-لانتزاع ابنتي مني.. أريج.. لقد احسنت استغلال اصابتي بتسمم الحمل وغيبوبتي بعد ولادتها.. وأخذتها ونسبتها لك ولزوجتك

دينا العطار

رد باتزان وحذر شديد:

أريج الماضي

-هذا غير صحيح.. لقد رأى شهاب ولدك.. بالمناسبة كان صبي.. وأنتي تعلمين.

هدوءه يثير اعصابها بشدة، يبدو أن هلال قد ورث عنها الجنون، فردت بعصبية:

-أنت تكذب.. لماذا لم يكن الصبي لزوجتك.. وعندما مات أبدلتهما.. نسبته لي.. وأخذت ابنتي لتنسبها لها

-وما دليلك؟!

-الوحمة.. لقد رأيتها

-أي وحمة؟!

دينا العطار

-أنا وأريج لدينا نفس الشامة عند الأذن

-وما المشكلة.. ليست دليل ابدا

-لكني متأكدة أن أريج ابنتي أنا

كادت أريج أن تتحدث، فاسكتها مؤمن طالبا منها الصبر قليلا، وهو يربت على كتفها بيد وبالأخري يمسك يدها يحوال تهدئتها. تنهد حامد قبل أن يجيبها:

-اثبتي

زلت بلسانها ونسيت سرها مع شوكت فحامد يوترها كثيرا ويستفزها:

-تحليل اثبات النسب سوف ينسبها لي رغم انفك

أريج الماضي

ببرود اعصاب قال:

-بن أخضع ابنتي لمثل هذا التحليل ما حييت.. نسبها مُصان.. وكرامتها محفوظة

في لحظة انعدم فيها التفكير وتخلت عن حذرها وطفى فيها الحقد على كل الاعتبارات فقالت لتغيظة وتشمت به:

-وهل سيظل تمسكك بها عندما تعلم انها ليست لأكرم

دينا العطار

كان شوكت الأسرع في الانقضاض عليها، يكيل لها الصفعات حتى أدمى وجهها وهو يحاول اسكاتها عنوة.

أريج الماضي

أما أريج فأخذها مؤمن بين ذراعيه ولازمها طويلا، كانت ترتجف بين ذراعيه بشدة كورقة شجرة جافة هشة صامدة فى وجه ريح خريف قاسي، اجلسها مؤمن وهو يحاول تهدئتها وجلس جوارها، بينما اتكأت فريدة على المقعد خلفها.

أما حامد فقد وصل لما يبغى مذ سنوات، وقد برأ ذمة أخيه أمام شهاب، ولا يهمه لمن

دينا العطار

كان الصبي، قدر ما أهمه أن تظهر براءة أخيه
أريج الماضي
من تلك الوصمة.

حاول شوكت جرها لخارج المجلس أمام ناظري شهاب الذي لم يحرك ساكنها لمنعه عن ضربها، أوقفه حامد:

-انتظر يا شوكت

ثم وجه حديثه لها:

-ولدك كان صبي.. ومات.. وشهاب أخيكي شاهده .. وأنت أيضا رأيته.. لكنك كنت بين الصحو والاغماء.. لا يهمني من كان والده.. كل ما أهمني أن أبرئ أخي
ديانا العطار

ولو بعد حين.. أخي يؤتمن.. لا يفرط ولا يخون.

أريج الماضي

سألته بحيرة:

-إبنة من هى؟!

رد بفخر:

-ابنتي

قالت برفض متصلب شديد اللهجة:

-لا تقل أنها ابنة عالية.. انها لا تعاملها معاملة الأم وابنتها أبدا

رد بثقة مؤكدا:

دينا العطار

-صدقتي

فجأة تذكرت لتسأله:

أريج الماضي

-أين دفنت ابني؟

-في بور سعيد.. مع زوجتي عبير.. والدة أريج.

رفعت أريج رأسها عن كتف مؤمن بصدمة.. تنظر له بحدة وذهول.. فأتجه حامد نحوها وأمسك وجهها بين يديه يقبل جبينها.. قعد جوارها وأدارها لتنظر إليه، أمسك ذقنها رافعا وجهها وهو يقول:

-لقد أكدت لكِ مرارا أنك ابنتي.. انتي ابنتي أنا.. ابن زهرة مات.. وشهاب يشهد.

دينا العطار

نظر لشهاب، فأجابه شاهدا بما رآه وحضره:

أريج الماضي

-أجل.. لقد رأيت الصبي.. وقبلته.. وسلمته لحامد ليدفنه.. بينما مكثت أنا معها.

تنهد بتأثر ثم استرسل:

-حينها أخبرني حامد أن زميلة له في العمل قد توفيت وسوف يدفنه معها.. لأنه لن يتمكن من دفنه في الصعيد.. فالمتوفاة وحيدة والديها ووالدها متوفي أيضا.. ولا أقارب لها وسيتولى هو انهاء الاجراءات واستخراج التصريح بالدفن.

دينا العطار

هنا لم تحتمل زهرة أن يحظى حامد بإبنة

أريج الماضي

مثل أريج، وابنها هى يموت، لم تصدق أن أريج ليست ابنتها، وقد منّتْ نفسها وهيأتها مرارا لتكون أريج إبنة ثالثة لها، أخت لفريدة وهلال، لم تستطع استيعاب أنها لحامد، لا تصدق انه لم يخدعها، وأن ابنها حقا مات، كل ما فهمته أنه كان متزوج عليها أثناء زوجها منها، هى بكل غرورها وكبرياؤها يتزوج عليها،هى بنت الأكابر، فهاجمته فجأة بهذيان وعدوانية وقد سولت لها نفسها وضلالاتها بكشف المستور:

دينا العطار

-أنت تكذب.. انظر لعيناها.. وانظر لعينا
أريج الماضي
شوكت.. أخذت مني شامة الأذن..

وأخذت منه عيناه.. يا كاذب

أخذ شوكت يركلها بكل ما أوتي من قوة وقد فضحتهما:

-اخرسي يا فاجرة

سحلها وقد جرها جرا للخارج، وهو يكيل لها اللكمات والصفعات في كل جزء تطاله يداه من جسدها.

أرادت التشفي والشماته في حامد، وايلامه حتى وان كان على حساب نفسها وسمعتها هى

دينا القطار

وزوجها، لم تعي لخسارتها هى قبل خسارته
أريج الماضي
التي تسعى إليها بكل قوة وعنفوان، فالهدية تستحق البذل، لقد نفذت المثل القائل "علىّ وعلى أعدائي" بحذافيره، وبالنهاية وفي ثورة جنونها خسرت باعترافها، وفاز حامد بابنته وببراءة أخيه، لم تفكر في خسارتها، أو ماذا ستخسر في المقابل، المهم أن يخسر هوحتى ولو على حساب نفسها، ويعلم أنه قام بتربية فتاة غريبة عنه تماما، ولا تمت له بأي صلة ولا بأخيه، يكفيها وزيادة رؤية القهر والحسرة في عينيه، سوف تحسّره عليها وتفوز هى بها، حتى لو كان شرفها وسمعتها هى وشوكت هى
دينا العطار

الثمن، ستفعلها بكل تأكيد، حتى لو قتلها
أريج الماضي
شوكت حينها، ستفعلها وتنتزع لأريج حقها منهم جميعا، بنوتها واسمها ونسبها لشوكت، وتستردها من حامد عنوة، ورغم أنفهما هما الاثنين حامد وشوكت.

حمد الله في نفسه سرا، لقد برأ الله أخيه وهو في قبرة، بعد كل تلك السنون، شهقت فريدة بشدة قبل أن تفقد وعيها، فركض إمام وهلال نحوها، حاولا افاقتها، فأخذ إمام يدلك بين عينيها، وذهب هلال ليجلب الماء، أخيرا عاد إليها وعيها، فأخذها هلال وانصرف دون أي
دينا العطار
تعقيب من إمام.

نظرت أريج لحامد بشك وتوتر، فابتسم لها

أريج الماضي

بحنو:

-عيناكِ لأمك.. عبير.. وأسميتك أريج.. وبالنسبة للوحمة.. هناك الكثيرين من يتشاركون في هكذا علامات على اجسادهم، ولا يوجد بينهم أي رابط أو جينات.. أتعلمين أن والدتي بنت خالة أبو شوكت.. فهو في مقام خالي.. وشوكت في مقام ابن خالي

بهمس:

-احكي لي عنها

دينا العطار

امسك كلتا يديها بين يديه وقال:

أريج الماضي

-سوف احكي لكي كل شئ.. حينما نعود للمنزل.. وترتاحي قليلا

واشرك مؤمن في الحديث:

-ما رأيك يا مؤمن

وافقه:

-والدك معه حق.. وأنتي مُرهقه.. اذهبي معه الآن.. وأنا سألحق بك بعد قليل

سألته:

-اين ستذهب؟!

دينا العطار

اجابها بحزن:

-سوف اطمئن على فريدة وعمتي.. ما

أريج الماضي

حدث ليس هين

لمح إمام المسدس ملقى على الأرض، وقد غفل عنه هلال، فازاحه بقدمه تحت أحد المقاعد، ووضع مفاتيحه على الطاولة أمامه، وعندما خرج الجميع من المجلس، ترك مؤمن يساعد أريج لدخول السيارة، وذهب ليحضر المفاتيح، وفي الداخل حمل المسدس ولفه بالمحارم الورقية بعناية ووضعه بجيب سترته الداخلي.

.....

دينا العطار

وفي السيارة اعتذرت أريج لوالدها، فسألها:

أريج الماضي

-لماذا تتاسفين حبيبتي؟!

صمتت قليلا تستجمع شجاعتها ثم أجابته:

-لقد اجريت تحليل اثبات نسب.. والنتيجة اليوم

ساد الصمت قليلا، قبل أن يقطعه:

-إذا سوف نحضر نتيجة التحليل.. قبل أن نعود للمنزل

بالفعل احضرت النتيجة، لكنها لم تجرؤ على فتحها أمام أبيها، حتى عندما طلب منها ذلك، تحججت:

دينا العطار

-لم يعد لها داعي الآن

أصر عليها:

-لكني أريدك أن تقرأيها

نظرت إليه طويلا، ثم ابتسمت بأريحية:

-رغم إني لم أعد بحاجتها.. إلا إنني سوف افتحها لأريحك.. ولكن ليس الآن

.....

كاد دياب أن يجن، من الذي يرسل كمية التهديدات تلك، عليه أن يعترف لنفسه، لم يكن عليه قتل شريكه بتلك الطريقة، لقد اخطأ، لكن فات أوان الندم، والآن ماذا عليه أن يفعل وهو

يكاد أن يجزم أن عائلة أبو المعاطي، هي من
أريج الماضي
وراء تلك التهديدات، عليك اللعنة يا " جاد" حيا وميتا، الخطر لا ينتهي بسببك، كان يهبط الدرج في طريقة للخارج حين دخل والده وهو يجر زوجته خلفه جرا، يكاد يسويها بالأرض من شدة عنفه معها، وقد اختفت معالم وجهها تماما، ولم يبالغ ان قال لا يوجد قيد أنملة في جسدها نجا من بطش أبيه، يجب وأن تكون فعلتها قد تجاوزت كل الخطوط الحمراء، حتى توصله لتيك الحالة التي جعلته يدميها بهذا الشكل:

دينا العطار
-ماذا جرى.. وماذا بها أم هلال!

أجاب شوكت بحدة:

أريج الماضي

-لا شأن لك.. انظر لأين كنت ذاهب

اطاع أبيه بصمت، وتركه وخرج، وكأن لا إمرأة بين على وشك الموت بين يديه. امتلئ جسدها بالكدمات والسحجات وقد تورم كامل جسدها وذراعيها ووجهها وعينيها حتى أصابع قدمها لم تسلم منه حين كان يجرها خلفه كيفما اتفق مع وقع خطواته السريعة الغاضبة.

أما شهاب فرغم كل ما فعلته ورغم الفضيحة التي تسببت بها بعد كل تلك السنون، والتي كابد خلالها لئلا يريق ماء وجهه أمام حامد

دينا العطار

حينما جاءه خاطبا لها وأدعى وقتها ما أدعى

أريج الماضي

حتى يجد سببا لموافقته على زواجهما بهذا الشكل، إلا أنها تظل مسئوليته، فبالأخير هي أخته، ولحسن حظها لم يغلق دياب الباب بعد خروجه، مما سهل دخول شهاب ومؤمن، وجداها متكومة أرضا وشوكت يركلها بكلتا قدميه، كأنه يقذف كرة ليسدد هدفا، ركض مؤمن نحو شوكت يوقفه، وانحني شهاب يتفقد نبضها وانفاسها، فقال لمؤمن:

-اسندها معي بسرعة.. النبض ضعيف جدا يكاد ينعدم

دينا العطار

هذا كله ولم تهتز لشوكت شعرة واحدة، ولم يأخذه بها شفقة ولا رحمة، تركهما ليأخذوها وصعد الدرج ليزيل آثار دماءها الملوثة عن جسده.

أريج الماضي

.....

وفي المشفى، استخدم شهاب نفوذه لئلا يصل الأمر للشرطة، وتم اثبات الواقعة على أنها حادث سيارة، تسببت في فقد عينها اليمنى، واسنانها الأمامية السفلية والعلوية، بالاضافة لعدة كسور في قصبة الأنف واليد والساق وضلعين وأصابع اليدين والقدمين، فالاطباء كانوا أما سيدة مهشمة حقيقة وليس

دينا العطار

مجازا، ناهيك عن حالة الكلي والكبد فقد أخذا
أريج الماضي
نصيبهما كاملا من الكدمات.

.....

أما أريج فبعدما اخذت قسطا من الراحة واتناولت الطعام، دخلت لغرفتها واخرجت النتيجة، ظلت تنظر إليها، لا تصدق أنها علمت الحقيقة من أبيها قبل التحليل، ما أحلى كلمة أبي، كم هي سعيدة بذلك، وفي تلك اللحظة طرق أبيها الباب ودخل قائلا:

-ماذا تفعل حبيبة أبيها؟

دينا العطار

رفعت إليه عينين تركمت فيهما الدموع وهي تسأله:

أريج الماضي

-احكي لي عن أمي يا أبي

استدعاء كل تلك الذكريات في يوم واحد أربكه، فتلجم للحظات قبل أن يدنو منها، وقد عقد النية أن يقص عليها كامل حكايته مع أمها، جلس يقابلها على فراشها، أخذ يتأمل وجهها البهي فترة، لا يمل أبدا من النظر إليها، ثم رمق الورقة بين يديها وهو يقول:

-رحمها الله.. كانت جملية.. مثلك تماما.. في الحقيقة أنت من تشبهيها تماما..

دينا العطار

اعتدل جوارها مستندا على قائم الفراش، ومد
أريج الماضي
يده نحو رأسها يجذبها إليه، وعندما استقرت فوق خافقه، راح يداعبها، ويمسد على شعرها، وقد أخذته الذكريات ودفعه الحنين لوالدتها ليحكي لها القصة كاملة بكل تفاصيلها:

-كانت زميلتي بالعمل حينما كنت موظف.. كانت جميلة.. بل جميلة الجميلات.. وأنا كنت متزوج ولدي أبناء.. وكانت ترفض هى كل من يتقدم لخطبتها.. حتى جاء زميل مشترك بيننا أراد خطبتها.. ووسطني في الأمر...

دينا العطار
تنهد باشتياق، ثم أكمل:

-وكعادتها رفضت.. كانت وحيدة والديها..

أريج الماضي

انجباها بعد صبر طويل.. توفي والدها في عامها الجامعي الأول.. كان مريض قلب.. وذات يوم تعبت في العمل.. وأوصلتها للمنزل واصرت والدتها على ضيافتي.. فدخلت.. كانت سيدة دافئة.. وعند انصرافي لاحظت سوء حالة عبير قاطعته بابتسامة هادئة:

-اسمها عبير

-أجل.. لذلك اسميتك أريج.. اصررت على احضار طبيب .. لكنها رفضت

دينا العطار

صمت قليلا ثم استرسل يكمل:

أريج الماضي

-طالت إجازتها.. فذهبت لزيارتها.. حينها علمت بمرضها الذي ورثته عن أبيها.. ووقع في قلبي حبها.. احببت رقتها.. عذوبة حديثها.. جمالها.. وخاصة عينيها.. اللتان ورثتهما أنت عنها.. بجمال الشمس فيهما.. كانت ناعمة لا يقطر فمها سوى الشهد والعسل

كانت زكرياتهما معا حية نابضة في عقله رغم مرور السنين فأكمل:

دينا العطار

-بدون ما اشعر بنفسي.. وجدتني أطلب
أريج الماضي
يدها من والدتها.. فاخبرتني بأدق تفاصيل حالتها التي تحتم عليها عدم الإنجاب.. ووافقت.. وكانت أول مرة تعارض والدتها.. ورفضتني هى.. تركت لهما بعض الوقت ليبلغاني برأيهما النهائي.. وبعد انتظار اسبوع.. زفت والدتها إلىّ البشرى.. عشنا معا أجمل سنة.. قبل وفاة أخي أكرم.. عمك يا حبيبتي.

أخذ نفسا عميقا ثم أردف:

-عندما مات أكرم.. جاءتني زهرة تخبرني
دينا العطار
بحملها.. ولأكن صادق معك.. لم

أصدقها.. لكني اضطررت للتعامل مع الموقف

أريج الماضي

اغمض عينيه قليلا يطرد تلك الذكرى السيئة من عقله:

-ورغم وفاة أخي وأخيها في ذات الحادث.. تزوجتها بعد الأربعين بأيام قليلة.. وافق شهاب بسهولة.. فأخو زوج أخته يعرض الزواج منها بعد وفاة أخيه بأيام..

تنهد قليلا قبل أن يسترسل:

-قبلها كان احد ابناء عائلة تتاجر بالسلاح لمّح لشهاب برغبته في نسبه.. وكان هذا

ديما العطار

سبب كافي لحفظ ماء وجه الجميع عند
أريج الماضي
زواجنا بعد أقل من شهرين من وفاة زوجها وأخيها.. تم الزواج .. وانتقلت بها لبور سعيد أيضا بعيدا عن الجميع.. ولترتيب أمر انجابها بعد سبع شهور من زواجنا..

شرد قليلا قبل أن يكمل:

-في الحقيقة لقد عقدت النية فعلا على أخذ المولود منها.. فمن لم تكن أمينة على نفسها.. لن تكون أمينة على ابن أخي.. فاتفقت مع عالية بأن تدعي انها حامل.. واخذتها معي لبور سعيد ايضا.. لتبتعد
دينا العطار
عن أهلنا.. حتى تضع المولود.

قبّل جبين ابنته ثم أكمل:

أريج الماضي

-لم تستطع أمك أن تقام رغبتها في الأمومة.. اتخذت قرارها دون علمي.. نفذته ولم تخبرني إلا في شهرها الثالث.. استغلت انشغالي عنها تلك الفترة.. وأنا لم ألاحظ.. لا أبرر لنفسي.. لقد قصرت في حقها.. وأنا ألوم نفسي في كل لحظة حتى الآن.. لقد كانت حب عمري الذي عثرت عليه بالصدفه.

قاوم دموع عينيه بصعوبة وهو يحاول تنقية صوته حتى لا يُظهر تأثره وهو يكمل:

دينا العطار

–شاء القدر أن تلد زهرة ويموت طفلها.. ثم تلد أمك بعد أقل من يومين.. لتأتي أنتِ لتنيري حياتي.

أريج الماضي

.....

استدعى دياب رجله المخلص وطلب منه تقصي اخبار عائلة أبو المعاطي فبعد اختفاء" جاد" وبحثه عنه معهم، يأسوا من إيجاده، وقد بدأ الميل لتصديق قصة موته، ويبقى السؤال عن القاتل والجثة. لم يعلم أحد بعملهم معا في التنقيب، حاول دياب ادعاء الاهتمام ايضا، فهاتف أخاه الأصغر:

دينا العطار

-كيف الحال؟

أريج الماضي

رد سالم:

-بخير

سأله مباشرة:

-ما من أخبار عن جاد؟

أجابه الأخ بمراوغة:

-قريبا

ثم أضاف كاذبا:

-معي المفتاح لكني لا أعرف مكان المخبأ..

ألا تعلم عنه شئ بصفتك صديقه يا دياب

دينا العطار

استفسر دياب باهتمام:

-أي مفتاح؟!

أريج الماضي

أوضح له:

-مخبأ سري كان لجاد.. كان يسميه الجُب..

فسر معي يا دياب.. السر في الجُب والمتهم لم يعد برئ

تحير دياب ولم يفهم ماذا كان يقصد جاد بتلك العبارة.. وما قصة ذلك المخبأ.. لم يعرف عنه شئ من قبل، فردد العبارة مرة أخرى:

-السر في الجُب والمتهم لم يعد برئ

صمت قليلا يحاول الوصول لمغزى تلك الكلمات، ثم قال بحيرة:

دينا العطار

-لا أفهم شئ.. جاد لم يذكر اماي هذا المخبأ

أريج الماضي

أجاب سالم بتأكيد:

-كيف يذكره وفيه سره.. هذا طبيعي يا دياب.. لا تشغل بالك انت

انهى دياب المكالمة وهو في حيرة من أمره، "أي مخبأ.. وأي جُب كان يقصد"، شعر أن سالم يضمر له شئ، ويشك به، وعليه الحذر.

أما سالم أخا جاد فيبدو أنه يعلم ماذا كان يقصد أخيه، فما أن أغلق الهاتف مع دياب حتى وعد نفسه قبل أخيه " السن بالسن، والعين

ديانا العطار

بالعين، والجُب بالجُب، والقصاص من
أريج الماضي
الذئب"، وما أن انتهى من توعده حتى عاد بذاكرته إلى ذلك اليوم الي أتاه فيه "خليل" ذاك العامل، بصاص أخاه السري، والذي كان لا يخطو خطوة من غيره في أعماله الخفية، فيجعله يتخفى مع العمال، كانت كل مهمته ألا تغفل عينه عن جاد، دون التدخل حتى وإن قتل، حتى لا يدفن جواره، وتضيع أخباره، كان هذا اتفاقهما، ولم يعلم عنه شئ سوى بعد اختفاء جاد بأكثر من اسبوعين، عندما جاءه خليل، وقص عليه ما حدث أخر ليلة رأى فيها
دنا العطار
سيده، قبل ذهابه مع العمال وتركه لسيده مع

دياب، الذي يبحث معه عن أخيه المفقود،
أريج الماضي
صدق من قال "يقتل القتيل ويمشي في جنازته".

.....

عادت أريج للقاهرة مع مؤمن وشهاب خلف سيارة الاسعاف التي تنقل عمته من مشفى اسيوط للمشفى التى تتعامل معه العائلة في القاهرة، فلم يعد هناك داعي لوجودها في الصعيد تحت سيطرة وسلطة زوجها، وبعدما استقرت في غرفتها في المشفى وصل يوسف ووالدته وزوجته، تطلعوا لهيئتها بذهول تام،
دينا العطار
ونظر يوسف لمؤمن بغضب وهو يقول:

-ماذا حدث لكل هذا.. ظنت أنها عدة

أريج الماضي

كدمات فحسب

قال مؤمن بهدوء بعدما تنحى بيوسف جانبا بعيدا عن الجميع:

-الوضع سيئ للغاية.. فقدت إحدى عينيها نهائيا.. والأخري متضررة بشدة أيضا.. وكسور في انحاء متفرقة في جسدها واصابع قدميها.. وكذلك كدمات ورضوض

عنفه يوسف:

-كيف تتركه يفعل بها هذا .. كيف؟!

دينا العطار

أجابه مؤمن باستياء:

أريج الماضي

-الوضع تأزم جدا.. وعمتك كارثة متحركة.. وخاضت في شرفها هى وزوجها...

حكى مؤمن ليوسف ما حدث، وانتهى معقبا:

-ورغم كل هذا.. لحقنا بهما أنا وبابا سريعا.. كل هذا حدث في دقائق يا يوسف

تنهد يوسف في أسى وقال:

-وزوجتك كيف حالها بعد كل تلك الأحداث

ابتسم مؤمن براحة:

دينا العطار

-زوجتي في أفضل حالاتها.. علمت

أريج الماضي

الحقيقة كاملة.. وتأكدت أنها إبنة أبيها

زفر قبل أن يضيف:

-كل ما يغيظني أنه كان من الوارد أن يكون هلال أخاها.. وأنها كانت تعتقد ذلك فعلا..

ثم تبدل حاله للضحك وهو يعقب:

-كانت ستكون إبنة عمتي.. لكن لا.. هذا أفضل.. لا أنا.. ولا هلال

ضحك يوسف معقبا هو الأخر:

دينا العطار

-هذا ما يثير اهتمامك حقا.. رغم كل تلك المآسي.. كل هذا ليس بذات أهميه طالما أريج لم تصبح أخت هلال

أريج الماضي

تنفس مؤمن براحة قبل أن يجيب بهدوء وقد تلبسته حالة عجيبة من السلام النفسي:

-أجل.. كل تلك الأمور.. ما هي إلا تصفية حسابات قديمة.. لا دخل لنا بها.. في الحقيقة لا استطيع التعاطف مع عمتك اطلاقا.. ونوعا ما ابرر لشوكت ما فعله.. عمتك غير متزنة نفسيا وعدوانيه ونحن نعلم ذلك.. وحين تدخل في حالة الهياج العصبي.. تفقد السيطرة تماما.. تخيل

دينا العطار

سيدة سترها الله.. وتفضح هى نفسها

أريج الماضي

وزوجها بهذا الشكل دون أن يهتز لها جفن.. وما حدث في الماضي جريمة في حق نفسها قبل زوجها وقتئذ.. ومحاولتها إصلاح الأمر كان بجريمة أكبر

هز يوسف رأسه في تفكر وهو يتمتم:

-إنه تدبير الله لتبرئة ذمة الميت.. ويبوء كلِ بإثمه

أكد مؤمن بإقرار:

دينا العطار

-لم أكن اتوقع في اعتى أحلامي جنونا أن تكون عمتك تلك الأخلاق الشنيعة.. وهذا الاجرام والفحش

أريج الماضي

أضاف يوسف:

-وزوجها

اعترض مؤمن:

-لا.. اتوقع من زوجها أي شئ.. وابنهما هلال مزيج مخيف منهما

سأل يوسف بحيرة:

-يا ترى هل نضبت جعبة الحاوي.. أم لا يزال هناك المزيد

دينا العطار

خرج الطبيب من غرفتها فسأله يوسف عن
أريج الماضي
حالتها وسببها، ففي سبيل إيذاء حامد دمرت نفسها فحاول الطبيب التفسير:

-يوجد في الجهاز العصبي المركزي ناقل عصبي يسمى "سيروتونين" وعند أي تراجع في مستواه.. يجعل الشخص أكثر رغبة في إيذاء الغير وعادة ما يرتبط كل هذا بالشخصية النرجسية ويطلق على هذه الصفات " العامل المظلم في الشخصية".. وهذا ما حدث مع المريضة.. الرغبة في إيذاء عدوها تغلبت على حرصها على
دينا العطار
سلامتها وأمنها.

.....

هدأ الوضع نسبيا وهدأ الحال، مكثت زهرة في بيت شهاب، تكاد تكون فاقده لبصرها، وقد تدهورت وتأخرت حالتها النفسية، رغم شفاء جروحها، وامتنع شهاب عن الحديث معها بعدما كان منها، وتسببها في فضيحة كانوا في غنى عنها، ومرت الأيام ووضعت زوجة يوسف "يحيي" الأسم الذي جعل السيدة "هبة" تترك معتزلها وتعود لمصر لتضمه إليها وكأن يحيي قد بعث من جديد، عاد إليها جسدا وإسما.

وبمرور الشهور وضعت فريدة مولودها
أريج الماضي
والذي أسماه إمام "حامد" نسبة لأبيه وابن أخيه الراحل، ورفضت فريدة التنازل من أجل وليدها والعودة مع أبيه الذي قرر اعطاء زواجهما فرصة أخيرة لأجل صغيرهما.

أما شوكت فلم يعقب على قرار ابنته فهو في قرارة نفسه لا يريد لها العودة بعدما تفاقمت عداوته مع حامد وشهاب.

جاء هلال لزيارة فريدة، ولأول مرة تطأ قدمه منزل والده منذ شهور، الأمر الذي جاء في صالح فريدة لاكتمال حملها دون مشاكل. قبّل
دينا العطار

هلال يد شوكت واعتذر منه وطلب السماح، فربت شوكت على كتفه مبتسما.

أريج الماضي

أما فريدة فقاطعت والدتها تماما، ولم تجب على اتصالاتها، فحمل هلال رسالة أمه إليها:

-ماما تريد سماع صوتك يا فريدة

ردت فريدة بعنف مكبوت:

-وأنا لا أريد سماع صوتها ولا أريدك أن تأتي بسيرتها أمامي

لم يزد هلال في حديثه عن والدته، وشرد في أهلة التي استبقاها والدها في منزله، بعد

دينا العطار

رفضه طلاقها، وقد تفاقمت العداوة بين خاله
أريج الماضي
وأبيه، بعدما ذاع السر وانكشف.

وزاد حقد زهرة اضعاف خاصة بعدما صفعها شهاب عدة صفعات متتالية، أودع فيها كبت أعوام، غضب احتمله لأعوام مظنة أن اجرامها لم يكن من كبائر الذنوب، فبتخطي العرف والتقاليد والبناء قبل الزفاف ليس مروءة لكنها تبقى زوجة شرعا وقانونا، أما الحرام وجلب العار فتلك صفعة قتلته.

ورغم كل ما كان تحول شعورها بأمومتها لأريج لهوس، مرض أقرب للجنون، لا تستطيع
دينا العطار
استيعاب حقيقة أن أريج ليست ابنتها، وأنها

اعترفت بجرمها مع شوكت هباءً، كلما اغلقت
أريج الماضي
عينيها تري حامد وهو يضحك منها ساخرا، وتطور الوضع وباتت تراه في صحوها ومنامها.

وها هي تحاول النظر بالعين اليسرى لأريج من شرفة غرفتها المطلة على الحديقة، لا تصدق كيف تحول كل هذا الكره، إلى كل هذا الحب والرغبة في الحماية، يرفض عقلها التصديق والاقرار بأنها ليست لها، وها هي الآن صوت ضحكاتها يسيطر على أذنيها، فإن لم تستطع رؤيتها بوضوح فهي تسمعها، وتحتول تخيلها وهى صغيرة، كيف كانت، متى
دينا العطار

نطقت أول كلمة، وكيف خطت أول خطوة، من أسندها، أول سِنّة، أول يوم في الروضة، مدت يديها تقبض على السراب في اتجاه أريج، اغلقت عينيها تعض على أناملها ندما، فظهر حامد أمامها ملوحا، فتحت عينيها هروبا منه، فلاح لها خياله، بضحكته الساخرة الشامتة، زادت تلم الضلالات والخيالات في عقلها، قبضت بكلتا يديها على سور الشرفة، لا تستطيع تحمل مرارة الانهزام، ولا النظر في عيني شهاب، فجأة شعرت بحرارة صفعاته تلهب قلبها قبل وجنتيها، تذكرت كلماته عن وصمهم بالعار، لقد نعتها بالنمروده، الفاحشة،

أريج الماضي

أخذت كلماته تدوي في أذنيها في تتابع زاد من توترها، تذكرت كلمات هبة زوجة أخيها الراحل منذ قليل، تصاعدت وتيرة تنفسها، فعلمها بمعرفة هبة للحقيقة من البداية أربكها، فأفلتت سور الشرفة من يديها وانحنت للأمام تقبض بكفيها على أذنيها، لتمنع صدى صوت شهاب من اختراقهما، وأغلقت عينيها لعل ظل حامد يفارقها ويختفي، لم تنتبه لنفسها وهى تتأرجح بين الانخفاص والاستقامة بتوتر، أو انتبهت ولم تأبه، فسقطت أرضا فوق الحجارة المدببة التي تحيط منطقة الزهور، وتناثرت دماء الزهرة، زهرة آل زهران على زهور حديقتها.

أريج الماضي
دينا العطار

انتبهت أريج ومؤمن الذي انضم إليها منذ
أريج الماضي
لحظات لدوي سقوط شئ، انقبض قلب أريج، وسارت معه في اتجاه الصوت، وذهلا مما رأيا.

.....

انقضت أيام العزاء في منزل شهاب بالقاهرة، وكذلك في منزل شوكت في الصعيد، بعدما أصر شهاب أن تدفن في مقابر القاهرة، وليس الصعيد، بعيدا عن والديهما، فلا تستحق أن تجاورهما، كذلك رفض بشكل قاطع أن تدفن في مقابر عائلة شوكت، أو أن يقام عزاء
دينا العطار
لها في الصعيد، ومع اعتراض شوكت على

ترتيبات شهاب، ورفض شهاب تسليمه جثمان
أريج الماضي
أخته، تشاجرا، وفضوا بينهما بصعوبة بالغة، وزادت العداوة بينهما، فأقام شوكت عزاء بأسيوط لأهله.

.....

لم تستطع هبة العودة لبيتها بعد انتهاء ايام العزاء، لقد زاد تعلقها بالصغير "يحيي" حد الوجع إذا فارقته، لذا قبلت عرض شهاب بالاقامة معهم في الفيلا وخاصة بعد وفاة زهرة، لا تصدق حتى الآن مواجهتهما الأخيرة قبل وفاتها بعدة ساعات، لا تصدق محاولة زهرة
دينا العطار
مهاجمتها وخنقها، لولا تمكنها من الافلات

منها، كيف تجاهلت كل هذا الشرور والعنف
أريج الماضي
سابقا، زاغت ببصرها وهي تسترجع ما حدث بينهما:

-كل ما حدث بسبب ابنك ووصيته الغبية مثله

-لا تعلقي اخطاؤك على الاخرين

بغل قالت:

-من أنتِ لتكلميني هكذا..

بابتسامة حزينة ردت هبة:

-كلامي كان منذ زمن طويل وليس الآن..

وكان لديك من الكبر مثل الآن.. ما جعلك

ترفضي النصيحة وتستمري في طريق غيك حتى النهاية.. وها أنتِ طريحة الفراش ببيت أخيكي.. وحيدة.. منبوذة.. أتذكرين يا زهرة حين سمعتك مصادفة تتحدثين مع شوكت على الهاتف عن جنين هو أبوه.. ما هذا الجبروت.. حامل قبل زفافك بأيام من أخر.. ويالصدف يقتل خطيبك في حادث طريق أيضا قبل زفافك بأيام

أريج الماضي

هاجت زهرة وانتفضت كمن لدغتها أفعى:

-اخرسي.. كيف جرؤتِ

دينا العطار

هزت هبة رأسها بيأس يمنة ويسارا:

أريج الماضي

-لقد ظننت أن حرماني من يوسف بنفس الحادثهو عقابي لصمتي.. وتقبلته بنفس راضية.. أما أنت فلم يهتز لكي جفن على موت أخيكي.. ورغم ذلك لم أسدد حسابي كاملا.. بسبب صمتي عن الحق مرتين.. حين صمت أيضا عن الحادث ولم ابح لأحد عنه شيئا.. ففقدت ابني ايضا جزاء على صمتي.. شوكت قتل زوجي.. وابنه قتل ابني

اخذت هبة تنوح من بين كلماتها ولم تلاحظ

دينا العطار

توتر زهرة الذي ازداد، وبدون ان تشعر

وبخطوة واحدة استجمعت فيها كل حقدها، انقضت على هبة، تحاول خنقها واسكاتها، كادت أن تنجح لولا تمكنت هبة بصعوبة وعلى حين غرة من الافلات منها، حين لاح خيال حامد يضحك أمام عينيها ويسخر منها.

أريج الماضي

.....

بالنهاية هو بشر وتأثر بالأحداث، ورغما عنه بات لا يطيق وجود أريج حوله، بعد وفاة عمته، فلو لم يعترض هلال طريق أريج لكان كل شئ كما كان في نصابه الصحيح، وما أصبح الوضع بهذا التعقيد، ولما تزوجت أخته

دينا العطار

أهلة بالمجرم هلال، ولما مات يحيي، وما كان
أريج الماضي
ما كان.

كان مضطجع على الفراش حينما رآها تخرج من الحمام، وتحمل بيدها شئ لم يتبينه، استقرت بجانبها على الفراش، وهي تتنهد بعجز، تشعر بتباعده، تتفهم هواجسه، وتلتمس نفوره، لذا تباعدت هى الأخرى، ومع صمتهما وحالة الخرس التي ابتلعتهما، تباعدت المسافات وزادت الفجوة بينهما، اخذت نفس حار قبل أن تمد يدها له بأداة اختبار الحمل المنزلي، بصمت تام، تفاجئ مما تحمله،

دينا العطار

فتناوله منها بدهشه، يقلبه بين يديه قبل أن يسألها بفتور:

أريج الماضي

-والنتيجة؟!

أجابته وقد تفتت فرحتها وحماسها وان اخفته ببراعة على صخرة الواقع:

-ايجابية

اغمض عينيه بيأس، فمنذ لحظات مضت كان يفكر جديا في طلاقها، وقد اضحت اقصى أمانيه، العودة لرتابة حياته قبل زواجهما، فتلك نعمة لم يدركها إلا بعد زوجه منها، قال بجفاء:

دينا العطار

-أنتِ تعلمين موقفي من الانجاب.. كيف سمحتي بحدوث حمل

أريج الماضي

دمعت عينيها بشدة وبصعوبة بالغة حبستها تمنعها من الجريان:

-كنت اتناول الاقراص بانتظام حتى ليلة أمس

نظر إليها بشك لم يخفيه، وبكل قسوة قال:

-لا أريده.. سنذهب صباحا للمشفى.. دعينا ننهي الأمر بهدوء

في اعتى كوابيسها لم تتخيل قط أن يرفض الانجاب منها بهذا الشكل المؤلم، ألهذه الدرجة

لا يطيقها، لا تستطيع كبح دموعها أكثر من ذلك، ففاضت بسخاء وصمت، وهي ترجوه بضعف:

أريج الماضي

-أرجوك

لم يزده رجاءها إلا اصرارا.

لم يغمض له جفن سوى قرب الفجر، كان يوليها ظهره، يشعر بها وهى تبكي، وتهتز بعنف، لم يكن يتخيل يوما أن يستقبل خبر كهذا بهذه الطريقة وبكل هذا الحزن، حاول التخيل لو كانت الظروف غير الظروف،

دينا العطار

الوضع غير الوضع، لكاد يطير فرحا بخبر
أريج الماضي
قدوم طفل له.

لم يغفى سوى سويعات قليلة، تخللها الكثير والكثير من الهواجس والهلاوس، حتى كاد أن يجزم أنه لم ينل سوى دقائق معدودات، مروا كلمح البصر، ما أن اغلق جفنيه حتى فتحهما، لكن الواقع يؤكد عكس ذلك تماما، فالساعة قد تعدت التاسعة صباحا، ولا أثر لزوجته في غرفتهما، وعندما خرج يبحث عنها علم بخروجها منذ السابعة، أي منذ أكثر من ساعتين، ولو صدق حدسه فهى الآن قد
دينا العطار
تخطت أكثر من نصف المسافة لمنزل والدها،

والهاتف مغلق، وكل وسائل التواصل معها
أريج الماضي
كذلك،ضحك بغيظ، فألم الصفعة التي تلقاها منها للتو، يكاد يذهب بعقله، فزوجته لا تجيد التمرد سوى عليه.

لم يمكث في العمل سوى ساعتين حتى شعر بالضجر، فغادر لا يلوي على شئ، جاب الشوارع بسيارته حتى وجد نفسه أمام المطعم الذي اعتاد ان يرتاده مع خطيبته السابقة أمنية، فأخذته قدماه للداخل، استقر على ذات الطاول التي اعتاد عليها، انهى ثلاثة اقداح من القهوة، وحين استدعى النادل بفاتورة الحساب، تفاجئ
دينا العطار
بها تستقر على المقعد أمامه وهي تصرف

النادل مرة أخري فطلب هو قدح أخر قبل
أريج الماضي
انصرافه، بادرته هى بالحديث:

-كيف حالك؟

سألها هو الأخر:

-كيف حالك أنتِ

ببساطة أجابته:

-بخير

ثم كست الرهبة وجهها وهي تعزيه:

-البقاء لله

اومأ لها شاكرا، قبل أن يسألها بحيرة:
دينا العطار

-موقفك معي يحيرني كثيرا.. جاءتك الفرصة على طبق من ذهب لرد الصاع صاعين

أريج الماضي

طفت مسحة من حزن على ملامحها الرقيقة قبل أن تجيبه بصراحة:

-وتلك كانت نيتي.. حينها كنت أشعر أنك لم تضعني بالمكانة التي وضعتك بها.. أحببتك.. وبالمقابل لم تحرص أنت على.. كنت حاقدة عليك وناقمة.. وقبلت بالعرض

قاطعها حضور النادل بالقهوة، فعرض عليها تناول الغداء سويا، ووافقت، فطلبا

دينا العطار

الطعام، وبعدما انصرف النادل حثها على المواصلة:

أريج الماضي

-اكملي

تنهدت برضا:

-هدأت نفسي بمرور الأيام.. حينها شعرت أنك لا تستحق.. لا الغضب من أجلك.. ولا حتى الانتقام منك

رفع احد حاجبيه متعجبا من حديثها:

-لا اصدقك

ابتسمت:

-أنت حر.. هذا كل ما يخصك

دينا العطار

علق مرددا:

أريج الماضي

-يخصني!

-أجل.. ألديك استعداد لتسمع

-احكي

صمتت قليلا تستجمع شجاعتها قبل أن تردف بشجن:

-حينما افلتك.. وانتويت فتح صفحة جديدة في حياتي.. اكتشفت صدفة أنها أخر صفحة

لا يفهم ماذا تقصد تحديدا، فهم بسؤالها، لكنها استوقفته بإشارة من يدها ليتمهل:

هناء العطار

-مهلا.. سأفسر لك

ارتشفت قليلا من كوب الماء الموضوع أمامها على الطاولة، ثم أكملت بشجن:

-حادث سير بسيط جدا.. لكن صاحب السيارة الشهم.. أصر علىّ أن يطمئن.. في الواقع كان طبيب.. فأخذني للمشفى الذي يعمل به.. وأصر مرة أخرى على إجراء فحص كامل وآشعة.. يبدو أن النتيجة لم ترضيه.. فوسع النطاق باجراء بعض التحاليل

صمتت تسترجع ما حدث.. تحاول
أريج الماضي
استيعاب ما تحياه وتعايشه.. فسمعته يسألها بلهفة أو هكذا خُيل إليها من فرط اشتياقها هى:

-هيا أكملي

زفرت بقوة قبل أن تكمل بقليل من التمويه:

-ورم.. لا يزال في مرحلة مبكرة..حمد لله..

شارفت على الانتهاء من بروتوكول العلاج.. مع الفحص كل ستة أشهر

كان يستمع إليها بذهول.. شاخص ببصرة في اللامكان.. عاجز عن الاتيان ولو بكلمة

دينا العطار

واحدة.. يواسيها بها.. لكنها اجبرته على
أريج الماضي
العودة للواقع وهي تشاكسه:

-رحمك الله مني.. كنت ستكون أرمل خلال عام

لم تنجح مزحتها في تهوين الأمر عليه، فلم تزده إلا حزنا وتأثرا، حتى هتفت ترجوه:

-مؤمن.. أرجوك.. قل شئ

وليت لم يقل:

-تزوجيني

دينا العطار

تبدلت ملامحها في ثوان معدودات، واستقامت للتغادر، فأمسك معصمها برفق يستبقيها:

أريج الماضي

-اسمعيني.. ثم اذهبي

عادت لمقعدها مرة أخرى، فهتف وبدون وعي حقيقي منه:

-لم اعد احتمل.. سواء وافقتي أم لا.. سوف اطلقها

سألته:

-لماذا؟!

تنهد بغضب مكبوت وأجاب:

دينا العطار

-أرى فيها كل شئ.. بداية من موت يحيى..

أريج الماضي

فراق أحمد.. ضياع أهلة.. حزن أمي..

وأخيرا عمتي.. لم اعد احتمل وجودها في

حياتي أكثر من ذلك.. حتى وان كانت

بريئة.. يكفى أنها كانت بداية الشرارة..

والسبب في كل ما حدث بعد ذلك

وسيحدث

نصحته:

-تريث قليلا.. واعط نفسك واعطها فرصة

بانفعال هتف بجدية شديدة:

-لقد اتخذت قراري.. سواء وافقتي أم لا

دينا العطار

-حتى وإن علمت أن لا فرصة لي في وجود أطفال أو النجاة

أريج الماضي

قذفته بالحقيقة في وجهه وصمتت تتفرس في ملامحه التي بهتت في الحال، فقال بصدمة:

-ماذا؟!

بهدوء شديد قالت:

-كما سمعت.. الحمل مستحيل في حالتي

عبس بشدة حتى التحما حاجباه، فها هو إن رفض حمل واحدة، فلا يرجوه من الأخرى

دينا العطار

شعرت بندمه وتراجعه، فحاولت الانصراف
أريج الماضي
دون ازعاجه، فما كان منه إلا أن احتوى كفيها بين يديه قبل أن يقول بعزم:

-أمنية.. لم اقصد.. لكن الصدمة الجمتني

كان قد قرر في قرارة نفسه بتسرع وتهور أن يعيش مع أمنية ويربي ابن أريج، ففي النهاية لم ترضخ أريج لرغبته في التخلص من الجنين، فلم لا يستفيد من الوضع القائم.

أما أمنية نفسها فهي تتمسك بفرصتها الأخيرة في الحياة،حقها أن تعيش أخر أيامها

دينا العطار

معه بسعادة، تأخذ نصيبها فيه بعدما عاد إليها.

أريج الماضي

عرض عليها مرة أخرى بإصرار أكبر:

-هل تتزوجيني؟

لمعت عيناها بالاجابة قبل أن تنطقها:

-نعم.. أوافق

اخذت نفس عميق قبل أن تكمل:

-يمكنك أن تستبقيها إن اردت، كل ما يهمني ان أكون معك

.....

دينا العطار

وقف الأب أمام ابنته عاجزا، ابنته تحتضر، وقلبه يكاد ينشطر لنصفين حزنا وكمدا عليها، ربما تكون أمنيتها الأخيرة، فليحققها لها، لذا لم يجد مفر من الموافقة، غذا كان هذا سيسعدها ويحسن من نفسيتها، انتهى المأذون من عقد القران، وانتهى معه حقه في التراجع وهو يردد خلفه:

-وأنا قبلت زواجها.

.....

بالأخير تمكن هلال من رؤية أهلة بمطعم النادي الذي ترتاده، صُعق عندما رأى بروز

أريج الماضي
دينا العطار

بطنها خلف ملابسها، وبدلا من التقدم نحوها
أريج الماضي
والتحدث إليها، تقهقر بظهره للخلف عائدا لسيارته، انتظر طويلا حتى لمحها تأتي من بعيد، كانت بمفردها، استقلت سيارتها وانصرفت، خرج خلفها دون أن تلحظه، وفي طريق شبه خالي، تقدم حتى لحقها واجتازها ثم اغلق عليها الطريق، فاجبرها على التوقف، خرج من سيارته كالثور الهائج وتقدم نحوها وأخذ يطرق على زجاج سيارتها بعنف، مظهره ارعبها، أخرج هاتفه واتصل بها، فتحت الهاتف بانامل مرتعشه، سمعت صوته عبر الهاتف
دينا العطار

يصرخ بها يأمرها بفتح الباب، يتوعدها، يسبها
أريج الماضي
ويسب عائلتها، ثم تركها وانصرف.

.....

في ذات الوقت كان مؤمن قد فجر قنبلة زوجها من أمنيه، استقبل والده الخبر بثورة عارمة، ورفض تام لحضور حفا زفافه بالغد.

دخلت أهله المنزل بانهيار، استقبلها يوسف بقلق، تحول لغضب وتوعد لهلال بالقتل، بعدما قصت عليهم ما فعله هلال وعلمه بحملها، بينما استمع مؤمن اليها بوجوم، وانصت اليها والدها دون ان يعقب، ودخل في
دينا العطار

دوامة عميقة من التفكير، حتى انه لم ينتبه
أريج الماضي
لوالدتها وهي تصطحبها لغرفتها لتهدأ وتستريح قليلا.

.....

علمت أريج بزواج مؤمن فارتفع ضغط الدم لديها بشكل اقلق الطبيبة التي تتابع حالتها. كانت تشعر بألم شديد، لم تشعر به قبلا، حتى حين تعرض لها هلال، وتسبب في فضيحة لها، فالألم لا يأتي ابدا من طعنات وكيد الأعداء، بل يأتي من صمت المحبين وغدر المقربين، كانت مستكينة بين ذراعي أبيها تبكي
دينا العطار
بحرقة، بعدما قصت له ما حدث بينها وبين

مؤمن، وعدم رغبته في جنينها، ربت على ظهرها بحنان وصبر كبيرين حتى استكانت وهدأت، وهو يردد:

أريج الماضي

-لن يجبرك أحد على شئ لا تريدينه

أكدت لأبيها:

-اريده يا أبي

.....

واظب إمام على زيارة صغيره حامد، من خلال جده شوكت، دون رؤية والدته، التي امتنعت عن الحديث معه تماما، كانت تجهز الصغير وتعطيه لأبيها، الذي بدوره يسلمه

لأبيه، كان يداعبه قليلا في وجود جده شوكت، ثم يأخذه وينصرف ليكمل باقي اليوم مع جده وجدته حامد وعالية.

أريج الماضي

.....

مرت عدة اسابيع تدهور خلالها حالة أريج، احتجزت على اثرها بالمشفى وقضت ليلة كاملة بها، علم مؤمن من عالية بحالة أريج، وعند وصوله مع بداية ظهيرة اليوم التالي، منعه حامد من الدخول اليها، وتشابك إمام معه بالايدي، حتى تدخل أمن المشفى للفض بينهما واخراجهما من المشفى، وبالخارج توعدا لبعضهما البعض، بعد أن مزقا ملابس

دينا العطار

بعضهما، وأصيب مؤمن بالكثير والكثير من
أريج الماضي
الخدوش، مع كدمة دائرية كبير زينت عينه اليسرى، مع غروب الشمس خرجت أريج من المشفى، مع تحذير شديد االهجة من الطبيب عن خطورة الوضع.

كالجني ظهر أمامها من العدم، كانت حالته افضل بعدما ابدل ملابسه، وغسل آثار الدماء عن وجهه، ناظرته بتحدي وقوة رغم المرض البادي عليها بوضوح، قوة استمدتها من ساعدي والدها وهي تهنئه:

-مبارك لك

دينا العطار

لم يرتبك أو يتأثر، لكن مع رؤيته لحالة

أريج الماضي

الاعياء الظاهرة عليها، تبخر كل ما جهزه من تأنيب، وقبل ان يتدارك نفسه كان والدها يدفعه بعيدا عنها ويتجه بها نحو السيارة، وما ان استقرت على المقعد الخلفي بمساعدة أبيها حتى ظهر إمام وهو يحمل حقيبتها، ويخرج من باب المشفى، تلاقت اعينهما، ونظرا لبعضهما بتحدي سافر، حتى قطع حامد تواصلهما، وهو يأمر إمام بالانصراف لتشغيل السيارة، وهنا هتف حادم في مؤمن آمرا:

-وثيقة طلاق ابننتي تصلني غدا وإلا.....

دينا العطار

ترك تهديده معلقا وانصرف دون ان ينتظر

أريج الماضي

رد، مع انصراف سيارة حامد، رن هاتف مؤمن، كان حموه الأخر والد أمنية، يستدعيه بسرعة للمشفى، اتصل بالمطار فلم يجد اي رحلات متجة للقاهرة، فاضطر للسفر بالسيارة كما قدم، وعلى مدار خمس ساعات مدة رحلته للمشفى، لم يهدأ باله، كان قلق على أمنية لا شك في ذلك، لكن جل تفكيره كان موجه لأريج، فلولا اتصال زوجة أبيها به، ما كان ليعلم ما يحدث معها، تلك المرأة تحيره كثيرا، لكن لا وقت لها على الإطلاق.

دينا العطار

وصل المشفى وجدها احتجزت بالعناية، وقد انتهى وقت الزيارة، فذهب للطبيب بعدما حيا والديها المنهارين تماما، علم منه بضرورة الجراحة لحالتها قبل الكيماوي أو الاشعاعي.

أريج الماضي

لم يأخذ برأي الطبيب وحده، بل عرض حالتها على أكثر من طبيب، حتى نصحه احدهم بالسفر للخارج، فهناك مشفي متخصص لهذا النوع من الجراحات، بالفعل تولى الطبيب المصري مهمة التنسيق مع الطبيب الاجنبي والمشفى بالخارج، وتفرغ هو لإقناعها بضرورة اجراء تلك الجراحة بعد

دينا العطار

رفضها واستسلامها للموت بهدوء، كما كانت تخطط من قبل.

أريج الماضي

سافرت أمنية رغما عنها مع مؤمن ووالديها، لازمها مؤمن كظلها على مدار الشهور التي تلت الجراحة، لاتمام جلسات العلاج الاشعاعي، حتى استقرت حالتها تماما.

خلال تلك الشهور وضعت أهلة مولودها والتي أصر هلال أن يسميه شوكت، في حين رفضت أهلة بشدة، وتشاجرا في المشفى وبالأخير اطلقا عليه "مروان" لعل يكون له من المروءة نصيب.

دينا العطار

.....

أريج الماضي

تدهورت حالة أريج بالتدريج على مدار الخمسة شهور الماضية، مما اضطر الطبيب الطبيب لاحتجازها بالمشفى خاصة مع حملها بتوءم، ومع استمرار ارتفاع ضغط الدم تضررت الأوعية الدموية، ومع تدهور حالتها النفسية واجهاد القلب لديها، اضطر الطبيب إلى تبكير موعد الولادة.

تفاقم الوضع داخل غرفة العمليات، فمع انخفاض عدد الصفائح الدموية، وارتفاع مستويات انزيم الكبد، مما قلل من قدرة الدم

دينا العطار

على التجلط، دخلت في حالة نزيف، وبالاخير

تمكن الاطباء من ايقاف النزيف وانقاذ الأم
أريج الماضي
والطفلين، خرجت الأم للعناية، بينما أُودع الطفلين في الحضّانة لتلقي الرعاية اللازمة.

بعد مرور ثلاثة أيام كاد حامد خلالهم أن يجن، سمح له الطبيب بدخول العناية لرؤية غاليته، كانت شاحبة كالأموات، شعرت بوجوده حينما لامست اصابعه وجنتها وجبينها، فتحت عينيها بارهاق جلي، منظرها جلب ذكرى أخرى مماثله، الفرق الوحيد انه وقتئذ كان الزوج، والآن هو الأب، نفس الانقباض الذي شعر به بل أشد، لكنه ذات العجز وقلة
دينا العطار
الحيلة، وتلك المشاعر البغيضة تتملك منه

ثانية، وهو يراها بنفس هيئة أمها حين وفاتها، فتشعره باليأس، واخبره قلبه بقرب النهاية، فبكى حتى تهدج صوته مع ارتفاع صوت صفير الجهاز ليعلن فراقها له، مغادرتها لصحبة وجوار أمها حتى يلحق بهما، لم يجني من ذاك الصلح سوى فقدها، لم يوافق سوى للحفاظ عليها فضيعها.

أريج الماضي

حدث كل هذا ومؤمن في غيبوبته الخاصة مع وزوجته الثانية، يساندها في محنتها، وقد تجاهل أريج تماما، جاءه اتصال من القاهرة في وقت متأخر جدا من الليل، رد متوجسا:

دينا العطار

-مرحبا أبي

-كيف حالك؟

-ماذا هناك.. هل الجميع بخير؟!

مهمة شاقة، لا يعرف كيف يجيبه، لكن لابد أن يعرف، استجمع شجاعته:

-مبارك لك

اطمئن مؤمن قليلا، رغم نبرة الحزن في صوت أبيه، فقد توقع انجاب أريج، التي نسيها الفترة السابقة متعمدا:

-على ماذا.. هل وضعت أريج؟

-أجل.. جاءك صبيين.. ياسر وياسين

ارتبك مؤمن بشدة من وقع المفاجأة، وردد

أريج الماضي

الاسمين يشعر بمذاقهما على لسانه، هتف بسعادة:

-حقا أبي.. كيف حالهما؟

عاتبه والده:

-حري بك أن تسأل عن صحة والدتهما أولا.. متى ستعود لتراهما

قال بأسف زائف:

-المفاجأة اربكتني.. هى بخير أليس كذلك؟

كرر أبيه سؤاله متجاهلا الرد عليه:

دينا العطار

-متى ستعود

توتر مؤمن قليلا:

أريج الماضي

-أبي.. كيف حالها

لا يعرف كيف يجيبه، فقال بحزن:

-نحن ننتظر عودتك على أقرب رحلة

انقبض قلبه:

-أبي.. ماذا بها أريج

أخذ نفس عميق ثم قال بخفوت :

-البقاء لله

ساد صمت طويل كئيب، حتى قطعه مؤمن بكلمتين لا ثالث لهما:

دينا العطار

-أنا عائد

ترك أمنية مع والديها، وذهب للمطار لم يكن متاح رحلات مباشرة للقاهرة، فاضطر للحجز "ترانزيت"، سافر للامارات ومنها توجه لمصر، استغرقت رحلته ثمانية وأربعون ساعة كاملة حتى وصل لمنزل والده بأسيوط ليلا، والذي كان ينتظره خارجه.

أريج الماضي

بينما كان يجلس على فراش ابنته، يبكيها بصمت، يتلمس مكانها بيد، وبالأخرى يمسك هاتفها، ينظر لصورتها تارة، ويقلب فيه تارة أخرى، عله يجد به اي تسجيل فيديو أو صوت لها، استرعى انتباهه تسجيل صوتي مسجل باسم " زهرة وهبة"، ضغط على زر

دينا العطار

التشغيل، ليستمع لتفاصيل أكبر لغز حيره
أريج الماضي
وشغل تفكيره لسنوات، تدبير شوكت لحادث أخيه، شك هبة بالأمر، وصمتها لسنوات، تصديق زهرة على حديث هبة، اعترافها بما حدث.

إذا كان بكاء العين يفضح، فبكاء القلب يذبح، وهو الآن يبكي عينا وقلبا، فلم ينله منهم سوى الغدر، غدر مؤمن بابنته، وغدر شوكت وزهرة بأخيه، وتوعد بالانتقام.

دينا العطار

أريج الماضي

وتشابهت الأقدار

بالصباح توجه شهاب مع مؤمن لمنزل حامد، الذي استقبلهما بفتور، فلولا بقايا عقل لطردهما شر طردة، حاول مؤمن التبرير:

-أنا...

ليقاطعه حامد:

-ماذا تريد.. بدون حديث كثير أو تبريرات لن تفيد

رد مؤمن بتوتر:

-أريج زوجتي وأم ابنائي وحزني عليها كبير

دينا المطار

قاطعه حامد مرة أخرى بهياج:

أريج الماضي

-اخرس

ليقول شهاب محاولا تهدئة الموقف:

-جميعنا نشعر بالفقد يا حامد.. أريج كانت كابنتي تماما.. ويعلم الله كم الحزن والمرارة التي اشعر بها لأجلها

رد حامد ليهاجمه:

-ولأنها كابنتك وافقت ان يتزوج عليها ليقهرها ويتسبب بموتها

دافع شهاب:

دينا العطار

-لا.. لم أوافق.. لقد فعلها دون علمي.

قال حامد بنفاذ صبر:

أريج الماضي

-والمطلوب

حاول مؤمن الحديث، فأسكته أبيه باشارة منه، وهو يقول:

-لا شئ.. نحن أهل.. وسنظل.. مصابنا واحد.. وبيننا أطفال.. ولمصلحتهم.. علينا التفاهم

هدأ حامد قليلا، متحكما في انفعالاته، وضع ساق فوق الأخرى، وهو يقول بتعالي:

-الأطفال بحضانة جدتهما.. ولا أطفال لكم عندي

دينا العطار

همّ مؤمن بالرد، لولا اسرع شهاب محاولا استرضاؤه:

أريج الماضي

-اتفهم موقفك جيدا يا حامد.. عندك أو عندي لا فرق.. وأنت أولى بهما.. فقط سنأتي لنراهما.. لن نتعبك في شئ سنأتي نحن اليهما

استشاط مؤمن غضبا من موقف أبيه، لكنه آثر الصمت، مسيطرا على نفسه، حتى تمضي تلك الزيارة على خير، ويتمكن من رؤية طفليه.

لان حامد كثيرا، وهدأ تشنجه، وأرسل في جلب الطفلين، انتهت الزيارة بوعد من شهاب

دينا العطار

بعدم المطالبة بالتوءم، على اقل تقدير حتى تمر تلك الأزمة، ومن ثم لكل مقام مقال.

أريج الماضي

مر أسبوع ولم يكد يمر الثاني، حتى بدأ سالم في تنفيذ ما عزم عليه ضد دياب، الذي كان مترصد لكل حركة تصدر من سالم وخليل، فدياب ليس بالغر ليقع في شرك ساذج كالذي نصبه سالم له، وبالاخير ابتلعا هما الطُعم، واستدرجهما دياب، عند مدخل مقبرة اضطر للتخلي عنها للشرطة، حتى يظهر الأمر كأنهما اختلفا وغدرا ببعضهما البعض عند مدخلها، وحتى تجد عائلة أبو المعاطي قاتل ولديهما، وتكف عن تتبع أثره.

دينا العطار

.....

قبل ذلك بعدة أيام وضع إمام مسدس هلال أمام أبيه واخوته:

-هذا مسدس هلال.. نسيه في منزل شهاب.. عندما اجتمعنا هناك

قال حامد:

-الدم اصبح دمين.. والثأر ثأرين.. عمكم وحامد الصغير.. وثأر اختكم أيضا.. ومدلل أبيه هلال الآن في عمر أكرم حين غدر به شوكت.

ليلعب القدر لعبته، وفي ذات الوقت الذي
أريج الماضي
قتل دياب فيه سالم وخليل، كان حسن يصوب المسدس نحو هلال مفرغا جميع طلقاته في انحاء متفرقة من جسده، بعدما اختطفه حمزة وإمام اثناء عودته، ليلا بمفرده للمنزل، وبالمخزن، تحديدا عند خزان ماء النار، قال حسن وهو يطلق أول رصاصة نحو هلال:

-هذه لأجل حامد إبني الذي قتلت طفولته غدرا..

وعندما أطلق الثانية والثالثة:

-وهذه لعمي أكرم .. وتلك لأختي أريج

دينا العطار

وعند الربعة والخامسة:

أريج الماضي

-وهذه لأموال إمام.. وهذه لأيام حبسه والمخدرات التي وضعتها له

وفي السادسه:

-وهذه لكل من غدرت بهم يوما وأولهم ابن خالك يحيى.. والقائمة تطول

واستقرت الرصاصة الأخيرة في منتصف رأسه، واللاصق حول فمه صدى صراخه عن الخروج من جوفه، وكاتم الصوت منع صوت الرصاص من التردد بالأرجاء.

دينا العطار

لم ينته الأمر عند هذا الحد، بل سحب
أريج الماضي
الأخوة الثلاثة، جسده وألقوه في الخزان، ثم اتبعوه بالمسدس الذي انصهر في الحال، وذابت العظام ولم يتبقى منهما شيئا.

مرت عدة أيام ولم يظهر هلال، وكاد شوكت أن يجن، فابنه فص ملح وذاب، لكنه لم يكن يعلم أن ابنه بالفعل قد ذاب، وبمرور الأيام حاول شوكت العثور على أي دليل أو بداية خيط يقطع شكه ويؤكده، لكنه لم يصل لسوى لسراب، وبات الجميع عدو له، وليأخذوا حذرهم.

دينا العطار

.....

عاشت المريضة وماتت السليمة، وبين تأنيب الضمير والشعور بالذنب يتلظى مؤمن، وكلمات حامد تطن بأذنه، عن عقاب يستحقه ولم يناله حتى الآن، ما الذي يخطط له حامد!.

أريج الماضي

وجاءه الجواب على هيئة اتصال من فريدة تصرخ وهى تسأله بكلمات غير مترابطة جاهد ليفهمها، تسأله عن إمام، عن أي مكان يكون له ويعرفه هو، أو من الممكن أن يذهب إليه، فقد خطف إمام ابنها منذ صباح أمس ولم يعد به حتى الآن.

انتفض مؤمن من مكانه وهو يغلق معها الخط، حاول الاتصال بحامد كثيرا ولم يفلح،

دينا العطار

فالهاتف مغلق أو غير متاح، وكذلك هاتف
أريج الماضي
إمام لم يصله منه سوى صوت المجيب الآلي.

ومع بداية الصباح وقبل الشروق كان قد اصطحب أبيه وسافرا معا للصعيد، ليعلما فيما بعد أن حامد وإمام اختطفا الأطفال الثلاثة، ياسر وياسين ابنيّ مؤمن، وحامد ابن إمام، واختفيا بهم، ولم يستدل احد عليهما حتى الآن.

وبمرور الأيام وبحث مؤمن في سجلات الموانئ البحرية والمطارات عن اسماء ابنيه عن طريق معارفه فلم يصل لشئ، حتى ذهب لاستخراج شهادتي ميلاد لهما حتى يبلغ
دينا العطار
السلطات عن حامد وتضع اسماء اولاده في

سجلات البحث، اكتشف عدم وجود أي ابناء
أريج الماضي
له في السجلات الرسمية.

أما ما لن يعرفه مؤمن أن حامد سوف يسجل الطفلين بإسم ولده إمام وزوجته التي عقد قرانه عليها سرا، فلا توجد وثيقة واحدة تشير لانجاب أريج أو حملها، فلم تحصل أريج سوى على شهادة وفاة مثل أمها، أما جميع الأوراق الثبوتيه سوف تثبت أن الأطفال لإمام من زوجته "نور" حب حياته الذي تخلى عنه لينفذ وصية شهيد يحتضر، وليته ما فعل.

وباستقرار إمام في أرض المهجر هو
دينا العطار
وزوجته وأبيه، كان قد مر عشرة أشهر على

زواجه، واستخرج شهادتي ميلاد للطفلين "عمر
أريج الماضي
وعمران" بعمر أصغر من عمرهما الحقيقي عام كامل، وبمرور الوقت أنجبت "نور" أخت رابعة للصبية الثلاثة، أسماها إمام "نورين"

وألف لها أغنية اختصها بها فهي نور حياته وقلبه التي جاءت لتنير عتمة معيشته مع ثلاثة أشقياء لا يقدر عليهم لا هو ولا أبيه من فرط شقاوتهم

مين الاميرة

نورين

يا نور في قلبي

دينا العطار

نورين

يا احلا ورده

أريج الماضي

نورين

ضحكتها حلوة

نورين

بسمة في حياتي

نورين

يا سر حياتي

نورين

يا نور عيوني

نورين

واحلا ما في يومي

دينا العطار

نورين

كانوا يحتفلون بعيد مولد التوءم الثالث حين

أريج الماضي

سأل حامد ولده:

-هل علمت بما فعله شوكت؟

-ماذا فعل

بدون اكتراث اخبره وهو يقضم بعض الحلوى ويلوكها بتلذذ:

-لقد أخذ حفيد شهاب "مروان" ابن أهلة عنوة.. وعرض عليها إما الزواج من دياب أو لن ترى ابنها مرة أخرى.. كان يترك لها الولد طالما لم تتخذ أي اجراء رسمي ضد

دينا العطار

زوجها.. وحينما وذهبت للمحكمة..

أريج الماضي

وطلقتها منه غيابيا.. اظهر مخالبه لها

-ممم.. شئ متوقع.. وأم الولد ماذا فعلت

لا شئ بعد.. لكن شهاب يتدخل بكل قوته رفضا لهذا الابتزاز.

دينا العطار

وتستمر الحياة باقيةً على الوضع كما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء للقضاء

تمت ،،،